

تَقْنِيَّاتُ التَّعْيِيرِ

أ. د. صالح بلعيد

أعدَّ هذا الكتابُ وفقَ برنامجِ LMD

ماسٲتر: علُوم اللِّغةِ

جامعة تيزي-وزو

الفهرس العام

- أقوال في الموضوع: 5
- المُقدِّمة: 17
- أهميَّة هذا الكتاب: 29
- المنهج المُتبَّع: 37
- التَّمهيدُ: 49
- التَّحكُّمُ في اللِّغة: 65
- الإِتقان اللِّغوي: 75
- لماذا لا يتكلَّم طلابنا لغةً عربيَّةً فصحيَّة؟: 83
- العربيَّة المنشودة: 93
- الأُمِّيَّة في الجامعة: 103
- التَّواصلُ: 113
- 1— التَّواصلُ المُزدوجُ: 117
- 2— التَّواصلُ المُتعدَّدُ: 119
- وسائلُ التَّواصل: 121
- التَّواصلُ الجامعيُّ: 127

- التَّعبيرُ وأصنافُهُ: 137
- 1— التعبير الشَّفويّ: 143
- 2— التعبير الكتابيّ: 145
- صناعةُ التَّعبير: 149
- القراءةُ: 155
- الكتابةُ: 163
- فنُّ الكلام/ القول: 169
- الأداء اللُّغوي: 173
- أسبابُ عدم تكلم الطَّلبة دون خطأ: 175
- لغاتُ المِهَن: 183
- 1— لغةُ الإعلان: 193
- 2— لغةُ الصَّحافة: 203
- 3— لغةُ المَسْرَح: 211
- 4— لغةُ القانون: 219
- 5— لغةُ الإقْتصاد: 232
- الخاتمةُ: 237

أَقْوَالٌ فِي الْمَوْضُوعِ

— ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾
إبراهيم 26—27—28.

— وَجُرْحُ السَّيْفِ تُدْمِلُهُ فَيَبْرَأَ وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانَ
جِرَاحَاتُ الطَّعَانِ لَهَا التَّيَأُمُ وَلَا يَلْتَأُمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانَ
— وَجُرْحُ السَّيْفِ يَأْسُوهُ الْمُدَاوِي

وَجُرْحُ الْقَوْلِ طَوَّلَ الدَّهْرَ دَامِي

— انتقد أحدهم شعرَ المتنبي، فردَّ عليه: لو كان شعري شعيرٌ
لاستطابته الحميرُ، لكن شعري شعورٌ، فهل للحمير شعور؟
— إِذَا نَطَقَ السَّقِيُّهُ فَلَا تُجِبْهُ

فخيرٌ من إجابته السُّكُوتُ

سَكَتٌ عَنِ السَّقِيِّهِ فَظَنَّ أَنِّي عَيَّيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيَّيْتُ

— تَعَاهِذْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرءِ فِي قَتْلِهِ

وهذا اللسان يريد الفؤادَ يدلّ الرجال على عقله

— يا قومُ أُذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ

والأذنُ تعشّقُ قبلَ العينِ أحياناً

— إنّنا لم نسمعْ أنّ أحداً تَوَاضَعَ حُبّاً للفقيرِ، فخلَعَ حذاءَه ليمشيَ حافياً، أو يلبسَ أرخصَ النِّعالِ، فما بالُ النَّاسِ الزّاعمين أنّهم يَتَوَاضِعُونَ؛ فيخلعونُ لغةَ المعرفةِ والنِّقَافَةِ؛ لأنّها كما يَزْعُمُونَ لغةٌ لا يفهمها الفقراءُ، وبكلِّ أسفٍ فهم يدعون إلى لغةٍ لا يستعملها الفقراءُ إلّا في المَصَالِحِ الضّيقةِ.

— يهون علينا أن تُصابَ جُسُومُنا

وتسلمَ أعراضُ لنا وعقولُ

— فإذا كنّا نعملُ من أجلِ تَثْبِيْطِ الهِمَمِ، فلماذا نتعلّمُ. وإنّها لبدعةٌ كبيرةٌ أن يقولَ قائلٌ: انزلوا مُستواكم لمُستوى المُتعلّمِ، فلماذا إذاً نتعلّمُ، أليست هذه دعوةٌ إلى التّعميّةِ والعَمَاءِ، إن لم نقل إنّها دعوة الضّعافِ، وليس لها أدنى كفاف.

— إنّ لم يكن البحرُ فلا تنتظر منه اللؤلؤُ، وإن لم يكن النّجمُ فلا تنتظرِ الشّعاعِ، وإن لم تكن شجرةُ الوردِ فلا تنتظرِ الوردَ وإن لم يكن الكاتبُ البيانيّ فلا تنتظرِ الأدبَ، إن لم يكن الإبداعُ فلا تنتظرِ النّقدَ، إن لم يكن الشّمسُ فلا تنتظرِ الضياءَ.

— يا مفرداً في الحسنِ والشَّكلِ من دلَّ عينيكِ على قتلي

البدرُ من شمس الضحى نورُهُ والشمسُ من نوركِ تستملي

— تستطيع وسائلُ الإعلامِ أن تعملَ على تربيّةِ التذوقِ اللّغويِّ وتعملَ على ترفيّةِ ذوقِ بُسطاءِ النَّاسِ للتعاملِ مع لغةِ الفقهاء. كما تستطيعُ أن تكونَ مُلبيةَ لحاجاتِ النَّاسِ بترقيّةِ ذوقهم، وذوقِ اللّغةِ التي يتعاملُون بها، فتعملِ على التّرقّي الإبداع، وذلك هو العول على لغةِ الصّحافة.

— يا جارةِ الوادي طرِبتُ وعادني

ما يُشبهُ الأحلامَ من ذِكرِكِ

مُثلتُ في الذّكرى هوَلكِ وفي الكرى

والذّكرياتُ صدَى السّنينِ الحاكي

وتعطّلتُ لغةَ الكلامِ وخاطبتُ

عيني في لغةِ الهوى عيناكِ

لا أمسٍ من عمر الزّمانِ ولا غدٌ

جُمع الزّمانُ فكان يومَ لِقائكِ

— ما بالُ تلكَ الوَمْضَةِ الإشْهاريَّةِ التي غيَّبتِ الإعرابَ
وأسهمتْ في فَصْلِ الشَّعرِ عن الغناء، وفَصْلِ النَّثرِ عن البلاغةِ
والعاميَّةِ عن لغةِ المُتعلِّمين، أتريد التَّرقِيَّةَ، أم تريد التَّعميَّةَ؟

— والكلامُ الجيِّدُ الطَّبعُ، مَقْبُولٌ في السَّمْعِ، قريبُ المَنالِ، أنيقُ
الدِّيابِجَةِ، رقيقُ الزَّجاجةِ، يذُنو من فهمِ سامعِهِ، كَدَنو من وَهْمِ
صانعِهِ.

— لا يتوقَّفُ أمرُ الفصاحةِ على اللِّسانِ، وإنَّما يشاركُهُ فيه القَلَمُ؛
فالقَلَمُ أحدُ اللِّسانينِ، وهو أبْقَى أثراً؛ لأنَّ الكِتَابَ يُقرأ في كلِّ
مكانٍ، وفي كلِّ زمانٍ، ويتجاوزُ الحدودَ، ويرتفعُ على القيودِ.

— من أراد الفصاحةَ أن يَسْعَى لها سَعْيَها، ويسلكَ مسالكَها
ويدرجَ مدارجَها، ويتحامى عيوبَها، ويتجنَّبَ آفاتِها؛ ليصلَ إلى
امتلاكِ ناصيئِها.

— المرءُ بأصغريِّه: قلبُهُ ولسانُهُ؛ إنْ صالَ صالَ بجَنانٍ، وإنْ
قالَ قالَ بَبَيانٍ.

— يموتُ الفتَى من عَثْرَةِ بلسانِهِ

وليسَ يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ

وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ

— إِذَا سِرْتَ بِصَدَقٍ سَتُطَوَّى لَكَ الْمَسَافَاتُ، وَيَسْرَعُ الْخَطُوبُ
وَتَتَحَقَّقُ التَّنْمِيَّةُ، وَتَعِيشَ الْهَنَاءُ.

— عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَائِمُ

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا

وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ

— قِيلَ فِي حَتَّى: قِيلَ حَتَّى حَتَّحَتْ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ حِتَّةً حِتَّةً
وَمَاتَ مَالِكٌ وَفِي نَفْسِهِ حِتَّةٌ مِنْ حَتَّى.

— لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلَّ حَدِيثَهُمْ

أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيْبًا وَمَشْهُدًا

يَفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى

وَعَقْلًا وَتَأْدِيبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدًا

بِلا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا يُتَّقَى مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا

فَإِنْ قُلْتَ: أَمْوَاتٌ فَلَا أَنْتَ كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ: أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْنِدًا

— والتّوضيح اسم مثالٍ أوّل منقول إلى هذه الصّناعة. ومنقول بحكم تضعيف صيغة (فعل) المصرف من التّفعل على المبالغة في الإشادة بالمعنى، وتقريره بالعبارة عنه والدّلالة عليه. وقول جوهره في الصّناعة هو توفية الدّلالة على المعنى لأقصى غاياتها، والبلوغ بها أبعد نهايتها. وهو اسم لمحمول يُشابه (به) شيء شيئاً في جوهره المشترك لهما. فلذلك هو جنس عالٍ تحته نوعان متوسّطان: أحدهما البيان، والثّاني التّفسير.

— سأتركُ ماءكم دونَ ورْدٍ وذاكَ لكثرة الواردِ فيه

إذا سقطَ الذّبابُ على طعامٍ رفعتُ يديّ ونفسي تشتهيهِ

وتجتنبُ الأسودُ ورودَ ماءٍ إذا كان الكلابُ ولَغَنَ فيه

ويَرتجعُ الكريمُ خميصَ بطنٍ ولا يرضى مُساهمةَ السّقيهِ

— أَلَّيْتُ ما يَأْكُلُ فَضُلَاتُ أَذِيبٍ. مثل بالدارج.

— أَلْسَانُ الْحُلُو يَرْضَعُ لَبَوا. مثل بالدارج.

— كَوْلُ الْحَاجَا أَسْوَازِ أَيْسٍ. مثل بالقبائليّة.

— "... وَأَنَّ الْكَلِمَ تَتَرْتَّبُ فِي النَّطْقِ بِسَبَبِ تَرْتَّبِ مَعَانِيهَا فِي النَّفْسِ، وَأَنَّهَا لَوْ خَلَتْ مِنْ مَعَانِيهَا حَتَّى تَتَجَرَّدَ أَصْوَاتًا وَأَصْدَاءَ

وحروفاً، لما وَقَعَ في ضميرٍ ولا هَمَسَ في خاطرٍ، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".

— حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التعقيد —

ورنين اللفظ القريب فأدرك — من به غاية المراد السعيد

— النظم: ويجمع على نُظُم: صناعة تقتضي منهجاً من التأليف يهدف تأليف الكلمات والجمل مُرتبة المعاني مُتناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل في الانتقال من موضوع الطّلب إلى الحدّ الأوسط، ثمّ منه إلى مَحموله حتّى يلزم منه النتيجة.

— وصناعتني عربيّة، وكأني ألقى بأكثر ما أقول الرؤما

فلَمَنْ أقولُ، وما أقولُ، وأين لي فأسير؟ لا، أين لي فأقيما؟

— بعد إهداء طيّب التّحيّات الناشئة من أرجاء القلوب، وإبداء صيّب الدّعوات الفاشيّة في أنحاء الغيوب، لا يشينها قصورُ اللّسان عن وصف معانيها، ويزينها حلولُ الحِسان في قصور مغانيها، وأنفع ابتهالات بضياء مُناها، تتهلّل ديارُ الأحباب وتستجلي سروراً، وأنفس تضرّعات يُداني جناها، تتكلّل بهجةً وتستجلي منه مروراً، من قلب سَبَح في بحار المحبّة فاستخرج

مكنونَ جواهرها، وفكرٍ سَنَحَ له امتداحُ أحبابه، فأبرزه من
بواطن خزائنه، ومكنون ظواهرها.

— أغارُ عليكِ من عيني ومَنِّي ومِنكِ ومن زمانِكَ والمكانِ

ولو أنِّي وَضَعْتُكَ في عُيُونِي إلى يومِ القيامةِ ما كَفَّانِي

— يا من غَدَوْتُ به في النَّاسِ مُشْتَهَرًا

قلبي عليكِ يُقَاسُ الهَمُّ والفَكْرُ

إنْ غِبْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤَانِسُنِي

وإنْ حَضَرْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرُوا

— لغةُ أُمِّي القَبَائِلِيَّةِ التي رَضَعْتُهَا مُحَاكَاةً، واستوعبتُ

خصائصَهَا مناداةً، ولغةُ تعليمي العربيَّةِ التي اهتديتُ إليها مُبَاهَاةً

وكانت سَنِّي إحدى عشرةَ أَكِيدَاتٍ، ووعيتُها في ظروف

وجيزاتٍ؛ لأنِّي أَحْبَبْتُهَا بالامتنانات، وكتبَ اللهُ لي الإبداعَ فيها

وبها بالتيسيرات، وعسى أن تكون لي من الزُّكُوات.

ما أنْسَ لَا أنْسَ ذاتِ الخالِ إذْ حَسَرْتَ

قِنَاعَهَا فَبَدَتْ تِلْكَ العِناقِيْدُ

وأُطْلِعْتُ مِنْ مَحْيَاهَا وَجَمَّتْهَا

شَمْساً عَلَيْهَا رِوَاقُ اللَّيْلِ مَمْدُودُ

— لِكُلِّ أُمَّةٍ كَلِمَةٌ تَجْمَعُهَا، وَسِيرَةٌ تَسْمَعُهَا، وَكَلِمَتِي حَسَنُ
الْإِعْتِقَادِ، وَسِيرَتِي حِفْظُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

- Les Français utilisent (empruntent) aujourd'hui beaucoup de mots anglais. Certains Français prennent peur devant ces (anglicismes) : leur langue se pollue, disent-ils, on parle et on écrit de plus en plus en français. Certains anglophones s'en réjouissent et se demandent : pourquoi apprendre le français puisque les Français parlent anglais en France ? La vérité n'est ni aussi noire ni aussi rose. Il y a au moins 5000 mots d'origine français dans la langue anglaise. On compte en français 2500 à 3000 anglicismes dont 1500 toujours vivant. Sont surtout des noms, quelquefois des verbes. La structure et la grammaire française ne sont pas touchées.

Ecrivez Français ! p37 .

— وَلَوْ لَا الضَّعْفُ حَتَّى يَبْلُغَ الضَّعْفُ ضَعْفَهُ

وَلَا ضَعْفَ الضَّعْفِ، بَلْ مِثْلُهُ الضَّعْفُ

— وقد دخلتُ إلى الحانوت يتبعني

شاوٍ مُثَلَّ شُلُولٌ شُلْشُلٌ شُولٌ.

— وينبغي أن تكون موازنتهم بين بعض الآي وبين ما قاله الناسُ في معناها، كموازنتهم بين ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ وبين "قَتْلُ البعضِ إحياءٌ للجميع" خطأ منهم، لأننا لا نعلم لحديث التَّحْرِيكِ والتَّسْكِينِ، وحديث الفاصلة مذهباً في هذه الموازنة، ولا نعلمهم أرادوا غير ما يُريده الناسُ إذا وازنوا بين كلامٍ وكلامٍ في الفصاحة والبلاغة، ودَقَّةِ النَّظْمِ، وزيادة الفائدة.

— يا أيُّها الرَّاقدُ كم ترقُدُ قَمِ يا حبيبي قد دنا الموعدُ

وخذُ من اللَّيلِ وساعاتِهِ حِظًّا إذا ما هَجَعَ الرَّاقِدُ

من نامَ حتَّى ينقضي ليلُهُ لم يبلغِ المنزلَ أو يجهِدُ

قل لذي الألبابِ أهلِ التَّقَى قنطرة الحشرِ لكم موعدُ

— والعرب تقول: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا" يريدون أنَّ الرَّجُلَ قد يخرُقُ ويعجل في حاجته فتتأخَّرُ أو تُبطلُ بذلك. وتقول: "الرَّشَفُ أنْقَعُ" يريدون أنَّ الشَّرَابَ الذي يُترشَّفُ رويداً رويداً أقطعُ للعطش وإن طالَ على صاحبه".

وقرب قبرٍ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قفرٍ

— لقد تميّز الدرسُ الكلاميُّ بالغرب الإسلاميِّ ولا سيّما مع المتأخّرين بتحرير المسائلِ الكلاميّة، ومحاولةٍ صيّاغتها صياغة نهائية وفق رؤى كلاميّة مُعيّنة، تجعل من البرهان أو التّأويل منهجاً لها، أو باعتماد أسلوبِ التّفويض أحياناً، بخلاف ما سادَ في فترات أخرى؛ حيث اختلطَ علمُ الكلام بمباحث الفلسفة وخصوصاً علم المنطق، كما غلبَ على علم الكلام طابعُ الردّ على الشبهات والمُخالفين.

— إنَّ أنسيَ به تفرّدَ إنسيَ فجناني في حبّه المعذور

إن تكن في الوجود فذاً غريباً لا عجيبَ أمّ المعالي نزور

كن بعيداً فوق البروج ارتفاعاً أو قريبَ المدى فإننا نزور

إن تحلّ القصورَ في النثر والنظـ م فنظمُ المحبّ فيه قصور

— طيّبتم وطابَ الشّعْرُ منكم حلا لي المُـرُ

فرُبّ كاسٍ عاري مفارق العـواري

يرى القهراوي حلوةً في ظاهرٍ وخلـوَحْ

دع عنك ذا الخروفا أو بعضه والصـوفا

من جوّزَ المُحالا على الشفا أحـالا

المدح للقهراوي كبذلي الشـهـاوي

— أحوج ما يكون عليه الحال، أن تكون الجامعة معدّة للنّخبة
وأن الأوان أن نضع للجامعة دستوراً يُغلب الجانب العلميّ على
الإداريّ، وتكون المباراة على التّماهيّ في خدمة البحث العلميّ
ومزيد من التّباريّ في خدمة الشّأن العامّ، والاعتماد على
الكفاءات الوطنيّة في المقام الأوّل.

— قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرَّعْد 17.

المُقدِّمَةُ

إنَّ عَظْمَةَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَكْمُنُ فِي قِيَمَتِهَا العِلْمِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ
فَهِىَ لُغَةٌ كُتِبَ بِهَا العَرَبُ وَغَيْرُ العَرَبِ، لُغَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بَتَرَاثِ
إِنْسَانِيٍّ كَبِيرٍ لَا مِثِيلَ لَهُ فِي لُغَاتِ العَالَمِ، لُغَةٌ العِلْمِ وَالْعَالَمِ
وَالْحَضَارَةِ بِامْتِيَازٍ، لُغَةُ الوَطَنِ العَرَبِيِّ عَلَى امْتِدَادِهِ الإِفْرِيقِيِّ
وَالْأَسْيَوِيِّ، وَلُغَةٌ رَسْمِيَّةٌ ثَانِيَّةٌ فِي تَشَادٍ وَإِرْتِيَارٍ وَإِسْرَائِيلَ
وَإِيرَانَ، وَلُغَةُ العَالَمِ وَالْحَضَارَةِ فِي ذَاتِ القُرُونِ الخَوَالِيِّ، وَقَدْ
تَرَكْتَ بَصَمَاتِهَا فِي حَوَاضِرِ الأَنْدَلُسِ المَفْقُودَةِ، وَفِي الجُمهُورِيَّاتِ
الرُّوسِيَّةِ المَعْدُودَةِ، إِلَى حُدُودِ الصِّينِ المَعْبُودَةِ. لُغَةٌ كَانَتْ لَهَا
الرِّيَادَةُ وَالصَّدَارَةُ العَلَا، لُغَةُ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ وَكَفَى.

العَرَبِيَّةُ لُغَةٌ دِينِيَّةٌ قَدِيمَةٌ جَدِيدَةٌ، كُتِبَ لَهَا أَلَّا تَمُوتَ وَلَا تَتَقَرَّضَ
مَهْمَا طَالَ فِعْلُ الزَّمَانِ. لُغَةٌ مِطْوَاعَةٌ فِي مَا يَحْمِلُهُ مَتْنُهَا اللُّغَوِيُّ
العَالِيُّ مِنْ أَسَالِيبٍ؛ فَقَدْ بَزَّتِ اللُّغَاتِ العَالِيَّةُ، وَجَعَلَتْ سِيبُويَةَ
الفَارِسِيَّ تـ 175هـ يُبَدِّعُ بِهَا كِتَابَهُ العَظِيمَ (الْكِتَابُ = قُرْآنُ
النَّحْوِ) وَلَمْ يُبَدِّعْ فِي وَضْعِ كِتَابٍ فِي قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ. كَمَا
اسْتَوْلَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ عَلَى قَلْبِ العَالَمِ البِيرُونِيِّ الأَوْرَزْبَكِيِّ تـ
443هـ الَّذِي قَالَ فِيهِ المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيَّ (زَخَاو) إِنَّهُ أَعْظَمُ
عَقْلِيَّةٍ ظَهَرَتْ فِي التَّأْرِيخِ. وَقَدْ اقْتَرَحَ مُؤَرِّخُ العِلْمِ الأَمْرِيكِيِّ
(سَارْتُون) تَسْمِيَةَ النِّصْفِ الأوَّلِ مِنَ القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ المِيلَادِيِّ

بعصر البيروني. هذا البيرونيّ الفارسيّ منشأً، والعربيّ لغةً والمُسلمُ ديناً، أبدع في العربيّة وبالعربيّة، ويقول: أُهْجَى بالعربيّة خيرٌ من أن أمدَحَ بلغتي الفارسيّة.

إنّ اللّغة العربيّة أنتجت علماء قاماتٍ، أضحوّا يفتخرون بها لأنّها سندهم في التعبير والإبلاغ؛ بمعنى إنّهم أحبُّوها لما فيها من أساليبٍ ومضمونٍ، وبلاغةٍ وتركيبٍ، ومختلف فنون القول لا توجد في لغاتهم، فأحلّوها منزلةً ما لها مثل، وبها خلّدتُ أسماؤهم، فهم أحياءُ برُمُوسٍ باليّة، فهذا العالم الزّمخشريّ تـ 538هـ الذي أبدع في المعجم والتفسير، وأصبح عالماً من علماء العربي، وهو الذي قال: "الله أحمَدُ على أن جعلني من علماء العربيّة، وجبَلَنِي على الغَضَبِ للعَرَبِ والعَصَبِيّة". وذاك شاعر إيطاليا بترارك تـ 1374م يعترفُ بأنّ الإيطاليين لا يستطيعون مُجاراة العرب، رُغم أنّهم تَجَاوَزُوا أُممَ العَرَبِ فيقول: "إنّا لا نستطيع الوصولَ إلى شأوَ العربِ يا للجنون! ويا للخبال! يا لعبقريةٍ إيطاليا الغالبةِ أو المُنطفئة".

ولقد كانت اللّغة العربيّة شاهدةً على الأُمّة العربيّة لما لها من عمومٍ وخصوصٍ: عمومٌ في أنّها من اللّغات الطّبيعيّة التي لا تُخالف اللّغات الأخرى في أصواتها ونظامها. خصوصٌ باعتبارها حملت القرآن الكريم، وحفظت ديوان العرب، ونثرتُ فحول الخطباء والقوالين، فكانت خيرَ مُعَبِّرٍ عن تلك الأقوال

ومُختلف التجارب والتَّحوُّلات القوليَّة التي عرفتْها الأُمَّة العربيَّة عبر تاريخها الطَّويل.

تاريخٌ طويلٌ بالفعل من عصر النَّقائش، ومن اللِّغات العُروبيَّة التي خرجت منها هذه العربيَّة صافيَّة في العصر الجاهليِّ الذي كانت أنماط لغته عاليَّة النِّظم، دقيقة النَّقش، رفيعة المعنى، مُعبِّرة عن شَطَفِ العيش وسَّاعةِ الصَّحراء، فأَيَّة لغة هذه التي لا تعجزها تلك العبارات والكلمات؟

إنَّها اللِّغة العربيَّة التي كانت أعظم لغة، وأقواها وأبقاها (اللِّغة بألفاظها وشواهدا وأحكامها... وأعظم شاهدٍ على حالة الأُمَّة عموماً، والأفراد خصوصاً. فخشونةُ ألفاظها تدلُّ على خشونة طباعهم وشَطَف عيشهم. وسعةُ مفرداتهم؛ تشير إلى سعة تجربتهم ووفرة إنتاجهم وارتقاء حضارتهم... ولا ضيرَ بعد أن تكونَ اللَّفظةُ شاهداً على حَدَثانِ النَّفس، وهواجسِ الفؤاد، ينشدُ أزرَ ذلك قول اليازجي "لا يخفى أنَّ اللِّغة هي أعظمُ كاشفٍ عن أحوال الأُمَّة، ومحلُّها من المدنيَّة والعمران وما لها من الأخلاق والآداب والعقائد والعوائد والشرائع والعلوم والفنون وسائر أحوال التَّصرف والاجتماع... إلى ما يتَّصل بهذه المعاني ويُضاف إليها من سائر الأحوال والصِّقات. وفي الجُملة، فإنَّ اللِّغة هي الإنسانُ بعينه يتملُّ بها الفرد من آحاده، وتتناول الأُمَّة بأسرها، وبما أنَّها صورةُ العقل وترجمان القلب، والأثر الذي

تطيعه حركات النفس بما يعرض لها من الأفعال والانفعالات والجامع الكلّي للمواطنات والمواصفات في الآراء والشؤون والغرائم والأعمال") إبراهيم اليازجي، ع/ مجلة الطبيب.

ويتواصل العملُ باجتهد، ففي أقلّ من قرن، برع العربُ بعد حركاتِ التعريبِ والترجمة في مختلف ميادين العلوم والآداب براعةً أذهلت العلماء الغربيين، بل استطاع أولئك العربُ ومن التّف حولهم من غير العرب ومن الباحثين المُلهَمين باللّغة العربيّة خدمةَ العربيّة في ظرفِ زمنٍ قصير، وترجموا منها وإليها نفائسَ العالم، حتى أضحت اللّغة العالميّة كلّ فخر، كما عملوا على تقريب النفوس لمحبة اللّغة العربيّة، والرّغبة فيها كَلِسانٍ يُظهر به حسنَ البيان؛ فظاهره يخبو عن ضمير، وشاهده ينبئ عن غائب، ووقفوا على مقدار الفصاحة والبيان؛ حتى تمكّنت في نفوسهم، بل أصبحوا يحملون مدحَ الشّيء وذمّه في آن واحد؛ ببيانهم المذهل لكلّ اللّغات:

في زُخرف القولِ تزيين لباطله

والحقّ قد يعتريه سوءٌ تعبِير

تقول هذا مُجاح النمل كمدحه

وإن تعدّ قلت: ذا قيء الزنابير

مَدْحاً وَذِمّاً وما جاوزت وصفهما

سحر البيان يُرى الظّلماء كالنّور

وهكذا تملأ الدّهشةُ (مصطفى صادق الرّافعي) ويُسيطرُ عليه الإعجابُ في تهذيب قريش للّغة العربيّة في مدة زمنيّة قليلة وهي لا تُقاس حتى بعُمر الإنسان، فيقول: "ولا يسعُ المُتأملُ في الأدوار التي تعاقبت على قريش في تهذيب اللّغة إلّا أن يستسلم للدهشة، ويُحارُ من أمر هذا التّعاقب، فإنّه كالسّلم المُدرّجة تنتهي الدّرجة منها إلى درّجة على نمط مُتساق من الرّقي، إن لم يكن عجباً في تاريخ أمة مُتحضّرة، فهو عجيب على الخصوص في تاريخ العرب، ولا سيّما إذا اعتبرنا مبدأ تلك النّهضة، وأنّها لا تتجاوز مائة سنة قبل الهجرة إلى مائة وخمسين على الأكثر، فلا بدّ من التّسليم بأنّها حادثةٌ كونيّةٌ من خوارق النّظام الطّبيعيّ ظهرت نتيجتها بعد ذلك في نزول القرآن الكريم بلغة قريش وهو أفصحُ الأساليب العربيّة بلا مرأى".

ومهما يُقال عن العربيّة في الماضي التي كانت شُعلة اللّغات وخرقة الآفاق، ومُستطلعة الأعماق، فهي في الحاضر تننّ من تلك النّكبات الطّاعنات، وما أصابها من الأجنبيّات، وما لحق بها من هزّات، إضافة إلى عدم عِلْميتها في الكائنات، ولا في علوم الحيوانات، ولا تفيدها الآن المُترادفات. فماذا نحن فاعِلون أمام

انحصار العربيّة في العلوم، واللّغة التي لا تحمل العلوم، لا فائدة منها في العموم، فهل يعني الاستغناء عن العربيّة بالمعدوم، في هذا الزّمان المكلوم؟ وهل يمكن الإبقاء عليها لغة الأدب والشّعـر على العموم، والأخذ باللّغات الأجنبيّة لغات العلوم؟ أو كما يقولون: Instruire en français, enseigner en arabe ذلك ما يجب عنه المختصّون، ذلك ما يمكن أن يجعل هذه اللّغة تتألّ نصيباً من التّفعيل، وذلك ما يخرجها من قولهم: إنّها لغة التّواييت.

لم تكن اللّغة العربيّة -في ثقافة العرب- أداة للثقافة فقط، بل كانت هي الثقافة نفسها "فأنت مُتَقَفٌ بلغ القمّة إذا أنت أجدت الإلمام باللّغة العربيّة في مُفرداتها ومُترادفاتها وفي نحوها وصرفها وفي رواية نثرها وشعرها؛ فإذا جاء علينا عصرٌ يركّز ثقافته في أجهزة وأبابيب ومعامل ومصانع أسقطَ في أيدينا؛ لأنّ بضاعتنا شعرٌ ونثرٌ ونحوٌ وصرفٌ ومفرداتٌ لغويّةٌ ومُترادفاتٌ وهي كلّها لا تقوى على ضبطِ إبرةٍ في جهاز". هكذا قال الفيلسوف زكي نجيب محفوظ .

مرّةً أخرى، يجب العلمُ بأنّ العربيّة الآن تعيش مُضايقات عديدةً، فما موقعنا -نحن أهل اللّغة- في رفع تلك المُضايقات وتقديم الحلول؛ كي تستجيبَ لواقع لا يعيشُ الفصاحة؛ لواقع العولمة المُتوحش الذي لا يقرُّ إلا باللّغات المُنتجة للعلم، فهل

يمكن للعربية اللّاحق وهي غير علميّة الآن؟ وهل يمكن لها التّحدّي؟ ومن باب التّأكيد؛ فإنّ مستعمل اللّغة العربيّة في هذه النّقطة يعيش إكراهاتِ ضوابطِ اللّغة التي تشكّل سنناً ضروريّة للاستعمال الصّحيح هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يرى البعضُ الشّرخَ في الاستعمال الحامل للمجاز، ولا يقبله المنطق إلّا لضرورات مكانيّة، فماذا هو فاعل؟ وهذه الفجوة التي لم تعملِ المؤسّساتُ التّعليميّة على سدّها. ولهذا أذكرُ بأنّ الكفائيّة اللّسانية هامةٌ جداً في بداية المراحل التّعليميّة، فهي التي تُفرّق قطعاً بين الضّوابط اللّغويّة، وتأويل النّصوص لأغراض بيانيّة بلاغيّة، وهذا ما يتوجّب توضيحه من خلال تلك الأساليب اللّغويّة المفتوحة على استعمال لغويّ مُتعدّد الأوجه.

ولا أنكرُ أننا نعيش مُفترقَ الطّرق، فإمّا أن نكون بلغتنا أو لا نكون، أن نكون أسياداً بما نبدعه بمواطنتنا اللّغويّة، أو أن نكون شتاتاً بتركِنا للغاتنا، وإنّ الابتعادَ عن عدم استعمال اللّغات الوطنيّة، واللّجوء إلى العاميّات واللّغة الفرنسيّة، يودّي بنا إلى تغريب الوطن، وزرع بذور العرقيّة والعنصريّة وكرهيّة المسؤول السّياسيّ، وإلى ظهور الصّراع البينيّ، وظهور هويّات مَمْسُوخة مُمزّقة لا تصمد أمام أيّ تيّار. ولهذا من المُبتغى أن تكون العنايةُ بالجوانب التّعليميّة وهي الأساس، ثمّ أن يعضد ذلك بخطابٍ سياسيٍّ سياديٍّ؛ يُنزل اللّغات الوطنيّة حيث يجب أن

تُنزل؛ خطابٌ صانع للقرار؛ خطابُ القوّة والفعل، لا خطابُ القوّة دون فعل.

وعوداً إلى مضمون الكتاب؛ فهو عمل علمي في (تقنيات التعبير) بل هو بحثٌ في تقديم أَرْضِيَّة دقيقة في مجال تقنيّات التعبير؛ تكون مُنطلقاً للكتابة في هذا الموضوع الجديد، والذي لم تظهر فيه مؤلّفاتٌ كثيراتٌ بهذه التسميّة، أو هذا الجمع المُتخَيّر وأعدّه من المُفضّليات، وقد حاولتُ تجسيدَ المطلوب رُغم نقص التّأليف في الاختصاص؛ إلّا أنّ أبحاثاً تقربُ إليها ظهرت من مثل:

- 1- فنّ الكلام. للأستاذ كمال بشر.
- 2- تدريس فنون اللّغة العربيّة. للأستاذ علي أحمد مذكور .
- 3- اللّغة والإدارة. للأستاذ عاطف محمّد نصّار .
- 4- لغة الحقّ لغة القانون. معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب.
- 5- كيف تَعْدُو فصيحاً عَفّ اللّسان. للأستاذ محمّد حسّان الطيّان.

...

ومع كلِّ ما قدَّمته تلك المؤلفات من منافع علمية، فإنَّ ما يمتازُ به هذا الكتابُ أنَّه يعمل على احتذاء برنامج وزارة التَّعليم العالي للجمهورية الجزائرية (شعبة ماستر، علوم اللُّغة) في مادة (تقنيَّات التَّعبير) بإضافة نوعيَّة إلى مسطَّرة المفردات، على أن يكتملَ ذلك، ويستوفيَّ المادة اللُّغويَّة المطلوبة؛ وفق التَّوضيح غير المُخلِّ بالافتضاب. ولا يمكن المرورُ هكذا دون أن أُشير إلى كتاب لي قبله (في المناهج اللُّغوية والمنهجية) وعليه العول في التَّربويَّات، بل له السَّبق في ما يحمل من مضمون، ويلزم هذا الكتاب الطَّالب للعودة إليه في كثير من فنون القول والكتابة ويأتي هذا الكتاب (تقنيَّات التَّعبير) استكمالاً له، بل أقول: إنَّهما من عدَّة الطَّالب التي لا يُستغني عنهما في مرَّحلة التَّطَلُّب.

وأزعم أنَّ الخطاب في هذا الكتاب ورَدَ فصيحاً علمياً سهلاً؛ يعمل على التيسر المانع، هذا في المقام الأوَّل، وفي المقام الثَّاني يمسُّ مواضيعَ أخرى ذات العلاقة بقضايا المنهجية؛ باعتبار مادة (تقنيَّات التَّعبير) تُكملُ المنهجية، بل هي من فروعها.

وقد توزَّعت فروع الكتاب وفق الآتي:

— جوانب لغويَّة.

— جوانب أدبيَّة.

— جوانب لغات المِهَن.

— تشفيح العمل بالتمارين.

كما لا أخفي انشغالي بمادة البيان اللغويّ، والذي يبدو أننا -نحن المغاربة- لم نفلح فيه منذ العصور الأولى كما قال ابن خلدون "... وبالجملّة فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه -والله أعلم- أنّه كماليّ في العلوم اللسانيّة، والصنائع الكماليّة توجد في العمران. والمشرق أوفرّ عمراناً من المغرب كما ذكرناه... وإنما اختصّ بأهل المغرب من أصنافه على البديع خاصّة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعريّة، وفرّعوا له ألقاباً وعدّدوا أبواباً، ونوّعوا أنواعاً. وزعموا أنّهم أحصوها من لسان العرب. وإنّما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ. وإنّ علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقّة أنظارها وغموض معانيها، فتجافوا عنها" المقدّمة، 4 1265—1266. لم يكن ابن خلدون على خطأ، بقدر ما يمكن أن أقول: إنّ ابن خلدون اطّلع فقط على علوم البديع من مثل:

— منهاجُ البُلغاء وسراجُ الأدباء. حازم القرطاجني تـ 784هـ؛

— المنزُعُ البديع في تجنيس أساليب البديع. أبو محمد القاسم السّجلّماسي تـ 705 هـ؛

— الرّوضُ المربّعُ في صناعة البديع. أبو البناء العدديّ تـ
721 هـ.

ولهذا حَكَمَ (ابنُ خلدون) على المغاربة بقلّة حيلتهم في علم
البيان والمعاني. ولكن لا نعدم أنّ التّأليف في علم البديع جزء
من علم البيان؛ جزء من علم البلاغة، وقد أبدع فيه المغاربة
أفضل من المشاركة.

وأما علم المعاني والبيان، فيمكن أنّ حيلتهم فيهما قليلة، وأروم
أنّ يعمل هذا الكتاب على سدّ بعض الفجوات، أو قد يجيب عن
بعض الفلتات. وأرى أنّه يعمل على:

— تحقيق خصوصيّة وشموليّة في ذات الوقت في مادة تقنيّات
التّعبير؛ وهي جزء من علم البيان؛

— فتح آفاق الباحث في هذا الدّرس الجديد بالنّقد والتّحليل؛

— تقديم صورة متكاملة في الدّرس النّقديّ البلاغيّ باستعمال
العقل والدّوق والثّقافة المتنوّعة والعميقة والمتكاملة.

— سدّ ثغرة في دراساتنا المغاربيّة المعاصرة التي تشكو نقصاً
في الاختصاص؛

— تقديم لون جديد يُضاف للمكتبة العربيّة في المنهاج العلميّ
وفي تقنيّات التّعبير.

ومع كل ذلك، فإنّ هذا الكتاب ثمره جهد تقيّشِ المادّة المتخصّصة عبر أزمنة كثيرة، ونتيجة جهد البحث في حدود متعلّقات (تقنيّات التّعبير) التي كانت في النّظام القديم تُسمّى (أساليب التّعبير). وأروم من خلاله تجسيد أمر الفصاحة التي تُعرف بها العربيّة في قضايا التّعبير، وهي أوسع من أن تُحدّد في إطار ضيق؛ باعتبار العربيّة لغةً واسعةً بما تحمله من خصائص علوم البلاغة، وهذا بغية التّحلّي بها وإكسابها المتعلّم والابتعاد عن الآفات اللّغويّة التي تَعْتَوِر أخطاء اللّسان. والعبرة في ذلك أنّي لا أطلبُ المثاليّة اللّغويّة، بل أنشدّها، وهي ليست من المُحال، فلم يكن الجاحظُ البلاغيّ إلّا شخصاً مثلاً، ولم يُندع إلّا بتلك المُثابرة الأدبيّة؛ فكان يقرأ ويقرأ، ويحاكي ما كان يقرأ وكانت قراءاته مُمعنةً مُستوّعةً؛ حتى أصبحت اللّغة العربيّة مناوِلةً قائمةً فصيحةً في ذهنه، ومن ثمّ انثالت منه الفصاحة انثيالاً.

إنّ الفصاحة ليست وقفاً على شخص، ولو أنّ فقهاء اللّغة أوقفوها في حدود زمنيّة ومكانيّة، ولكن الطّالع فيها أنّه يمكن أن يكون لنا السّمؤل المعاصر، وابن سهل الحديث، والجاحظ المغربيّ، والحريريّ الجزائريّ، وابن بطوطة العربيّ والزّمخشريّ الأندلسيّ ...

أَهْمِيَّةُ هَذَا الْكِتَابِ

تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ هَذَا الْكِتَابِ فِي أَنَّهُ يَنْشُدُ الْإِفْصَاحَ اللَّغَوِيَّ؛
وَالْإِفْصَاحَ الْمَقْصُودَ، لَيْسَتْ الْفَصَاحَةُ فِي مَعْنَاهَا الْبَلَاغِيَّ، بَلْ
نَشْدَانِ الطَّرِيقِ السَّلِيمِ السَّهْلِ فِي اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي مَسْتَوَاهَا
الثَّانِي (الْفَصِيحِ) بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّوْجِيهِ اللَّغَوِيِّ الْمَضْبُوطِ، وَلَمْ لَا
إِهْدَاءِ الْعُيُوبِ الَّتِي تَعْتَوِرُ اللِّسَانَ، وَهَذَا مَا كَانَ عِنْدَ أَسْلَافِنَا فِي
أَنَّهُمْ لَا يَقْعُدُونَ عَنْ تَقْدِيمِ النَّصْحِ بَغِيَّةَ الصَّوَابِ، وَلَنَا مِثَالٌ مِنْ
تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْمَوْسُومَةِ (كِتَابِ رِسَالَةِ الْإِفْصَاحِ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ
مِنَ الْخَطَأِ فِي الْإِيضَاحِ) لِابْنِ الطَّرَاوَةِ، وَفِيهَا قَدَّمَ نَقُوداً ضَبْطِيَّةً
مُهْدَاةً لِأَبِي عَلِيٍّ النَّحْوِيِّ تـ 377 هـ، بِسَبَبِ خُلُوقِ كِتَابِهِ
(الْإِيضَاحِ) مِنَ الْإِيضَاحِ وَالتَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ الْمُنَاسِبِ لِلتَّعْلِيمِ
وَالنَّاشِئَةِ. وَقَدْ أَفْصَحَ ابْنُ الطَّرَاوَةِ فِي نَقْدِ مَا وَقَعَ فِيهِ صَاحِبُ
الْكِتَابِ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَلَمْ يَكُنِ الْإِيضَاحُ إِضَاحاً؛ بِسَبَبِ غِيَابِ
الْمَنْهَجِيَّةِ عَلَى الْخُصُوصِ. وَهَذَا مَا سَوْفَ أُرَكِّزُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ يَعْمَلُ
هَذَا الْكِتَابُ الْكُفَايَةَ الْوَاضِحَةَ فِي الْمَنْهَجِيَّةِ، وَيُنَبِّهُ إِلَى الزَّادِ
الْمَقْبُولِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ الْاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ فِي تَقْنِيَّاتِ التَّعْبِيرِ. وَمِنْ
هُنَا، تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ الْكِتَابِ فِي أَنَّهُ يَعْمَلُ عَلَى:

— جَعَلَ الطَّالِبَ يَرْتَبِطُ بِلُغَتِهِ، وَيَعْرِفُ مَكُونَهَا اللَّفْظِيَّ الْجَمَالِيَّ؛

— جعل الطالب يرتبط بالحياة، وبيان دور اللغة في هذه الحياة؛ فالإنسان لا يعيش في هذه الحياة دون لغة؛

— وعي حقيقة دقيقة بأنه لا حياة لأمة دون لغتها، ولا يمكن أن تعبر الأمة جسر العلميّة والعالميّة إلّا بلغتها؛

— توجيه الطالب إلى إعادة النظر في ذلك الكلام البائق؛ كلامٌ يبخس قيمة العربيّة، وهي ليست لغة إبداع؛

— الرقيّ بالمستوى اللغويّ للطالب إلى المستوى المتأدّب المُحافظ على الأصول، والمتراخي في الفروع؛

— حبّ الشّيء والإخلاص له؛ يُولد العجب؛

— غرس النموذج والمعياري والمرجعيّة اللغويّة لدى جيل المستقبل.

ولقد سعيْتُ من خلال هذا الكتاب -الذي يحمل الكفاف العلميّ- أن أجعله يُحقّق الصّورة المرغوبة لدى الأستاذ والطالب؛ فلأستاذ أن يأخذه مرجعاً يفيد طلابه، وللطالب أن يعود إليه في الاستزادة لتحصيل المادّة، وإذا تضافرت جهودُ الأستاذ وجهودُ الطالب يمكن أن أقول: سوف نصِل إلى ما يقرب من المرغوب وذلك هو المطلوب، في هذا العمل المؤثود، وهو من المنشود. وسوف نرفع من مستوى الكتابة، وهذا لن يكون إلّا برفع مُستوى

الطالب ليكون فوق المستوى، ولا ينزل مُستواه. وعهدي أن
أجعل الطالب يرقى، ولا أنزل مخافة أن ينزل ويعقى، أعلي من
مستواي؛ كي يكون الطالب في مستواه، لا كي ينال الشهادة
الجامعية، ويتخرج ضعيفاً بشهادة عليا، ويسجل اسمه أنه كان
ذات يوم طالباً فقط. وسأعمل على الرقع من القيمة المضافة التي
لا حدود لها، وإني جاعلٌ لها تشجيع قيمة الطالب العامل لا
تشجيع الطالب النائم.

وفي الحقيقة بذلتُ الجهد في هذا العمل الذي أثبت أن تعلق
فروعه، فتوزعت من وراء ذلك اهتماماتي؛ وربما قلّ تحصيلي.
ولذلك تراختُ حيلتي في انخفاضِ معنوياتي ومعلوماتي؛ مخافة
أن يأتي هذا المنجز على نقصٍ درايتي، رغم ما قدّمته من إشباع
علمي بكلّ طاقاتي. ومع ذلك فلا أنكر على نفسي الكبوات، ولا
شكّ أنني لم أسلم من الهفوات، ولا من الغفلات، وحسبي أنني
اجتهدتُ، فعسى أن أسلم من الزلات الكبيرة، ومن السقطات
الوخيمات، وغايتي المنالة، وأن أنال الغاية، أو أحصل أجر
المجتهد المخطئ، وإن لم يكن أجر المجتهد المصيب، وذلك
مبتغاي.

وقبل أن أختتم هذه المُقدّمة؛ أريدُ الحديثَ باستعمال مدلول
كلمتين: وعظٍ ووعى: وعظٌ بأن الله لا يغيّر ما بأنفسنا إلا إذا
نشدنا التّغيير في لغتنا، وعملنا من أجلها، وفضلناها على غيرها

من اللغات، وذلك ما يجب أن يكون، فهي ماؤنا وحياتنا، وهكذا
تفعل الأمم الحية التي هي قوية بإبداعاتها بلغاتها. وعي وهي
كيفية إزالة الوهن الذي علق بنا؛ فإذا القوم أرادوا الاهتمام باللغة
يحصل لهم فعل التغيير، ويحصنون أنفسهم بالأمن اللغوي
المُنير، وإذا أرادوا البقاء في التواكل المُستزید، وترك العزم
المُفيد، فألق عليهم (سلام المقابر السديد).

فيا أيها القوم ما بالكم تعيشون في بلهنية، وفي بيّاتٍ طويل
وفي (دع ما لقيصر لقيصر) و(أنا وبعدي الطوفان) وإنّ الشان
العام يُناديكم، فشُدّوا العزيمة، فإذا الشعبُ أرادَ الحياة، فلا بدّ أن
يستجيبَ القدر، وشُدّوا العزيمة تفلحوا، واطلبوا الموت تحيوا
وقد قال محمد سليم الجندي تـ 1955م:

يا أيها القوم ما أوهى عزيمتكم

حتى كأنكم مَوْتَى من الخـوَرِ

مُوتُوا لُتُحْيُوا، ولا تُحْيُوا لَتُنْتَظَرُوا

كتائبَ الموتِ تأتِيكم على السُرُرِ

فالموتُ فضلٌ للإنسان من دَعَاةٍ

وأنّ يعيشَ أليفَ الذلِّ والخـدَرِ

فأفضلُ النَّاسِ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَنَّتهُ

ونفسُهُ فوقَ هامِّ الشَّمْسِ والقَمَرِ

لا يكتمل الحديثُ في هذه المُقدِّمة إلاّ بالاعتراف بذلك الاهتمام الذي يُبديه طلبةُ الماستر (علوم اللُّغة) وأنا أُلقي عليهم ما جمعتُه في كُنْشاتي من هذه المادّة، وكنتُ في كلّ درس أُلقي عليهم بعضَ الجمع الذي لم يستوَ آنذاك، فكانوا ينتظرون جمعَ تلك الأُمالي، وإصدارها في كتاب، وكنتُ أرى في وجوههم الأملَ والشَّغفَ لما كنتُ أُلقيه، ووعدتهم بجمع المادّة وإخراجها في كتابٍ خاصٍّ. وها قد صَدَرَ الكتاب الجامع؛ وهو يحمل مقولةَ الأثر العربيّ "إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَاباً فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غَيَّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قَدَّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تَرَكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر". ويعني هذا أنّ عثراتٍ لحقتُ بالكتاب، ويحتاج إلى من يَهْدِي عيوبَه، ويعمل على تصحيح أخطائه، وتوجيه عثراته.

تيزيوزو في 16 أفريل 2014م.

كـ إملاء

في كلٍّ أوّل حصّة أريد التّعريف على الحُمولة اللّغويّة التي يحملها كلُّ طالب، أقيسُ درجةً تلك الحُمولة بهذا الإملاء، وأقولُ لهم:

— خذوا ورقةً وقلمًا.

— كلُّ طالبٍ يدوّن اسمه ولقبه على الورقة.

— كلُّ طالبٍ تجاوزت أخطاؤه الخمسة (5) يحتاج إلى توجيه.

— كلُّ طالبٍ أخطأ أقلّ من خمسة (5) أخطاء سوف يفلح في علوم اللّغة.

— اكتبوا هذا الإملاء: 1 — 2؟

كـ إملاء رقم 1

رأيت في ما يرى النائم التعبان، أنّ في اللّيلة المئة عاد الشّهد
الولّهان، وقال: تتخّ عني يا هذا، فأنت لم تستحي من كذبك، وفي
كلّ مرّة تقول: إذا سأكافئك، كأني لستُ كفأً لعمل أنجزته، فتعدّ
ولم تف. تتخّ عني، وقمّ ترَ وعودك لم تُوفّ، فأنا لستُ أنظرك
مساءً، ولا أعودك مريضاً؛ لأنّك غيرُ موفّي الوعود، يا من
تسقط معاذيرهُ.

وعاد الشَّهيدُ هذه المرَّة، وقال: امحُ عني رواياتِ الشَّهيدِ الملائمة، وابقِ على المُدَنَّسِ الغاويَّة، فَهِيَ السَّهْيُ واللَّطْيُ، وأنا لا أُنْتَظر الغرضَ الذي عفا عنه اللُّؤلؤ؛ لئلا يقع في الرَّذيلة. ما أصبح الشَّهداء إلَّا حراساً يحرصون على العيش، ويحملون الأسفار، ولا يبيغون الحصولَ على الأصفار؛ وهم يَتَبَارَوْنَ مع الأحياء الأرذال.

استيقظتُ فَرَعا؛ وكأَنَّ بيَ حُمى لاطيَّة، خوفَ الوقوعِ في المحذور، وأسرعتُ إلى الحُضيرة؛ لتنفيذِ تَنبَئِي وقوعِ النَّائبةِ على أملاكي الحيوانية، وقد أجدُ الضَّبْعَ فَعَلَ فِعْلَتَهُ الغاويَّة. دخلتُ فإذا السَّرْدوكُ يُقاقي، والدَّجاجُ تَتَقاق، ووجدتُ الثَّعلبَ تحت الظلِّ يقصِّ قصصَ الضلال، ويهدئهم بأنَّ السَّكوتَ مَنجاةٌ من النَّوالِ وإلَّا سيفتحَ عليهم البابَ للنَّوال. وهنا خارتِ النَّوايا، ويئسَ الثَّعلبُ المسؤول؛ عن دَفْعٍ مطلوب، ففجأة دخلتُ القُنَّ، وحملتُ العصا الغليظة، فقال الثَّعلبُ: آهِ من نهايةِ بائسة؛ لِبُؤْسِ بئيس ساكنيها ولما استيقظتُ عرفتُ أنَّها أحلامُ الوهى، التي يأتي من ورائها الوَغَى، ومَرَايا العَرَى.

بـ إملاء رقم 2

حدَّثني هذه المرَّة زيدُ بن هَمَّام، وقال: جاعني أحدُ الرِّوَاة، وهو من القُضاة الثَّقَّات، كان يسكن في الميقات، وقد حجَّ البيت، وزار

منى، وطاف بالصف والمروية مراراً، وكان يعظ الناس، ويقول:
 زكّوا أموالكم ترك، وليؤدّ الذي أوْتَمَنَ أمانته، وليتّق الله.

تحكّكتُ ذنبيّ وقلت: هاتِ النتيجة بلا بداية، فأنا كرهتُ الحكاية
 من البداية، لقد أقضت مضجعي، وجعلتني بكلامك هذا أحتضر
 فلا تتمّادى في الكلام، وإلّاّ المزيد والإضافة يا رجل الضيافة.
 فمُحيّاي لم يبق فيه مَرَحُ الصبّا، وصل على محمدٍ، واعفُ عمن
 ظلمك، وأتخ لي الكلام.

رفع صوته وقال: صه يا هذا؟ ما قلّته صديقاً، ولستُ من رواة
 الشعر لأكذب، فلا تتصدّى ولا تتبدّى، ولا تكُ فرداً. فالله يمحّ
 الرّبّا ولو في حقبة ملاءى، كما ينكر القسمة الضيّزى، بلّه
 الحديث عن طعن القفا، وخزّي الدنى. فأنت باستعجالك فيك
 شيء من المسّ، وعلى محياك سمات المتحدلق، أفلا تلب تلبية
 الحاجّ والمُعتمر، وتفرّ من مدانة الهفوات قبل الفوات، ولا تملُ
 إلى ملاقة تلك الفئات، ألم تدرِ ثواب انتهار المؤدّب عند زلة
 المتأدّب، وتباً لكم يا أهل الثراء لما تملكون، فأنتم إلى الثرى
 راجعون؛ فالسعيد من اتّعظ وطاف طواف الإفاضة، والسعيد من
 قطعت شعرة من الضيّرة، واستغفرت ربّها، وأنجزت الكفارة.

المنهجُ المُعتمَدُ

يقتضي مَنّي المنهج، اعتماد تلك المنهجية التي تحوي هذا الكتاب بأن تكون: وصفية تحليلية نقدية، ومن ثمّ تقديم الحلول وفق التراتب التالي:

1- الوصف: وهو وصفٌ عامٌّ لمفردات مادّة (تقنيات التعبير) من حيث تقديمها والحديث عن أهميّتها، والدِّفاع عنها كونها مادة حديثة تقتضي نقلةً نوعيّةً في لغة التّخاطب، وبخاصّة بين الطّالب وما يحيط به من تطلّاب؛

2- التّحليل: يبدأ في النّظر إليها من حيث ما يحمله الكتابُ من مضامين؛ حيث يُخضعُ المتنّ للدراسة النّوعيّة بحسب مقتضيات الدّرس اللّغويّ القديم، والنّظر إليه وفق مقاربات تحليل الخطاب من جوانبه السّيميائية؛

3- النّقد: يكون فيه تقديم نقود ليس في مفردات البرنامج، بل في مضمون المواد؛ سعيّاً لتقديم قراءة نوعيّة بديلة، وفق المعاصرة. وستكون لي الجرأة بتقديم أفكار جديدة في خريطة طريق معاصرة؛ لقراءة بعضِ مفردات هذا البرنامج. وهذا ما سوّغ لي تقديم إضافات ذات العلاقة بالموضوع، ولم تكن في المفردات المقرّرة، ورأيتُ فُصُورها في هذا المجال. وقد يقول

قائلٌ: لقد خرجَ هذا الكتابُ من محور النقل العلميِّ إلى حوار النقد للنقد، وليس هذا هو المطلوب في كتاب جامعيٍّ يُراد منه أن يكون حاملاً لمفردات المنهاج فقط. ويأتي الجواب بأنَّ النقد لا يمكن أن يأتي إلا بوجود الإبداع، وفي ذات الوقت أن يكون النقد لأفكار أصبحت لا تسير الواقع، فمطلوب منا في الكتاب الأكاديميِّ العمل على تربية الطلاب على النقد النزيه والمُضيف؛

4- تقديم الحلول: ويكون فيه تقديم أفكار مُنتجة بديلة من خلال واقع لغويٍّ، ولعلَّ صاحب القرار يُراجع بعض المسلمات أو ينظر في هذه المقترحات إن كانت صواباً، وربما تنال مكانها في الدرس اللغويِّ المعاصر. وسوف تكون نتائج تقديم الحلول في ما سوف يُنتج من كتب أكاديمية يراد منها التنافس في تقديم النوعية فقط.

وهكذا، ألفتُ هذا الكتاب في مادة (تقنيات التعبير) وفق مفردات البرنامج المُعدَّ للمادة (ماستر، علوم اللغة) مع إضافات في مفردات للمادة؛ وقد اقتضتها الضرورات العلميَّة، وأظنُّ أنني ما جانبْتُ الصواب؛ باعتبار كلِّ إضافة ذات نفع ودراية. ومن هنا عملتُ على كسب الطالب علمياً وإقناعياً؛ ليكسر جدار التّواصل مع أقرانه، ويعبّر بلغةٍ عربيّةٍ سهلةٍ مُمتعةٍ، ويعمل على إتقان فنون التعبير والمُحادثة والكتابة؛ حتى تغدو العربيّة الوسيلة

السّهلة في استعمالها في دروسه، ويعرف كيف يأخذ المناويلَ العفويّةَ، ويتسابق إلى التعبير بها، والتّفنّن في أساليب كلامها.

وإنّي لأعلم سلفاً أنّ الفصاحة غير قائمة في وقتنا الحاليّ، ولكن ما لا يُدرِكُ كلُّه لا يُتركُ جُلُّه، يعني لا نترك الفراغ الذي لا تحبّه الطّبيعة، علنا أن ننتج ما يسدّ الفراغ، وكان علينا -نحنُ الأساتذة- العملُ على أن نرتقي ونرقى بلغتنا العربيّة الفصيحة وأن نفيها حقّها التعبيريّ والعلميّ والإداريّ؛ لتكون في مكتسبات الطّالب، وفي عدّته العلمية في مناحي الحياة اليوميّة، وإن كان هذا ليس سهلاً حيث يعود إلى تلك القاعدة التي تُحتذى فيها المناويل الصّحيحة، وما أخذه في سالف الدّروس، والعهد على الطّالب كيف يعمل على اكتسابها. وفي هذا ينصح الخبراء بأنّه لا بدّ من تهيئة الطّفل وفق الآتي:

1- تنشئة الطّفل على سماع الكلام الفصيح.

2- قراءة النّصوص الفصيحة.

3- تعلّم النّحو والبلاغة.

4- تعلّم التّجويد.

5- مُزاولة الفصاحة قراءةً وكتابةً وكلاماً.

6- أثر وسائل الإعلام في اكتساب الفصاحة¹.

وهل حُمِّلَ الطَّالِبُ بهذه العِدَّة العلمية وهو يعتب الجامعة؟ لم يكن هذا كَلَّه مُحَقَّقاً، ولذا نجد أنفسنا -نحن الجامعيين- نعمل على استكناهِ المُمَكَّن اللُّغويِّ في حدود الواقع الضَّعيف، وفي إمكانية ترفيئة المكتسب القبليِّ، ومن ثمَّ العمل على استدراك النِّقص الذي كان سبباً في هذا الضَّعف. فهل يمكن تجاوز هذا الضَّعف؟

يمكن تجاوز بعض الضَّعف، باعتماد لغةِ الأستاذِ هي المنوال/ النموذج الأوَّل؛ والأستاذ هو الذي يمكن أن يُرَسِّخ الكثير من المَسكوكات اللُّغويَّة السليمة، ويَحْتَذِيهَا الطُّلابُ، فإذا لم يعمل الأستاذُ وفقَ الفصاحة/ الفصاحات فأنى له أن يلومَ الطَّالِبَ في تقنيات تعابيره التي تَعْتَوِرُهَا النِّقائص والهَنَات، بفعل المكتسب القبليِّ الذي عُلقت به الأخطاء. وإنَّه لا يمكن أن ننكر هذا الواقع الذي يسلك بعض المزالق اللُّغويَّة، وهي من إكراهات لغة العصر، فلا نجد تلك المُتطلَّبات النوعيَّة في واقعنا اللُّغويِّ، فماذا يعمل الطَّالِبُ؟

¹ - محمد حسَّان الطيَّان، كيف تغدو فصيحاً عَفَّ اللِّسان، ط1. بيروت: 2002، دار البشائر الإسلاميَّة، ص 79-108.

صحيح هنا يَضِيع الطَّالِبُ والمطلوبُ، أمام الفراغ اللّغويّ المَهُول، أمام الفجوة بين لغة الكتابة ولغة الاستعمال، أمام لغة المحيط ولغة المدرسة والجامعة، أمام لغة الإعلام ولغة القواعد... لا يُطَلَب من الطَّالِب المُستحيل، فإذا أغمَسَ نفسه في تقديم النّوع اللّغويّ الجيّد، يمكن أن يحصل التّغيّير اللّغويّ النّوعيّ بالعمل على التّطبيق الدّائم، وهذا ما يُعاني منه الطّلاب في واقعنا. فنحن -أساتذة اللّغة العربيّة- غيّبنا عنه جوّ الإغماس، وغيّبنا عنه المناويل الصّحيحة، ولم نعطِ القيمة الكبيرة للتّمارين، فلا شكّ أنّه ينشأ عيّياً في اللّغة العربيّة.

ومع كلّ ما يُقال من تنظير، سيبقى هذا الكلام باطلاً إذا لم ندْمِج عنصرَ التّقافة في تعلّم اللّغة الفصيحة؛ لأنّ درسَ التّعبير يتعلّق أولاً باللّغة كسلوك حضاريّ منقول عن مسموع، لغة رفاهيّة المناويل، مُحافضة على الأصول، مُتغيّرة في الفروع، لغة مُعاصرة في الأساليب والمُصطلحات، وفق الاستعمال والممارسة المُعاصرة. لغة لا تتبّت عن الأصالة، ولكنها تتبنّى مناويل مُعاصرة، لم تكن في اللّغة الفصحى. إنني أنشد اللّغة الفصيحة في مستواها الثّانيّ، وهذا ما سوف أنْهجه في أعمالي، وفق ضروريات الحياة اليوميّة الحديثة، ووفق واقع الاستعمال في المَقامات العُلّيا، فنحن لسنا مُخَيّرِينَ في ضرورة انتهاج الفُصحى، وهي بعيدةٌ مناويلها، عصيّةٌ أركانها.

وباعتماد المنهجية التي اقتضاها المنهج المعتمد يمكن الوصول إلى إدراك الفنيات المعرفية في المستوى الثاني للغة، وبها يمكن تبليغ الرسائل الكلامية على أسس لغوية مقبولة. وهذا المستوى هو المستعمل في مختلف المواقف الطبيعية، وفي لغة الأُنس وفي كل خطاب يحمل صفة العفوية.

يجب تنبيه الطالب بأنّ الواقع المعاصر له مُعطياته اللغوية، وله جمهوره، ولغة هذا الواقع اقتضت ضرورات التّواصل أن تُمسّ في الفروع، وفق مُقتضيات التّغيرات السّياسيّة ومُتطلّبات التّخطيط، ووفق استراتيجيّات حدائيّة، ولا يشكي أحدٌ من التّغيير المُضّرّ بالأصول، فهو لن يحصل؛ باعتبار الجماعة اللّغوية لا يمكن لها أن ترضى بتغيير الأصول. ولكن يقتضي منّا الواقع التّغيير في كميّات التّواصل، وهي ليست من الثّوابت، وأنّ كلّ واحد منّا له أسلوبه في المناقشة؛ بمعنى له أسلوبه في التّواصل كعضو في المجتمع، بله الحديث عن الطالب الجامعيّ، فيطلب منه الوضعُ المعرفيّ الخروجَ من الدراسة الشّكلية للمحادثة الخاصّة بتكوين الجُمْل المُصطنعة، إلى التّعبير عن مَلُوس ومُتغيّر، واعتماد حكاية القصص؛ لتحقيق الصّورة العفوية للغة في بُناها العالِيّة كما أنّ الحاجة في المرحلة الجامعيّة شديدة إلى تلاوة الخطب، وكتابة التّقارير، ونقل الأحاديث، واختراع

السّيناريوهات، وهذا ما يُمكن أن تُعطيه هذه المادة (تقنيات التعبير) لطلّاب المرحلة الجامعيّة.

يأتي هذا الكتاب للإجابة عن أسئلة اللّغة؛ أسئلة المنهجية بخصوص (تقنيات التعبير) وهي الممارسة اللّغويّة والأدبيّة والتقنيّة، في ضوء المُستجدات التي يعرفها حقلُ التّعليم والتّعلّم؛ باعتبار الممارسة السّليمة تأتي من المدرسة، فهل عملت المدرسة الجزائريّة على تدريس فنون العربيّة؛ وهي مهارات مُتكاملة يرتبط فيها النّحو بالنّصوص والقراءة والتّعبير، ومن خلالها يتمّ تعليم التّعبير ومهارات التّحرير بصورة عفويّة وفنيّة؛ تتجلى مظاهرها في فنّ التّعبير الشّفاهيّ أو الكتابيّ، وفنون العربيّة أربعة: الاستماع — الإسماع — القراءة — الكتابة، وهي أركان التّواصل "فضلاً عن الوظيفة التّواصلية للّغة، هناك وظائف أخرى تسمح بالتّعريف بمكوّنات محيط الإنسان وإعطائها معنى وبالتالي ضمان استمراريتها. وبعبارة أخرى، إنّ اللّغة تمكّن من ترسيخ وتخزين المُعطيات في الذاكرة الشّيء الذي يترتب عنه تنمية الرّصيد المعرفيّ ويُساعده على توظيف تلك المُعطيات عند الحاجة¹. ومن خلال ذلك يحصل بناء إطار مفاهيميّ ومنهجيّ

¹ — الحاج بن مؤمن "التّراث الشّفويّ وإعادة بناء الهوية" مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة. المغرب: 2005، جامعة محمّد الخامس

يُمْكِنُ تَشْخِصَ مَوَاطِنِ تَعَثَّرِ الطَّالِبِ، وَالتَّدْخُلِ لِتَصْحِيحِهَا؛ انْطِلَاقاً مِنْ مَنْظُورِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الَّتِي لَهَا مَجَالَاتُ الانْفِتَاحِ اللُّغَوِيِّ، وَفِي مَوَاقِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الضَّبْطِ وَفُسْحِ الْجَوَازِ، وَاسْتِعْمَالِ أَنْمَاطِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي بِمَا قَالَهُ السَّلَفُ، بَلْ كَانَ عَلَى الْخَلَفِ أَنْ يُدْعُوا فِي لُغَتِهِمُ الْمُعَاصِرَةِ وَفَقَ قَوَاعِدِ الْأَصُولِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفُرُوعِ.

يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ -نَحْنُ الْأَسَاتِذَةُ- بِأَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَمْنَحَ الطَّالِبَ فُرْصَةً التَّعْبِيرِ عَنْ أَفْكَارِهِ الْخَاصَّةِ، لَا عَنْ أَفْكَارِنَا، وَعَدَمَ مَقَاطَعَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ حَدِيثِهِ، وَمِنْ ثَمَّ نَعْمَلُ عَلَى تَقْدِيمِ الْمُلَاحَظَاتِ التَّقْوِيمِيَّةِ الْمُنَظَّقِيَّةِ؛ بِخُصُوصِ مَنُتَوِجِ أَفْكَارِهِ، وَسَلَامَةِ لُغَتِهِ، وَتَسْلُسِلِ عِبَارَاتِهِ، وَالتَّحْلِيلِ الْمُنَظَّقِيِّ الْمَتَّبِعِ، وَاسْتِخْلَاصِ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِئِ الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِفَادَةُ مِنْهَا، وَمِنْ ثَمَّ نَعْمَلُ عَلَى مَنَاقَشَتِهِ. وَلَكِي نَصِلَ إِلَى ذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَشِيرَ مَكَامِنَ الْمَتْنِ اللُّغَوِيِّ لَدَى الطَّلَّابِ، وَأَنْ نُشْرِكَهُمْ فِي الْمُحَاضِرَاتِ، وَفِي الْمَنَاقَشَاتِ، وَفِي النَّدَوَاتِ، وَفِي الْمَنَازِرَاتِ، وَفِي إِقَاءِ الْكَلِمَاتِ وَفِي قِصِّ الْقِصَصِ وَرَوَايَةِ الْحِكَايَاتِ، وَفِي إِقَاءِ خُطْبِ الْوَعِظِ وَالْوَعْيِ، وَفِي عَرْضِ التَّقَارِيرِ، وَفِي تَقْدِيمِ النُّقُودِ، وَفِي إِقَاءِ التَّعْلِيقَاتِ. وَلَا نَكْتَفِي بِهَذَا بَعْدَ أَنْ نُمْكِّنَهُ تَقْنِيَّاتِ الْمَهَارَاتِ اللُّغَوِيَّةِ

وفي نفس الوقت القدرة على الانتقال من البنى العميقة إلى بناها السطحية، وبخاصة في تطبيقات التعبيرات التي تدعم بالجانب اللغوي من خلال تطبيق جملة المعارف عبر المعجم الذي يروجه دون التركيز على البنيات الأساسية.

وإنني لأسعى في منهجي إلى تمكين الطلبة المنهجية العلمية المضبوطة التي منطلقها المعلم، لأن نجاح أية مادة لا تكمن في ذاتها أو في مفرداتها، بقدر ما تكمن في معلمها في المقام الأول ومن ثم في المنهجية الدقيقة. فالمعلم الجيد هو الفاعل الحقيقي فأعطني معلماً ناجحاً أعطيك منهاجاً ممتازاً وطريقة مثلى فالعُهدَة الآن على المُدرّس، كما أن صناعة الكتاب الجامعي الناجح، لن يكون جيداً إلا بوجود مُدرّس ناجح، وبمُواصفات مهنية ناجحة، وبتحيين مَصنوعات التكوين والتدبير الفعّال.

أرجو ألا يفهمني الأستاذ والطالب أنني ألجُ بابَ علوم التربية والتعليم؛ فباب التربية طويل وعريض؛ فمثله كالدّاخل في غابة مليئة بالكنوز والخبايا، بل هو نوع من المغامرة الذاتية، وإنني لأنحاز إلى علوم اللغة، فهذا العمل يتعلّق بقضايا علوم اللسان أكثر، وآمل من الزملاء أن تتحرّك فيهم العزيمة للنظر في هذا الجهد المتواضع، بمناقشته وتقديم نقائصه؛ وهذا ما يجعلني أتحرّز أكثر لأدقّق وأتحرّى أكثر.

تمارين

— التمرين الأول: "في كل نظرية لا بد أن يكون هناك منهج كإنموذج لهذه النظرية، المنهج الذي اتبعته منذ عقدين من الزمن أصبح قديماً ولكنني من جهة أخرى لم أتوقف عند هذا المنهج فقد استفدت من الملاحظات والأفكار التي كان طلاب الدراسات العليا يسدون بها إلي، لذلك كنت أضمرها في المنهج القديم، حتى إذا تفاعلت هذه الأفكار كلها مجتمعة حاولت أن أضعها في منهج آخر كالذي كنت قد قدّمته من خلال أنموذجين جديدين؛ يتجلى الأنموذج الأول في كتابي (جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي) الصادر عام 1999م، والأنموذج الثاني يتجلى من خلال كتابي (دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة) الصادر عام 2001م.

— الأسئلة:

— من صاحب هذا النص؟

— ضع سؤالاً لهذا النص؟

— إلّا يدعو إليه هذا النص؟

— التمرين الثاني: "صحيح وضعنا اللغويّ مُعَقَّد، واللّغات المُستعملة فيه لم تُحدّد بعصور استعمالها... إذ نكاد نقول بأنّ اللّغات المُستعملة في مختلف الحَقَب التّاريخيّة لا تزال تعيش بين ظهرانينا... ففي الاستعمال اللّغويّ نجد كلّ العربيّات التي ذكرت: عربيّة قديمة أو عدد كبير من ملامحها، وعربيّة معاصرة تخلّت عن بعض الملامح وتأثّرت في بعض ظواهرها بلغة أجنبيّة ما أو بلغات... وعربيّة وسطى... وعربيّات دراجة... أحياناً لا تتداخل هذه اللّغات بقوة في الاستعمال... هذا الوضع وضع مشوّش إلى حدّ ما... لذا لا نجد في معاجمنا مُعجماً تاريخياً ومُعجماً وصفيّاً للغة العربيّة المُستعملة اليوم مثلما نجد دراساتٍ للغة العربيّة القديمة أو للغة العربيّة المُعاصرة أو للهجات العربيّة أو للعربيّة الوسطى... وأعتقد أنّ الاتّجاهات أو التّيارات أو المجموعات العلميّة تتخذ العربيّة في مستوياتها التي ذكرت، موضوعاً لنظرها في كلّ أبعادها ومُستوياتها... فهي تعكس هذا الواقع الذي تمّ تشخيصه ورصده".

— الأسئلة:

1— ضع عنواناً لهذا النّص؟

2— النّص جواب لسؤال، حاول أن تضع السّؤال له؟

3— ما هو المنهج المُتبّع في هذا النّص؟

التمهيد

— سيكون حديثي في هذا التمهيد على تقديم خطوطٍ عريضةٍ مُقتضبةٍ لكيفيات التلازم بين اللغة وخصوصياتها ومستوياتها وأحوالها وسياقاتها، وفقاً لكلِّ المُقتضيات اللغوية. وسأعالج مسألة البلاغة في معناها العام؛ على أنها قواعدُ تعليميةٌ لفنِّ حسن الإقناع وفنِّ المُحاجة، ويدخل كلُّ هذا في فنِّ القول، وفنِّ الكتابة. ومن هنا، فالعمل يكون في بلاغة الاستعمال وفق اللغة المعاصرة، دون التركيز على التقعر اللغوي، أو الحديث عن أن أكثرَ البلغاء لا يفرّقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها استعمال الشئيين المترادفين "ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني، والفصاحة في الألفاظ، ويستدلّ بقولهم: معنى بليغ ولفظ فصيح"¹. كما يقولون: هذا لفظٌ فصيح، ولا يقولون هذا معنى فصيح، فدلّ هذا على أن الفصاحة من صفات الألفاظ لا المعاني. وهذا ما تنمازُ به العربية في استعمال البليغ الذي يعني الأفصح، ويظهر في أدائها القول الحسن الواضح البسيط الحامل للتأغم والشاعرية والشعرية، واستعمال الفصيح وهو المستوى الأدنى من الفصحي؛ ولكنه لا ينبت عن المستوى الأول، بل إنّ

¹ — بهاء الدين محمد بن أحمد الإشبيلي، المُستطرف في كلِّ فنِّ مُستطرف. بيروت: 1997، دار الفكر العربي، المجلد الأول، ص

هذا المستوى (الفصيح) هو الجاري في الاستعمال عند العامة ويرتضى في لغة التّواصل اليوميّ العاليّ، ولا ينزل إلى مستوى لغة العوامّ أو لغة السّوقة.

وبخصوص مسألة البلاغة؛ فنعرف أنّ هناك حركات طعنٍ وتشكيكٍ في الدّيانات؛ حركات لغويّة بلاغيّة ظهرت على لسان الملاحدة، وحركات معارضة قام بها رجال مسلمون تصدّوا للزيغ، فنشأ من ذلك (علم الكلام) وركّز في أوّل أمره على (إعجاز القرآن) وشيئاً فشيئاً أخذ هذا الأمر يسري في مسائل النّدق والبلاغة، فنجد من هؤلاء "واصل بن عطاء؛ وكان صاحب بيان رائع، وقدم راسخة في البلاغة، وكان داعية من كبار دُعاة مذهبه. جمع من حوله ثلّة من تلاميذه؛ علّمهم البيان، وزوّدهم بالمنهج الذي أقامه، وسار عليه، فأرسلهم إلى الأقاليم يجادلون أصحاب الدّيانات والبدع"¹. وهكذا انتعشت العربية في بلاغتها وثمرت عبقريتها في الفصاحة، وحملت تلك المُحاججات الكلاميّة والأساليب الرّفيعة، والمعاني البديعة التي أذهلت الملاحدة بما تحمله من معاني البيان والمعانيّ والبديع. فهي هي العربيّة التي تحمل القرآن الكريم الذي لا يأتيه التّحريف لما يحمله من

¹ — محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النّدق العربيّ.

إعجاز، ولغة حاملة للمستويات التّواصلية، تزداد تألقاً وبهاءً بما ينتجه أهل الكلام من أساليب جعلتها ترقى وتعتلي.

وعوداً إلى أبسط تعريف للبلاغة والفصاحة هما: بيان وإفهام وتواتر، وجريان على اللّسان دون تعقيد، ومراعاة الألفاظ المناسبة؛ بحيث تُلائم المواقف والمناسبات، وتُساوq أغراض الكلام وأجواءه المختلفة، وجريان الألفاظ على العُرف المألوف. كما أنّ الفصاحة في الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خطل، وهي التي إذا سمعها الجاهل ظنّ أنّه يُحسن مثلها، وإذا سمعها العالم قال إنّني فقير بحاجة إلى تعليم ومزيد من النّفقه. وهناك يظهر الفقير في اللّغة فهو فقير في العاطفة، والفقير في اللّغة لا يكون مُبدعاً؛ لأنّ الإبداع وليد القدرة، وكلّما ازدادت ثروة الأديب اللّغوية ازداد إبداعه في التعبير.

إنّ العربيّة لغة الحضارة الإنسانيّة، حضارة الشرق الحاملة للأفكار والإبداع، وتضمن مسير عالم المعرفة والاطلاع الواسع ولها من الحمولة النّقافيّة ما لا يوجد في اللّغات القديمة، وأبدع فيها المبدعون، وتفنّن فيها الشعراء والموسيقيّون، ولذلك لذّ سماعها، وطابَ مَغنّاها، ورقّ قلبُ مُستمعيها. ولقد كان لموسيقى الشعر آثارٌ تاريخيّة قبل الخليل؛ حيث كان القُدّامي يصطنعون عبارات مسجوعة للتّغني والإنشاد في العبادات، وفي

الرَّحِيلَ، وفي العمل الجماعيّ، وشكّل ذلك رصيذاً مُتَنَاقِماً عُدَّتْ به من أَفْضَلِ اللّغَاتِ سَمَاعاً وإِسْمَاعاً.

إِنَّ اللّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةٌ كَرَّمَهَا اللهُ وَفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ اللّغَاتِ وَتَحَدَّى بِهَا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا ﴿٨٨﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٩﴾ الْإِسْرَاءُ 88. لا يمكن أن يأتوا بأمثالها فهي كلام مُغْدَقٌ مُثْمَرٌ، ليس من كلام البشر، يَعْلُو ولا يُعْلَى عليه كلام الخالق الذي زكّاه، وعمل على توسيعه وتمطيط أنماطه وتحسين ألفاظه حتى قرأ في سمع مُتَكَلِّمِيهِ وَسَامِعِيهِ.

لَقَدْ بُهَرَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْعَرَبُ وَغَيْرِ الْعَرَبِ فَأَبْدَعُوا فِيهَا وَبِهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ رَزَقَ الْبَعْضَ مَنَّا فَصَاحَةً اللَّسَانِ، وَأُبْعَادَ الْبَيَانِ وَتَجَارِبَ الْوَجْدَانِ، وَهُمْ الَّذِينَ شَرَعُوا التَّأْصِيلَ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ. وبهذه اللّغة ظهر الجاحظُ والمنتبّي والكثير من الشعراء الذين أَبْدَعُوا فِي فَنُونِ الْقَوْلِ/ الْكِتَابَةِ، وَجَعَلُوا الْأَلْفَاظَ الْمُفْرَدَةَ تَخْتَارُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَا وَتَتَنَاقَشُ وَتَتَنَاقِشُ بِهَا لَتُودِّي دِلَالَاتِهَا. فهذا بشار بن بُرْدٍ يَقُولُ:

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ

وَالْأَذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحياناً

فنراه يستعمل حاسة الأذن التي هي تعويض عن البصر
ويكشف عن وجه الصوّاب اللّغويّ بلحة تتوب عن الأصل.
فينظمه هذا تعاقبَ حكمه على تلائمٍ وإطباقٍ، وعلى توارِدٍ
وتلاقٍ، وهو مسلكُ الشعراء المبدعين "والطّريف أنّ بشاراً (وهو
الشاعر الضّرير) يصوّر الحديثَ الجميلَ وكأنّه مشاهد
منظورة... وهي سمةٌ نجدها دائماً عند الأدباء والشّعراء
الموهوبين الذين حرّموا نعمة الإبصار، ولكنهم رزقوا البصيرةَ
فأصبحت لديهم وسيلةً للسمع والبصر معاً، وأصبح تركيزُهم
الشديدُ -في ما يسمعون وفي ما ينطقون به- على الجوانب
الموسيقية في التعبير وجرسها الأخاذ المؤثّر¹. استشهدتُ بقول
(بشار) وهو الشاعر الذي تجري اللّغة العربيّة في شعره جريّاناً
ولم تكن هذه اللّغة عنده لتخرجَ عن جودة التّأليف والنّظم
والفصاحة في ما كان يستعمله، حتى كأنّه من كبار علماء
اللسان، رغم أنّه لم يكن لسانياً، ولكنه رضع العربيّة من واقعه
الصّرف، ولو أنّه من المولّدين، وسبق لسيبويه أنّه لم يحتجّ
بشعره، حتى هجاه فاستشهد بستة أبيات من شعره.

فإذا اقتبستُ ممّا قيلَ في بشار، فإنّ الجاحظَ الذي نُنصَح بقراءة
كُتبه لا يخلو من طرافة إبداعية، فإذا ما قرأتُ (البيان والتبيين)

¹ - فاروق شوشة، لغتنا الجميلة. القاهرة: 1982، مكتبة مدبولي
ص 14.

أَفْضَى نَهْمِي دُونَ نَدَامَةٍ، وَأُدْرِكُ حَاجَتِي بِالسَّلَامَةِ، أَقْرَأُ كِتَابَ
(الْحَيَوَانَ) فَيَكْثُرُ مَحْصُولِي مِنْ عِلْمِ تِلْكَ الْبَيْئَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ
النَّظِيفَةِ؛ بَيْئَةً أَرَاهَا تَتَمَدَّنُ بِشِوَعِ الْفَصَاحَةِ، وَشِوَعِ الْفَصَاحَةِ
دَلَالَةً عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ لِشِوَعِ الصِّفَاءِ اللَّغَوِيِّ.

وَأَعُودُ إِلَى لُغَةِ الْجَاحِظِ الَّذِي يُورِدُ "قَوْلَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي
قِيلَ لَهُ: أَتَحْسَنُ وَصْفَ النِّسَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِذَا عَذَّبَ ثَنَائِبَاهَا، وَسَهَّلَ
خُذَاهَا، وَنَهَّدَ ثَنَائِبَهَا، وَالتَّفَّ فُخْذَاهَا، وَعَرَضَ وَرَكَاهَا، وَجَدَّلَ
سَاقَهَا، فَتَلَكَّمْ هَمَّ النَّفْسِ وَمَنَاهَا"¹. وَيُورِدُ أَيْضاً أَوْصَافاً جَدَّ دَقِيقَةً
لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فِي مَجَالِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، وَهِيَ أَلْفَاظٌ دَافِعِيَّةٌ
تَعْمَلُ عَلَى تَتَمِّيَّةِ مُلْكَةِ النَّظْمِ "لَا شَكَّ فِي أَنَّ هُنَاكَ سَمَاتٍ أُخْرَى
اشْتَهَرَ بِهَا أَسْلُوبُ الْجَاحِظِ كَالْإِطْنَابِ وَالِاسْتِطْرَادِ وَبِرُوزِ
الشَّخْصِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِضْحَاقِ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْاسْتِشْهَادِ
بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالشَّعْرِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ التَّكَلُّفِ... لَمْ أَرَ
فَائِدَةً مِنْ تَكَرُّرِهَا لِاسْتِفَاضَةِ شَهْرَتِهَا فِي الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَحْدِثُ
عَنِ الْجَاحِظِ، وَخُصُوصاً الْاسْتِطْرَادِ الَّذِي عُلِّهَ الْجَاحِظُ بِدَفْعِ
الْمَلَلِ وَالسَّامَةِ عَنِ الْقَارِئِ، وَلَجَأَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَزْجِ الْجَدِّ
بِالْهَزْلِ، أَوْ الْخُرُوجِ مِنَ النَّثْرِ إِلَى الشَّعْرِ. غَيْرَ أَنَّ مِنَ الْمُفِيدِ دَائِماً
تَحَامُلِ أَسْلُوبِ أَمِيرِ الْبَيَانِ وَالتَّدْقِيقِ فِي عِلَاقَتِهِ بِأَسْلُوبِ الْقُرْآنِ

¹ — عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، تح: فوزي
عطوي. بيروت: 1969، دار صعب، ص 124.

والحديث النبويّ وتأثيره في أساليب الأدباء والذين أتوا بعده
وخصوصاً التّوحيديّ الذي لُقّبَ بالجاحظ الثاني¹. فإذا كان
الأقدمون ينصحوننا بالاستشهاد بكتب الجاحظ فما هي مقوّمات
الجمال الأدبيّ في لغة الجاحظ أو في اللّغة العربيّة عامّة؟

إنّ الجاحظ يُعدّد مقوّمات الجمال الأدبيّ في البناء الجماليّ
وهو الذي يقول "إنّ الحُسْنَ أدقُّ وأرقُّ من أن يدركه كلّ من
أبصر... فإنّ معرفةً وجوه الجمال والقبح لا تتأتّى إلّا لثاقبِ
النّظر الماهر البصر الطّيب في الصّناعة"². وذلك الشّخص الذي
أجاب عن سؤال: فيمَ الجمال؟ قال: الجمالُ في اللّسان، وما اعتادَ
عليه النّاسُ وتقبّلوه واستحسنوه وتعرّفوا عليه جميلاً. إذاً مقوّمات
الجمال الأدبيّ مُتنوّعة مثل تنوّع الكلام من حيث نظمه إلى:
شعر — سجع — مُرسل، ويمتاز الكلام الشّاعريّ بأنّه من الكلام
العاطفيّ والخياليّ، ويرتكز على تناسب الفواصل، ولا ينفى
إحكام الرّأي في أحكام القول، وبذلك أبدع القدامى في القول
وتفاصحوا فيه، وقال أحد الشعراء:

¹ — عزت السيد أحمد "مقوّمات الجمال عند الجاحظ" مجلة التّراث
العربيّ. دمشق: 1995، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، العدد 11
ص 102.

² — الجاحظ، القيان، آثار الجاحظ، تح: عمر أبو النّصر. بيروت:
1969، مطبعة النّجوى، ص 80-81.

فالوجهُ مثل الصّبحِ مُبَيّضٌ والفَرْعُ مثل اللَّيْلِ مُسَوّدٌ

ضِدَانٍ لما استُجمعا حُسْنًا والضِدُّ يُظهر حُسْنَ الضدِّ

وقال شاعر آخر:

وقلبٌ تقضضُهُ الذِّكرياتُ كما قضمضَ الظَّبيّةُ القَسُورُ

وهكذا، فمن ينشد حِرْقَةَ الكلام ومفاصل الأداء وآداب السلوك عليه أن يتسلَّح بالعدّة الكلاميّة وصولاً إلى صناعة الكلام.

وإذا وقفت عند الجاحظ وقفاتٍ، لا بدّ أن أقف وقفاتٍ أخرى عند إمام البلاغة والنّظم ♥ عبد القاهر الجرجانيّ. فغير خافٍ ما أصابَ حياتنا الثقافيّة والبحثيّة من تغريب منذ هذا القرن، ولَهَات أصحابُ الفكر الحدائِيّ وراء تقديم الفكر الغربيّ على أنّه المُخلص والزّاد الوحيد لِلحَاق بالحدّاثَة، والتّهوين من قدرة تراثنا العربيّ، وبثّ بذور القطيعة بيننا وبينه في محاولة مسبقة لاجتثاث الهويّة. ولهذا رغبتُ في هذا التّمهيد إعلام القارئ

♥ — سبق لي أن أنجزتُ عمليْن بخصوص عبد القاهر الجرجانيّ وهما:

1— التّراكيب النّحويّة وسيّاقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجانيّ. الجزائر: 1994، ديوان المطبوعات الجامعيّة.

2— نظرية النّظم. الجزائر: 2001، دار هومة للطّبع والنّشر والتّوزيع.

بمنهج الإمام عبد القاهر الجرجانيّ في صُنع منهجٍ عربيّ لتحليل النصوص بما يُلائم الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، واستلّهام علوّ الهمة واستشراف الغايات العظمى لمحبة اللّغة العربيّة، والتّعامل بها ومعها، والبحث وراء توضيح معالمها، وبذلك نفيد من ثقافتها ونعمل على توسيعها وإفادة الثقافات الأخرى بتلك النظريات التي يحملها تراثها المجيد.

وإنّها لغاية كبرى أن نحفظ أصول هُويتنا مع التّفَتّح على الآخر لا الذّوبان في أفكاره، والركّوع لما يقوله دون تعميق البحث اللّغويّ وإثرائه بمعطياتنا أولاً، ثمّ لا مانع أن نتعامل مع الفكر الغربيّ إذا كان مُضيفاً للغتنا.

أريد توجيه القارئ ليكون ملماً بفكر التّراث العربيّ في مقابل النّظرة السّلبية التي أهملته اكتفاءً بما هو مُستورد أو مُترجم. أريد من القارئ أن ينطلق من نظرة جديدة في قراءة الإمام عبد القاهر لتكون له نظرة في فهم النّظرية العربيّة اللّسانية التي تتكئ على التّراث، وتحافظ على الهويّة اللّغويّة، وتتفتّح على الحداثة وهي من سمات النظريات المعاصرة. إنّ فكر عبد القاهر فكر نير ينطلق من علوم اللّغة العربيّة العاملة على الدّرس البلاغيّ والنّقديّ، وتراه يرسم الأبعاد الحديثة للاتّجاهات النّقدية الحديثة.

إنّ فكرَ عبد القاهر يعمل على مباحث فقه اللّغة، ويربط بين اللّغة والعصبية، وفي ذات الوقت يتحدّث عن تفضيل اللّغات وعلّة التّفضيل، وعن المعنى اللّغويّ ومكوّناته وعناصره وكيفية تعلّق الفكر بمعاني الكلم، والحديث عن الدّلالة النّحويّة على مستوى الأصوات والجمال في دلائل الإعجاز. إنّ فكر عبد القاهر يقدّم المجاز والتّجانس والتّلاؤم ودور السّياق وسمات بناء الكلام والتّركيب النّحويّ في صيغة جديدة بتوظيف القاعدة النّحوية في استجلاء المعانيّ البلاغيّة والنّظر إلى الرّتبة وأسرار التّصرّف فيها، وإلى حروف المعاني ودورها في التّراكيب اللّغويّة.

إنّ فكر عبد القاهر يقوم على معيار الصّواب والخطأ في التّركيب النّحويّ بين الوضع والاستعمال، ويخصّ مؤكّدات الجملة بنظرة التّحليل المُعجميّ وصوّرها الوظيفيّة، وتوظيف القرآن، وكلام الشعراء وعلماء الشّعريّ في تطوير الدّرس البلاغيّ ووضع الضّوابط من كلام البحتريّ وأبي تمام والجاحظ. إنّ عبد القاهر يعمل على أصول الصّناعات البشريّة في تأصيل وتقريب أصول الصّنعة البلاغيّة (النّظم — النّسج — التّحبير — التّوشية — البناء — الصّناعة — التّرويض...) بصور تُجلي الأسس الفنيّة في الإبداع والتّحليل.

إنّ فكر عبد القاهر يعمل على مُراعاة الأعراف اللّغويّة في الإبداع والتّحليل في المذاهب الكلاميّة بإعمال الأسس العقليّة والفلسفيّة والنّظرة الكليّة في بلاغة عبد القاهر. وبلاغة عبد القاهر هي الآن في مرآة اللّسانيّات الحديثة لها مقام وأيّ مقام؛ مقام عالٍ في مرآة النّقد الحديث وفي صدارة النّظريّة التّحويليّة التّوليديّة.

وكم من علماء فُتتوا بفكر عبد القاهر بدءاً من الزّمخشريّ والحاج صالح، وجعفر دكّ الباب، وعبد العزيز حمودة، وما نالته نظريته في كلام تشومسكي. فكلام عبد القاهر له مقام لدى أصحاب الأصالة والمعاصرة. وهذا ما يعيّدنا إلى الإعجاز اللّغويّ الذي انطلق منه عبدُ القاهر بأنّ معالم التّلاقّي يكمن في تلك الصّناعة التي لها أنماط مُتعدّدة، وكل نمط له بيانه الخاصّ وهذا ما هو موجود في القرآن الكريم. ومحاولة القرب من تمثّل الصّناعة الإعجازيّة ممكنة في حدود الأبعاد التي هي من خصوصيات المبدع في النصّ على ضوء المنهج الذي يسلكه. وبهذا أقول: إنّ تراثنا غنيّ بالمعرفة النّظميّة التي هي عمدة تقنيات التّعبير إن حاولنا فهمه واستجلاء معالمه ضمن رؤية حديثة في تعدّد الجزئيّات وشموليّة الرّؤية، ووفق التّجديد والحفاظ على الهويّة، ويمكن أن يتحقّق كلّ هذا إذا احترمنا دقّة

العبارة اللغوية للغة العربية وشمولية النظرة التواصلية بين القارئ وصاحب النص المبدع.

وهكذا أقول: رُغم زوالِ الفصاحة في وقتنا، ولكن ليس بالغريب أن يكون لدينا فصحاء وبلغاء، وهذا باحتذاء المناويل المثلى المتعلقة بالنطق القويم السليم، والأداء اللغوي الجميل، مع مَسحةٍ من الجمال والأدب الذي يتعدى الآذان، ويصل إلى الأذهان، والتحكم في الألوان. ومن يريد أن يكون بليغاً في لغته عليه أن يُحبّها ويرغب فيها ويعمل على أدائها في كلّ استعمالاته، ولا يكون هذا إلاّ بامتلاك القاعدة، وبدايتها حفظ بعض القرآن الكريم، وبعض الأحاديث، والكثير من الشعر القديم، والمقامات، والأمثال، وعليه أن يُتابع حسن الأداء في الفضائيات، والسماع إلى الخطباء المفوّهين، وإلى المذيعين الكبار، والعمل على تمثّل حسن الأداء، والانفعال معه في مواطن البيان، وإنّ السماع والمُحادثة منشط أساس في عملية التّحكم في اللغة.

تمارين

1- التمرين الأول: اقرأ النص التالي:

"ولا أقول: إنّ القراءات القرآنية قرئت وفق اللهجات المختلفة على حسب ما تنطق به الألسنة؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى اضطراب وتشكيك في هذه القراءات. لأنّ القراءات متواترها وشاذّها وإن كانت فيها ظواهر لهجية فهي محكومة بالرواية عن رسول الله ﷺ وليس لأحد أن يقرأ بلهجته كما يشاء، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنبها الفصحاء كالشكشة في ربيعة ومضر، والعننة في لهجة قيس وتميم، والفحقة في لهجة هذيل".

1- ما تعليقك اللغوي على هذا النص؟

2- ما هي المواصفات الخاصة للغات القبائل التي يُعتدّ بلغاتها؟

3- حدّد القبائل التي استقي منها ديوان العرب؟

4- ما هي الأبعاد العلمية في ذلك التحديد؟

5- ما هو المنهج العلمي المعتمد في ذلك التحديد؟

6- حدّد معالم هذا المنهج بالتفصيل؟

2- التمرين الثاني: قال الحمّدوني في الحسين بن أيوب والي البصرة:

قل لابن أيوب قد أصبحت مأمولاً

لا زال بابك مغشياً ومأهولاً

إن كنت في عطلة فالعذر متّصل

وصل إذا كنت بالسلطان موصولاً

شرّ الأخلاء من ولّى قفاه إذا

كان المؤلّى وأعطى البشر معزولاً

من لم يُسمّن جواداً كان يركبه

في الخصب قام به في الجذب مهزولاً

افرغ لحاجتنا ما دمت مشغولاً

لو قد فرغت لقد أقيت مبذولاً

— الأسئلة:

1- ضع عنواناً جامعاً لهذه البيات؟

2- ما هي الأفكار التي تُثيرها هذه الأبيات؟

— التّمرين الثّالث: يقول عبد الملك مرتاض في مُقدّمة كتابه
(نظريّة اللّغة العربيّة) ما يلي:

وتلّكم كلمات زبرناها ودبّجناها وحلّيناها وحبرناها، وهي بلغة
القرآن سقرناها، وأفكار من العلم ناقشناها، ثمّ قررناها، وأطراف
من جميلات العربيّة أحييناها فسقناها، ثمّ ازدفناها ونصصناها
نصصناها على طبق حريريّ للقارئ الأريب الذي يهوها ولا
يقلاها، و"يقلاها" لغة طيبيّ في "يقلّوها" وهي في الشّاهد الذي
تلاها فجلّاه:

أيامَ أمّ الغمر لا نقلاها ولو تشاء قُبِلَتْ عيناها

وإنّها للعربية، ربّها لغةٌ، ما أبدعها وأحلاها، وأوسعها وأعلاها
وأكملها وأرقاها، وأسهلها وأغناها... العربية حسناء ألفاظها درّ
على نحرها، وكُحِلَ في عيناها، وخَفَرٌ على خدّها، وأساورٌ على
معصمها، وبسمةٌ على ثغرها، وزينة على شفتائها؛ وبهاء على
سبرها، وقُرطان في أذناها، وسرٌّ عبقري في ناصيتها وخلخالان
على مُخلخالها. وهذا كلّهُ على لغة من قال مُعرّضاً بحبيبته
واصفاً إياها:

إنّ أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها

[illegible]

التَّحَكُّمُ فِي اللِّغَةِ

سيكون الحديثُ عن وَصَفَات تُقَدِّم للقارئ العربي ومُستعمل اللِّغة العربيَّة في كَيْفِيَّات التَّحَكُّم في اللِّغة، وهذا بمراعاة مجموعة من الخصائص، وبخاصَّةِ العُدَّة اللِّغويَّة التي يُكوِّنها التِّلْمِيز في مراحلهِ القاعدِيَّة، والحفظ الذي يجب أن يتسلَّح به، هذا من جهةٍ ومن جهةٍ ثانية؛ يكون الحديث عن ظاهرة سوء الأداء اللِّغويِّ من خلال الضَّعْف المُستشري في أولادنا، والذي لم يحصل منذ الاستقلال إلى غاية سنة ألفين (2000) فالتَّدْهَوْر بدأ مع الألفيَّة الجديدة تقريباً، ويزداد استفحالاً على كثير من الصُّعْد، وبخاصَّة بعدَ تطبيق الإصلاحات التَّربويَّة. ضعفٌ ظهر جلياً في سوء التَّحَكُّم في اللِّغات: العربيَّة — الفرنسيَّة. ضعفٌ يعدُّ ظاهرة خطيرة تنذرنا بإعادة النَّظر في استراتيجيَّات تعليميَّات اللِّغات عامَّة، فكيف يمكن التَّحَكُّم في اللِّغة العربيَّة والفرنسيَّة. وأما الحديثُ عن المازيغيَّة، فلا يمكن أن نقيم تقويماً لها باعتبارها لغة وطنيَّة دخلت المدرسة حديثاً، فهي تراوح مكانها لغياب تعميمها ثمَّ ما تعيشه من مزاحمة لغات المدرسة التي تفوقها قيمة وعلميَّة وحضارة، والمسألة الجديرة بانحطاطها المتواصل هو عدم الفصل في كتابها بالحروف العربيَّة. ولو كان يدري أصحاب القرار كم يكون جميلاً أن تكتب المازيغيَّات بحروفها التي تعرف بها، وهذا هو المطلوب لكي تكون لغة الحياة البربريَّة كما كانت

عند السلف، وإن لم يكن ذلك أن تكتب بالحرف العربي لتكون لغات كلّ الجزائريين، بل عن طريق ذلك يمكن لكلّ جزائري أن يحفظ في كلّ يوم كلمة مكتوبة بالحرف العربي. أما أن تكتب بالحرف اللاتينيّ فيعني إخراجها من دائرة اللغات الوطنيّة، فهي لغات غربيّة لاتينيّة، وهذه دعوة صريحة للانفصال ذات يوم، أو الدّعوة إلى الحكم الكونفدراليّ/ الذاتي.

إنّ حقّ التّحكّم في اللّغة أن تمتلك منتهى، ومنها: الدّلالة المُعجميّة — معرفة قواعدها — حفظ أمثالها ومسكوكاتها، وأقوال الحكماء، واستيعاب الأمثال؛ فهي مرآة تعكس ثقافة المجتمع وتقاليدته التي لم يدونها، وطُلاب هذا اليوم مُنصرفون عن الأمثال كلّ الانصراف، وهذا ما لم تُعلّمه المدرسة، ونحن نسير مع الغرب في كلّ صُورته، وفي استعمال لغته، عن طريق التّهجين والاقْتباس الرّكيك، ومحاولة تبنّي مسكوكات اللّغات الأجنبيّة بالتّعريب المُخلّ بالقواعد، وهو أمر لا تقبله القواعد، وبذلك لا نعمل على الإبداع، بقدر ما نعمل على التّقليد، فمثلاً في عماراتنا نبنّي شُرُفات تطلّ على الشّوارع، وهذه نقلاً عن أوروبا؛ والأوروبيون يستعملونها في أنّهم يجلسون بعائلاتهم للتّنزه على الخارج، وتناول —أحياناً— فطور الصّباح، أو الغداء، وشمّ الهواء... نحن نبنّي العمارات على طرازهم دون معرفة السّبب

فهل نتناول الفطور في أَل Balcon، أو تجلس عائلاً لتطلّ على الشارع، فما الفائدةُ في ذلك التقليد؟

لا نستعملُ الشّيءَ لما أُعِدَّ له، فنحن نحجبُ (البالكون) إذا لم نَبْنِه، أو نجعله للخُرْدَة، أو لمبيت كبش العيد مع تَبْنِه... وهذا كلّه بسبب تلك التّصاميم التي يدرسها مهندسونا وهي من بيئة غربيّة دون دراسة أحوال المجتمع الجزائريّ، وينقلونها إلى مجتمعنا ويُرغموننا على تطبيقها رغم أنوفنا، وهي لا تتماشى ومُعطياتنا الثقافيّة والاجتماعيّة. وما ينطبق على بناء العمارات المُخلّ بخصائصنا، هو ذاته في أكالات فنادقنا؛ فهي أكالات غربيّات وذات الشّيء في غرف النّوم التي هي من طراز الغرب، فتبحث عن الماء للغسل فلا تجد إلّا الكاغد. وهذا ما ينطبق على احتذاء مناويل لغتهم تقليداً لهم، أو استعمال لغتهم لتكون مثلهم، ونبعد عن لغتنا على أنّها لا تقدّمنا. ونستعمل مناويل لغتهم أو نستعمل ألفاظ لغتهم وهي لا تنطبق على لغتهم بحكم البُعد في الأرومة والحضارة، ولكن نحن معهم عُنوة. وفي الحقيقة إنّ استعمال الألفاظ الأجنبية دون مسوّغ يُسيء إلى حسن الكلام وجودته وهذا بالاتّفاق الجمعيّ بين المُختصّين، كما أنّ استعمال لغةٍ الغير لا يعني أن تكونَ منهم، بل إنّ الأمّ تحيا بلغاتها، كما تحيا اللّغاتُ بأُممها، فإذا رأيتَ أُمَّةً خاملةً مُتخلّفةً؛ فاعلم أنّ لغتها خاملةٌ مُتخلّفةٌ، فاللّغة تعكس الأوضاع القائمةَ فيها.

وهذا هو الواقع الذي نعيشه، فنشهد أُمِّيَّةً كبيرةً في أن هذا الجيلَ جيلٌ أُمِّيٌّ في لغته، جيل لا يتقن لغته ولا يتقن اللّغات الأجنبيَّة، جيل وصل إلى الجامعة وهو لا يعرف إلّا قليلاً من لغته، أليست هذه أُمِّيَّةٌ جامعيَّة. فكيف يمكن للطالب أن يتحكّم في اللّغة العربيَّة وهو لا يمارسها، فكيف له أن يبدع وهو يقهرها قهراً دون مراعاة خصائصها، فأنت تتحكّم في اللّغة العربيَّة؛ عليك الآتي:

- 1— حبّ هذه اللّغة؛
- 2— القراءة والقراءة، ثمّ الإكثار من القراءة؛
- 3— تمثّل الأنماط الجميلة الحاملة للوجوه الفنيَّة؛
- 4— استعمال اللّغة العربيَّة في كلّ المواقف؛
- 5— محاولة التّصدّر في المناسبات والنّقاغ بالعربيَّة؛
- 6— بذل الجهد في الكتابة والإسهام في الكتابة الصّحافيَّة؛
- 7— الإسهام في البحوث، ومحاولة نسج منوال يخصّك.
- 8— الاطلاع على الخطب المنبريَّة: لا يكتمل العلم بالفصاحة إلّا بالاطلاع الوثيق على لغة تلك الخطب المنبريَّة، بما جمعه الحافظ ابن الجوزي، وما أنتجه العلّامة الأكمّل محمد بن أحمد بن عبد الباري، وما خطّه صديق حسن خان... فهي خطب

تربّي الدّوق، فخذها أيّها إليك سهلة المساق، عذبة المذاق، تجد أنّها تعمل على تقريب القاصي وتذيب العاصي. خطب منبرية تمتزج لطائفها بالإفهام امتزاج الدّم بالمدام، في مجالس المصرة بما يُستدام. خطب منبرية هي الحكم الفصل بين صحيح القول وفاسده، والميزان العدل لمعرفة الوزن عن قاصده. خطب منبرية لا تضيق عندها العبارة، بل تتسع لها الإرادة، ففيها ما لذّ في السّمع والمنظر، لا سيّما ما كان على طريقة الأثر. وهذا ما ننصح به الطّلاب الذين نأمل منهم التّطّلاب لمعرفة الآداب.

تلك وصّة بسيطة يمكن أن تعمل على علاج الضّعف الذي يعلّق بفئات كبيرة من المجتمع الطّلابي الذي لا يمكن أن تصنّفه في فئة الطّلاب. وكان علينا نحن الأساتذة- البحث عن الخل فأين يكمن الخل؟ فهل يعود إلى عدم المراس والدّربة؟ أم يعود إلى عدم الاستعمال؟

تمارين

– التّمرين الأوّل: مقطع من المقامة السّجارية

حكى الحارث بن همّام قال: قفلت ذات مرّة من الشّام، أنحو مدينة السّلام، في ركب من بني نمير، ورُفقة أولي خير ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان، وسلوة الثّكلان

وأعجوبة الزّمان، والمُشار إليه بالبنان، في البيان. فصادفَ
 نزولنا سِنْجار أن أوْلَمَ بها أحدُ التّجار، فدعا إلى مادّته الجفلى
 من أهل الحضارة والفلا، حتّى سَرَتْ دعوته إلى القافلة، وجمع
 فيها بين الفريضة والناّفة، فلما أجبنا مناديه، وحلّلنا ناديه
 أحضر من أطعمة اليد واليدين، ما حَلَ في الفم وحلّى بالعين. ثمّ
 قدّم كأنّما جمّد من الهواء أو جُمع من الهباء، أو صيغَ من نور
 الفضاء، أو قشّر من الدرّة البيضاء، وضُمّخ بالطيّب العميم
 وسبق إليه شرباً من تسنيم، وسَقَر عن مرأى وسيم، أرج نسيم
 فلما اضطرمت بمحضره الشّهوات، وقرمت إلى مخبره اللّهوات
 وشارف أن تُشنّ على سربه الغارات، ويُنادي عند نهبه يا
 للثّارات. أبو زيد كالمجنون، وتباعَدَ عنه تباعد الضّب من
 النّون...

الأسئلة:

- 1- في أي جنس أدبيّ تصنّف المقامة؟
- 2- ما هي المُلح اللّغويّة التي تستنتجها من مقطع المقامة؟
- 3- حاول تمثّلها في نسج منتوجك من الإبداع؟

— التّمرين الثّاني: بصفتك طالباً تعيش هذا الوضع المأساويّ الذي يشتكي فيه المختصون من ضعف الأداء لدى الطّالب ففرجو تقديم الصّعوبات التي تضايقتك من الجوانب اللّغويّة لتكون مفوّهاً؟

— التّمرين الثّالث: ضع علامات الوقف المناسبة في محالها؟

قد تكون اللغة العربية أدق اللغات البشرية في الكون تعبيراً عن خلجات النفوس وتصويراً لبنات الصدور ذلك بأن فيها من التفاريق الدلالية الدقيقة ومن التخاليف التفصيلية اللطيفة في اطلاق التسميات وفي نعت الاوصاف ما قد لا يوجد في سوائها من أكبر اللغات في العالم ولهذا نروم أن تكون لغتنا العظيمة كبيرة فما أعجب بها من لغة فهل يمكن لهذا الجيل أن يعيد لها اعتبارها.

— التّمرين الرّابع: صحّح الأخطاء الواردة في النصّ الآتي؟

من المأسف عليه أن يحصل الطّالب على علامة إثنى عشر نقطة، وهو يحاول ان يحسّن مستواها في المرحلة الابتدائية التي لم تعمل على أن تعطيه نقطة جيّدة يرفع بها مستواه اللغوي الذي أخذل بسوء التّأدية. ونعلم إنّ الضّعف غير مقبول في الأداء اللغوي المطلوب أن يتحكّم فيه الطالب. ولها فإنّ العملية التعليمية

تحاول جاهدة الوصول إلى مرحلة الاشباع الفظولي في المتوسط ومن ثمّ في الثّانويّ. وأما في المرحلة الجامعية فتبقى الحال على وضعه السابق دون مزيدة من التّحكم في تكامل الدروس. فما أقبح نظاماً لا يعمل على الطريقة اللغوية في المرحلة الابتدائية فهل نحن واعين بخطورة الوضع الغوي الذي سوف نصلوا إليه.

– التّمرين الخامس: صحّ الأخطاء التّالية، وبيّن القاعدة النّحويّة؟

– أشعلوا أضوائكم داخل النّفق:

– حذاري من الأخطاء اللّغويّة:

– حصلت على الرّتبة الثّالث عشر:

– نلتُ علامة اثني عشر نقطة.....

– اشتريت كيلوا واحد من البرتقال بأربعة ديناراً.....

– التّمرين السّادس: جسّد الأرقام التّالية بالحروف، مع التّدقيق اللّغويّ المطلوب؟

– ولدتُ في 12 فبراير 1990م.....

- قبضتُ (120) دينار من البنك.....
- نلتُ الرتبة (11) في الترتيب عام (2000).....
- قرأتُ (23) صفحة خلال (5) يوم.....
- يحوي الكتابُ على (213) ورقة.....
- سحبتُ (290) دينار.....
- في بيتنا (5) عجل، و(4) معز.....
- يملك أبي (18) هكتار من أرض.....
- نلتُ علامة (12) من (20).....
- لدينا (23) كأساً، و(30) مغرفة.....
- يحوي قسمنا على (12) طالبة و(11) طالب.....

— التمرين السابع: اقرأ هذه الخطبة، ثمّ أجب عن الأسئلة
الواردة أسفلها؟

الحمد لله مُنزل القرآن، وخالق الإنسان، وعَلّمه البيان، الذي
استوى على العرش، وزيّن السماء بالكواكب، وجعلها رجوماً

لكلّ شيطان قضى وقدر، فلا قائل لتقديره، لمَ كان؟ فسبحان من
سبّحته غرائب اللّغة باختلاف الألحان.

أما بعد؛ أيّها النّاس اسلكوا سبيل الهدى فقد وضح الحقّ
واستبان، وتجنّبوا مسالك الغفلة والفسق والعصيان، واعمروا
القلوب بالتّقوى، وكفّوا النّفوس عن الشّهوات عند التّوقان، وندّوا
الذّنوب بفيض الدّموع، ومواصلة الأحزان.

فيا من أضاع الشّباب في المعاصي، وعند المشيب يندم على
مال كان، ويا تائهاً في تيه الغفلة، نهارك للأسباب، وليك للرقّاد
هذه علامة الخسران، اسرح على ساحل التّوبة، وقو عزم النّدم
على ما سبق من العصيان...

الأسئلة:

- 1— ما هو الجنس الأدبيّ الذي تُصنّف فيه الخطب المنبريّة؟
- 2— استخرج اللّطائف الأسلوبية في هذه الخطبة؟
- 3— انسج على منوالها خطبة وعظ توجّهها لزملائك لحثّهم
على الإكثار من المطالعة؟

الإِتْقَانُ اللِّغَوِيُّ

إذا شَخَّصْنَا كلمة (أَتَقَنَ) في جانبها الْمُعْجَمِيّ والاصْطِلَاحِيّ نجدها تدور في: أَتَقَنَ: "يُتَقَنُ إِتْقَانًا. أُنْقِنَ الْعَمَلُ: أَحْكَمَهُ" لا بدّ للمُترجم النّاجح أن يُتَقِنَ عدداً من اللّغات إِتْقَاناً مصدر أُنْقِنَ. أكْمَلَ عَمَلَهُ ببراعةٍ وإِتْقَانٍ وفي غاية الدِّقَّة: بمنتهى الإِتْقَان. تقانة: الإِحكام على وجه الدِّقَّة والضَّبْط. تَقَنَ/ تَقَّنَ جمع أَتَقَنَ = الحاذق المُحكم المُتَقَن¹. رحم الله امرأً عملَ عملاً فأَتَقَنَهُ، والإِتْقَانُ عدم الجُرْح في الشَّيْء. الإِتْقَانُ اللِّغَوِيّ = الأَمْنُ اللِّغَوِيّ؛ والذي هو عدّة التَّلْمِيز والطَّالِب والأُسْتاذ والمنهاج والإِنْتاج العلميّ. ومن شروط إِتْقَان فنّ الاستعمال اللِّغَوِيّ الفصيح في اللّغة العربيّة:

"1— أن تكون لغة الحكومة في دوائرها، ولغة العلم في مدارسها وغيرها.

2— أن تكون المُرافعةُ والمُدافعةُ في المحاكم الوطنيّة باللّغة العربيّة.

3— أن تنتشر الصّحفُ الكثيرة بين أفراد الأمّة.

4— أن ينتشر التّمثيل باللّغة العربيّة.

¹ — الأليكسو، المعجم العربيّ الأساسيّ. تونس: 1998، طبعة لاروس، مادة: تعس.

- 5- وجود الأندية والجمعيات، وإن كان قليلاً، وذلك أن الخطابة والمحاضرة وما شاكلهما له أثر عظيم في نشر الفصح.
- 6- جعل اللغة العربية شرطاً لاجتياز امتحان الثانوية العامة.
- 7- إجراء مسابقة لطلاب الوظائف في الحكومة واختيارهم باللغة¹.

إن اللغة تتوارث وتُتعلَّم بالتلقين والتلقيّ والسّماع والممارسة أكثر منها بالتعمّق في أصولها وقواعدها، وسلامتها تعود إلى مجال التدريس قبل كلّ شيء، فإذا نمت اللغة نمواً صحيحاً في البيئة الأولى للمُتعلِّم غدت الأجيال الناشئة تتلقّوها تلقّفاً عفويّاً ولهذا تتكئ كلّ الأمم على رياض الأطفال والمدرسة في تلقين اللغة تلقيناً سليماً وكافياً، عن طريق التعليم الصّحيح، فلا يُسمح لمن يتولّى التدريس إلّا أن يكون عنده زادٌ من الإتيقان الشّفويّ والكتابيّ. وأسَمّيها بالكفايات اللّغويّة، فما هي هذه الكفايات؟

1- الكفاية اللّسانية: وهي مراعاة القواعد البنائيّة للغة. وإنّه سيكون من المتعذّر إنجازُ تعابير معيّنة في غياب معرفة دقيقة بالمستوى المعجميّ والتركيبيّ للغة. ولذا فإنّ الكفاية اللّسانية تعمل على إغناء الثروة اللّغويّة والرّصيد المعرفيّ لمستعمل اللغة

¹ - بسمّة بديع رحيم، محمّد سليم الجندي من أعلام العربيّة. دمشق: 2011، منشورات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ص 49.

في مختلف الوضعيات الحيّة لفعل التّعبير، كما توفّر الكفاية اللّسانية معياراً أساسياً في عملية اختيار الأساليب الممكنة واللائقة بمراعاة المقام، والحال، ومقتضى الحال والسّياق. ومن هذا المنطلق لا يكون المتحدّث عاقراً في بناء تعابير، ولا مُغرَقاً في البساطة والوضوح حتى لا يفرغ محاولات بناء المعنى من الجديّة المطلوبة. وتتحقّق الكفاية اللّسانية من فعل ممارسة القراءة الدّائمة، ومواجهة مختلف المواقع الظّاهرة والجماليّة القائمة على التّخفيّ والتّستر، وفي كلّ منها فإنّ التّعبير السّليم يعود إلى المتن اللّغويّ المكتسب، ولهذا يؤكّد الباحثون أهميّة لغة المرحلة الأولى من التّعليم، وبخاصّة لغة المسرح وأدب الطّفل.

— **الكفاية المنطقيّة:** وهي مراعاة تلك العمليات التي تتمّ بواسطة اللّغة الطّبيعيّة التي تُستعمل عبر عمليّات فكريّة مُعيّنة وفيها مراعاة:

— المنطق اللّغويّ الذي تحتكم إليه اللّغة؛

— المنطق العفويّ البسيط الذي تتمنطق فيه اللّغة؛

— العمليّات الاستدلاليّة التي تنتج عن علاقات التّماثل والاختلاف في السّمات؛

— الاستدلالات النّاتجة عن علاقة سبب بنتيجة ثمّ بسبب؛

— الانطلاق من المُمكن إلى الضّروريّ؛

— الاستدلال القيميّ الأخلاقيّ.

— **الكفاية الموسوعيّة:** لا يعني أنّ الطّالب يكون موسوعياً، بل المقصود هنا ضرورة استكناه الطّالب لخزان المعلومات خارج التكلّمات اليوميّة الضيّقة، وتكمن في أنّ الأحداث/ العلوم/ الحضارة/ الفلسفة... هي معارف يستعملها المتحدّث في مواقف يستدعي استرجاعها والاحتكام إليها بالمعرفة أو بالشواهد، وتلك سمّة الاطلاع لدى الطّالب اللّغويّ. وعليه أن يكون مُسلّحاً بمعلومات عامّة مُحَيّنة مَوْضُوعيّة ذات قيمة مشتركة.

— **الكفاية البلاغيّة/ التّداوليّة:** وهي مجموع المعارف التي تشكّل الرّصيد البلاغيّ التّداوليّ لمستعمل اللّغة؛ والتي يستعملها في تعابيره أثناء الخطابات المتنوّعة، وهي تستدعي الانزياح والخرق اللّغويّ، والمعنى المجازيّ، بفعل ما تحمله من ميول عاطفيّة وبلاغيّة وتلقائيّة وطلاقة. ولكي تتحقّق هذه الطّلاقة والعفويّة اللّغويّة المُبدعة ضمن إطار الكفاية اللّسانيّة كان أن تنمو مهارة التّلقائيّة من المعلّم لصنع نماذج/ مناويل تُحتذى. ولهذا يقع تأكيد دائم على المعلّم/ الأستاذ المُبدع الذي يجعل الطّلاب ينسجون على منوال لغته أمثلة نوعيّة، فإذا غاب الأستاذ المُبدع، أن تُدرس هذه المادّة من شاعر أو مُبدع أو كاتب؛

لكمون المعاني البلاغية في ما كان يُنتجه ويُبدعه. ويجب الإقرار بأنّ المرحلة الجامعية تأتي مُكمّلة للمرحلة القاعدية، وهذه السّنن اللّغوية يجب أن تُستضمّرَ في المراحل القاعدية، فتعمل الجامعة على تحسينها وإيقاظها، وتزيد عليها بعض الأنماط فقط.

وأمام هذه المُحدّدات، هل عملت المدرسة على:

1- تطوير وعي الطّفل بالكلمات الشّفوية لوحداث لغوية.

2- إثراء ثروته اللفظية الفنية.

3- تقويم روابط المعنى عنده.

4- تمكينه من تشكيل الجمل وتركيبها.

5- تنمية قدرته على تنظيم الأفكار في وحدات لغوية.

6- تحسين هجائه ونطقه.

7- استخدامه للتعبير القصصي المُسلي¹.

لا يمكن الجزم بالنتائج التي قدّمتها المرحلة القاعدية على أنّها وصلت المرغوب، ولكنّي أظنّ فيها بحكم ما وصلنا إليه من

¹ - فتحي علي يونس وآخرون، أساسيات تعليم اللّغة العربية (التربية الدينية). القاهرة: 1981، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص

سوء الإتقان والأداء الجيد الذي لم نبلغ فيه نسبة 20 % من التحكم اللغوي، ولهذا فمرحلة القاعدة؛ مرحلة لم تكن مهيأة، أو عاشت بعض الإخفاقات، وظهرت فيها الكثير من الفراغات التعليمية، وكان على المرحلة الجامعية أن تضيف القليل، ولكن الآن نراها تبني من جديد؛ بحيث تعمل الجامعة وفق تيارين:

1- تيار التصحيح اللغوي: وهو تهيئة لغوية من جديد، في تصحيح الأخطاء، وبناء أنماط أصابها الخدش، والعودة إلى القواعد اللغوية من جديد. فالى متي يبقى الطالب يُدقق في أموره اللغوية، وفي لغته المتعثرة.

2- تيار الإضافة: فمن الصعوبة أن تحصل الإضافة لمن ليس له دراية ولا قاعدة، ومع ذلك فالجامعة الآن تعمل على الإضافة والتعزيز بإشراك الطالب في:

— التحضير لعقد ندوة وإدارتها؛

— إشراكه في مخاطبة الحضور في موضوع ما أمام زملائه أو جماعة من الناس؛

— مطالبته بقصّ قصة أو حكاية؛

— مُطالِبته بتقديم تقرير عن عمل ما قام به؛

— مُطالِبته بالتعليق على حدث أو خبر ما.

— تكليفه بتمثيل زملائه في محفل علمي.

ومع كلّ هذا، فإنّه يصعب استدراك الكثير من الفراغ، الكثير من النقائص، ما أصعب أن تبدأ من جديد، وفي كلّ مرة نعيش القول المكرور، ما أصعب أنّا نقول: لمّا نصل إلى المرغوب. ولهذا لم نبدع في لغتنا كما أبدع فيها السلف، وهذا ما يظهر في ذلك التراث الهامّ، والطّرافة فيه كيف ننقله بلغة العصر، وعبره نقيم جسور التّواصل الأدبيّ والوجدانيّ، ونعائِن تنوّع وغنى الأجناس في الحكّي والملاحم والنّوادر.

تمرين

"وحكى أنّ هرقل ملك الرّوم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله عن الشّيء ولا شيء، وعن دين لا يقبل الله غيره، وعن مفتاح الصّلاة، وعن غرس الجنّة، وعن صلاة كلّ شيء، وعن أربعة فيهم الرّوح ولم يركضوا في أصلاب الرّجل وأرحام النّساء، وعن رجلٍ لا أب له، وعن رجلٍ لا أم له، وعن قبرٍ جرى بصاحبه، وعن قوسٍ قُزح وما هو، وعن بقعةٍ طلعت

عليها الشَّمْسُ مرّةً واحدةً ولم تطلع قبلها ولا بعدها، وعن طاعن
 ظعن مرّةً واحدةً ولم يظعن قبلها ولا بعدها، وعن شجرة نبتت
 من غير ماء، وعن شيء تنفّس ولا روح له، وعن اليوم وأمسٍ
 وغدٍ وبعد غدٍ، وعن البرق والرّعدِ وصوته، وعن المَحْوِ الذي
 في القَمَرِ".

ع/ المستطرف في كلّ فنّ مُستطَرَف. المجلد الأوّل، ص 64.

— الأسئلة:

1— ابحثْ واستفسرْ واسأل وأجبْ عن هذه الأسئلة؟

2— ما نوع الخطاب الذي حملته هذه الحكاية؟

3— ما هي الأبعاد الجماليّة التي تحملها؟

4— في أيّ جنس أدبيّ تُصنّف؟

— لماذا لا يتكلم طلابنا لغةً عربيةً فصّحى؟

يدور هذا الموضوعُ حول ضعف أداء طلابنا اللّغويّ في اللّغة العربيّة، دون الحديث عن الضّعف الكامل في الفرنسيّة، ولهذا لا يمكن لي أن أتحدّث عن وصفة جاهزة أو محاولة تقديم حلول في تقنيات التّحكم في اللّغة الفصّحى، إلّا بعد أن يعمل الطّالب على أن يرفع مُستواه اللّغويّ، وهذا ليس سهلاً نظراً للمكتسبات القبليّة التي كانت ضعيفة، بل إنّ بعضها أكسبته عدم حبّ هذه اللّغة. كما لا أنكر أن استعمال الفصّحى في واقعنا مدّعاة للسّخرية، لما تحمله من تقعر لفظيّ، وإنّ زمانها قد ولّى، كما أن بدايتها تبدأ مع التّعرف على قواعد النّحو العربيّ، وفي أثناء تفكيك أنماط الجملة التي يجد فيها المتعلّم الكثير من الصّعوبات "إلّا أن صعوبة إدراك القواعد اللّغويّة والنّحويّة تبدأ أثناء المرحلة الدّراسيّة حين يُطالب التّلميذ بتفكيك الجملة، وجعل كلّ كلمة في إطارها وقلبها اللّغويّ، وإعطائها الاسم المناسب لها من حيث محلّها من الأعراب¹". ومن هنا فإنّ التّلميذ/ الطّالب يقرب من تلك المخصّصات اللّغويّة المقاميّة والسيّاقية التي لا يتطلّبها الدّرس أحياناً، فيفرّ منها ويشمئز، لما تحمله من خصائص لا

¹ — فاطمة سحام "الفصّحى أم العاميّة، لماذا لا يتكلم طلبتنا لغةً عربيّةً فصّحى؟" مجلة علوم التّربيّة. المغرب: 2011، المعاهد، العدد السّابع والأربعون (47) ص 63.

نجدها في واقعنا، ويضاف إلى ذلك تلك الطريقة الهجينة التي تُقدَّم بها مادة القواعد. وهنا قد نعذر طلابنا بأنهم لم يتمرّسوا سابقاً على منهجية لغوية تجعلهم يُحبّون اللغة العربية، ومن ثم يفهمونها. ولهذا فإنّ عدم تحكّم طلابنا في استعمال عربية فُصحى هي من موروث سابق من المدرسة، والآن يُعذّرون فهم لا يمكن لهم أن يتحكّموا في عربية غير مستعملة، عربية الكتب المُتقنّة، رغم أنّ أيّة لغة لا تتعلّم بسهولة، بل تحتاج إلى محاكاة ومراس وتمثّل لأنماطها لفترات طويلة، وتحتاج كذلك إلى محيط لغوي صافٍ، وإلى تهيئة أولية، وهناك أسباب أخرى يمكن تلخيصها في الآتي:

— عدم تمكين الطلبة من استعمال اللغة في التمارين؛

— عدم وجود مجلة خاصّة بالأقسام يكتب فيها الطلبة لتحسين أدائهم؛

— انعدام الوسائل السمعية والبصرية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية داخل المؤسسات التربوية؛

— انعدام النوادي العلمية والأدبية، وتلك الفضاءات التي يلتقي فيها الطلبة للمراجعة، والتباحث العلمي، وإجراء التجارب وتقديم المنتج الطلابي؛

وأمام هذا يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها بأنه لا يمكن في يوم ما أن يتحكّم التلميذ/ الطالب في الفصحى. فما هو الحلّ؟

يصعب أن يأتي الحلّ القطع النهائيّ لهذا الأمر، ولكن نرى بأنّ الضّعف اللّغويّ استشرى وعمّ، وأنّ اللّغة العربيّة في واقعنا يُنظر إليها بمنظار غير طبيعيّ، وهذا لعدّة أسباب، ومنها أنّ هذا الجيل:

1— جيل Facebook ثقافته سطحيّة، جاهل بمعالم هذه اللّغة فانبهر بالأجنبيّات التي لا يعرف منها إلّا بعض الأجهزة التي تنتجها، فيرى فيها التّقنيّة التي لا يراها في العربيّة. هذا الجيل خاليّ الوفاض في المعرفة الحضاريّة باللّغة العربيّة، ولكي يحبّ لغته أن يعرف مكنونها. علينا نحن الأساتذة— أن نسلّحه بالارتباط بمصره، الذي يتماشى مع عصره؛ أن يعرف تاريخه وهُويته، ثمّ أن ينعّمس في Twitter وما أشبها، شرط أن ينتج فيها ويضيف، لا يكون مستعملاً ببغواياً قردانياً.

2— جيل جديد لم تُعدّه المدرسة إعداداً جيّداً: جيل تسامحت فيه المدرسة من حيث المبنى القيمي، فأعطته معلومات هشّة، ولم تعمل الجامعة على أن تزوّده بالثقافة الكافيّة التي تجعله لا يؤمن بأنّ العربيّة متخلّفة. والحلّ يكمن في أنّه ينبغي أن يُعاد في

تكوينه النَّظر؛ والبحث عن كَيفِيَّات الإيمان غير المُتَزَحِّز بأنَّ
اللُّغة العربيَّة بريئة من التَّخَلُّف.

3- جيل جاهل بخواص العربيَّة: لم يكن هذا الجيل على دراية
بأنَّ التَّخَلُّف يكمن في ذهن القائمين على اللُّغة العربيَّة وليس في
ذات العربيَّة "ينبغي أولاً أن يتوافر لنا الإيمان بِقُدْرَات هذه اللُّغة
الخارقة، والمعرفة الحسنة بخصائصها الفريدة في تكثيف اللَّفظ
وفي مرونة الاشتقاق والتَّوليد، وحساسيَّة المفردات وغناه
الإنساني، وسمو مقاصده الرُّوحية التي ضمَّها كتاب الله وما دار
حوله، وفي نظامها الصَّوتي، وموسيقاه السَّاطعة، ممَّا هيَّأه أن
تكون يوماً لغة التَّقافة العالميَّة، فانصبَّت فيها ثقافات الشُّعوب
صاحبة الحضارات القديمة، فوسَّعتها على توالي القرون¹". ولذا
فحبَّ اللُّغة ومعرفتها هما لبَّ نجاحها، فهل هذان المعياران
مُتوفَّران عندنا؟

4- جيل لا يحمل صفة الغيرة للغة: وإنَّه لكي نبدع بلغتنا
علينا أن نحبَّها ونؤمن بها ونغير عليها. ثمَّ يجب أن تكون اللُّغة
المستعملة قريبة من لغة الحياة اليوميَّة، من لغة التَّعامل الدَّائم

¹ - عبد الكريم الأُشتر "مشكلة الأداء في اللُّغة العربيَّة أسباب
الضعف ووسائل العلاج" مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة. دمشق: 1998
عدد (اللُّغة العربيَّة: معالم الحاضر وآفاق المستقبل) الجزء الثالث
المجلد الثالث والسَّبْعون، ص 539.

تكون اللغة الوظيفية، وهذا هو المُرَام والمُرَاد. فالعربية إذا أتينا للمدرسة نرى أنها تُتَعَلَّم اصطناعياً كلغة ثانية، وبطريقة تعليم اللغات الأجنبية، وينضاف إلى ذلك أن ما يُتَعَلَّم منها هو المستوى الأفصح الذي لم يَعدْ له وجودٌ في الكتابات المعاصرة، ولا في الصحافة ولا في المسرح، ولا في وسائل التواصل الاجتماعي ولا في المناقشات العامة، ولا في الدفاع عن مذكرات الماجستير/ الماستر، وفي أطاريح الدكتوراه، فتَحَدَّثُ هناك قطعةً بين ما يتعلّمه، وبين ما يسمعه، ولا ندرك التفرقة بين مستوياتها الثلاثة. هنا المعضلة التاريخية التي لم يستطع المختصّون تجاوزها، والحلقة الفارغة. ألهذا الحدّ لا نفرّق بين المستويات، ومن ثمّ لا نفرّق بين ما نعلّمه للتّريخ والاستعمال وما نعلّمه للكتابة؟

5- جيل لا يعلم بأنّ للعربية مستويات ثلاثة، وهي:

1/5- المستوى الأفصح (عربية فصحي) وهذا غائب الآن.

2/5- المستوى الفصيح (عربية معاصرة) وهي عربية قائمة الآن.

3/5- المستوى السّوقيّ: (عربية المِهَن والمصالح العامة) وقضاء الحاجات اليومية وهو قائم الآن، بل هو الأكثر استعمالاً.

وإنّه يجب الإقرار بالواقع اللّغويّ كما هو، لا الهروب منه، أو نشدان ما لا يكون، أو توهم المُعجزات، وطلب المُحال. فنحن الآن أمام ثلاثة مستويات، وهذه المستويات تعايشت في العصر الأمويّ، وفرّق النّحاة بينها في الزّمان والمكان، فقالوا: عربيّة الأعراب؛ وهم ساكنة سُرة الجزيرة/ كبرى الصحراء، وهي عربيّة فُصحى مثاليّة. وعربيّة فصحيّة؛ وهي لغة أعراب الثّغور، وتمرّ بها قوافل التّجارة، وعربيّتهم تُرتضى. وعربيّة أخرى وهي مقبولة وهي عربيّة التّجارة والمهّن والشّؤون العامّة وقضاء المصالح المُرسّلة.

وبالنسبة للمستويين الثّاني والثّالث موجودان في واقعنا المعاصر وكلاهما صواب، ونجدهما في لغة المدرّسين ورجال الإعلام وفي عربيّة الفضائيّات التي لا تميل إلى الفجاجة والسّوقّة. وإليكم مثالا عن ذلك:

— العربيّة الفصحى = احمّار وجهي.

— العربيّة الفصحيّة = احمّر وجهي.

— العربيّة العامّة: حمّرت وجهي.

فنرى العربيّات الثّلاث (المستويات) مقبولة بأساليبها، ولكن هل يمكن في عصرنا أن ننشد العربيّة الفصحى؟

6- جيل مُغرَب في ثقافته: لم تحمل المناهج والمنهاج الصّورة المثلى لتاريخه المُنير، ولم تعطه المناهجُ الصّورةَ الحقيقيّةَ للسّلف وكيف أبدعوا. فلقد فتحت المدرسة للدّهماء صورة الإفتاء بتعكيس الصّور المشوّهة أو تلك النّقائص المنعزلة، فبنّوا عليها تحاليلهم الوهميّة. لم يكن المنهاج التّربويّ يعكس الملامح الكبرى للثقافة العربيّة، ولم يحمل الأبعاد العامّة لما يجب أن يتسلّح به التّلميذ في المراحل الدّراسية الأولى، كما لم يعمل المسجد على تربيّة المناهج التّقويميّة التي يقف خلالها على الأصالة، ويكون في موقف النّديّة.

7- جيل لم تعمل المدرسة على تحميله المسؤوليّة، وعلى تحميله الزّاد العلميّ المطلوب. ولهذا تتحمّل المدرسة تبعات الضّعف، بمعنى يتحمّل المعلمون هذا الازدراء، ونقص العدّة العلميّة، والعيش في التّاريخانيّة، فكلّ النّقائص لم يعمل المعلّمون على علاجها، فأين أنت يا من توصف (كادّ المعلّم أن يكون رسولا).

وأين الحلّ؟ إنّ الحلّ يكمن في نشدان العربيّة الفصيحة التي نجد فيها المستويين: الثّاني والثّالث، ويقع التّركيز على المستوى الثّاني، وهو المستوى المُستعمل في واقعنا الجامعيّ، بل في واقع الإعلام، ولدى المُتّقنين وهذا هو الواقع اللّغويّ، فاللّغة استعمال قبل كلّ شيء؛ استعمال لأنماط جماليّة عاليّة المستوى بالنّسبة

للغة البسيطة، استعمال اللغة التّواصل الاجتماعيّ في بنياته التركيبية التي لا تخرج عن الفصاحة في درجتها المفهومة والمقبولة.

تمارين

— التّمرين الأوّل: يقول الإمام أبو حامد الغزالي:

"إلى كم تطوف على ساحل البحر مُغمضاً عينيك عن غرائبها أو ما كان لك أن تركب متن لُجّتها لتبصر عجائبها، وتسافرَ إلى جزائرها؛ لاجتلاء أطايبها، وتغوصَ في عمقها، فتستغنيَ بنيل جواهرها، أو ما بَلَغكم أنّ القرآن هو البحر المحيط، ومنه يتشعّب علم الأوّلين والآخرين، كما يتشعّب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها. أو ما تغطّ أقبواً خاضوا في غمرة أمواجها، فظفروا بالكبريت الأحمر، وغاصوا في أعماقها فاستخرجوا الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر".

السّئلة:

1— ما علاقة هذا النصّ بسوء إتيان الطّلاب للعربية؟

2— ما دور التّراث الدّيني في تمكين المتعلّم التّحكم في

العربية؟ مثّل ذلك؟

— التمرين الثاني: قال صاحب الخطب المنبرية:

فتح الله لنا ولكم أقفال القلوب، ويسر لنا ولكم الوصول إلى كل مطلوب، أن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله تعالى يقول وقوله الحق ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم أجارني وإياكم من العذاب الأليم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

الأسئلة:

- 1— أين يمكن أن تلقى هذه الخطبة؟
- 2— ما هي ملامحها الدالة على ذلك؟
- 3— حاول إكمال الفقرة الأولى بما يناسب الخطبة؟

— التمرين الثالث: اكتب مقالة أدبية في حدود هذه الأسطر

في أعجاز بيان القرآن الكريم؟

العربية المنشودة

لا أبالغ إذا قلت: بأنه لا يمكن أن نصل إلى امتلاك العربية الفصحى في ظلّ واقعنا المعاصر، وعليه، علينا أن نختصر الوقت، وأن ننشد عربيةً معاصرةً من المستوى الفصيح؛ وهي عربية الأدب المعاصر، وعربية المؤلفات العلمية، وعربية لغة الكتب الجامعية، وعربية لغة المدونات الإلكترونية، وعربية لغة مواقع الشبكة.

ولست مبالغاً إن قلت: علينا أن ننشد في تدريسنا المستوى الفصيح فقط من العربية، وهوة مستوى ترتضى عربيته/ لغته مستوى عربية جيدة ومقبولة، بل هي العربية المرغوبة، ويمكن أن تكون عربية المستوى الثاني. وعلينا أن ننشد هذا المستوى (الثاني) وكفى، فإذا تمت السيطرة عليه، نقول: إننا تحكّمنا في العربية، وهذه هي العربية المنشودة. وهي تلك العربية المكتوبة التي تحافظ على الإعراب ولا تلتزم بالأفصح، وتقبل الدخيل وتتأثر بالأساليب الأجنبية، وتتعامل مع الاقتراض اللغوي بعفوية.

إنّ العربية المنشودة في واقعنا المعاصر هي عربية أصيلة؛ جذورها سيبويهية قديمة، وفروعها نحاتها المحافظون وأغصانها البحتة المعاصرون، ومبدعوها الشعراء المجيدون

ومُطَوَّرُها الصَّحَافِيُّونَ المُضَيِّفُونَ. هي عربيَّة أصيلة مُعاصرة بما تعرفه من تطوُّر لم تعرفه في سالف عصورها، قطعتُ أشواطاً طويلة وهي تستوي على الوَسْطِيَّة. العربيَّة المنشودة وَسْطِيَّة مُعاصرة يمكن أن نُسَمِّيها بالفُصحى المُعاصرة؛ وهي فُصحى مُخَفَّفَةٌ؛ لأنَّ عربيَّة اليوم ليست عربيَّة الأمس، وليس يعني التَّنَصُّل عن لغة سيبويه، بل هي عربيَّة مُحْتَفَظَةٌ بخواص الأصل، وتميَّزت بفروع جديدة. فالعربيَّة المنشودة ليست بالمستوى الأعلى (مستوى التَّقَعُّر) فزمانه ولَّى ولن يعود. ولزماننا لغة لها مستوى أدنى، وهذا ما كان حتى عند القُدَّامى فهم لم يتساووا في استخدام الفصحى، وقد أقرَّ القُدَّامى بأنَّ هناك المستوى الفصيح، وهناك المستوى الأفصح؛ فالأفصح للخواصِّ والفصيح للعوامِّ "وقد كان هذان المُستويان من الأداء اللَّغويِّ قائمين في كلِّ عصر؛ ففي العصر الجاهليِّ وُجِدَت لغة (فصحى) مثالية ارتضاها النَّقاد وأعجبوا بها، وكانت هناك لغة (فصيحة) لا ترقى إلى مستوى الأول، ولا تلحق بشأوها. وآية ذلك أننا نقرأ في الموروث من نقد الشعر الجاهليِّ أنَّ بعض الشعراء أقلَّ فصاحةً من بعض؛ فَعَدِيُّ بن زيد وأبو دُوادِ الإياديِّ وُصِفَا بأنَّ ألفاظهما ليست بِنَجْدِيَّة، وَعَدِيٌّ نفسه وَصَفَ بأنَّ لسانه قد لَانَ لعيشه في مراكز الأرياف، وتردَّده إلى منازل الحضر. وبجانب هذين المستويين من الأداء اللَّغويِّ، كان هناك مستوى ثالث يلجأ النَّاسُ إليه في التعبير عن شؤونهم اليوميَّة وحاجاتهم المعاشيَّة

ولا يقصدون إليه في مواطن الجدّ أو المناسبات التي تقتضي قول الشعر أو ارتجال الخطب أو إزجاء الوصايا والأمثال¹. ومن خلال هذا الواقع اللغويّ المرّ الذي لم نتحكّم فيه إلّا للمستوى الثالث، وهو مستوى غير مقبول؛ لأنّه ليس بالمستوى الأدبيّ ولا العلميّ، ولا يمكن أن يُستعمل في التدريس، فهو مُستوى دارج ضعيف لا علم فيه، محدود الألفاظ، لا إبداع فيه، اللهم ما يسمّى بالأرجال والأدب الشعبيّ، وحكايا الجدّات، واستنطاق الموروث الذي عفا عليه الزّمان، وهو أدب يعمل على انحطاط المستوى. فمن يتحمّل تبعات هذا الانحطاط؟ أو من المسؤول عن الضّعف المستشري في واقعنا المدرسيّ/ الجامعيّ؟

يُلامُ أستاذُ اللّغة العربيّة على هذا الضّعف، إن لم أقلّ يتحمّل القسط الأكبر في هذا الانحطاط اللّغويّ. مدرّس اللّغة العربيّة لم يتحمّل مسؤولياته في أداء الواجب، لم يكن يحمل المرجعيّة اللّغويّة، لم يتبنّ الطرائق الحديثة في التّواصل، لم يخضع دروسه للتّقويم، بل لم يُشحذ همَم التّلاميذ/ الطّلبة باحترام المناويل الصّحيحة. يُلامُ أستاذُ اللّغة العربيّة كثيراً في هذا التّردّي، وإليكم

¹ - نعمة رحيم العزّاوي، مظاهر التّطور في اللّغة العربيّة المعاصرة. العراق: 1990، وزارة الثّقافة والإعلام، سلسلة الموسوعة الصّغيرة، ص 8-9.

الغيابات/ العدميات التي جعلت التلميذ/ الطالب يعيش الضعف اللغوي بسبب أستاذ اللغة العربيّة:

— غياب القدوة في الأداء والتّوجيه؛

— غياب التطبيق لكافة الدّروس؛

— غياب التّصحيح أثناء حدوث الخطأ؛

— غياب المُشافهة الفصيحة؛

— غياب المُرافعة التّعليميّة في تكليف التّلاميذ/ الطّلبة؛

— غياب المناشط الحواريّة؛

— غياب القراءة النّموذجيّة المُعبّرة والأداء الجّهوريّ النّموذجيّ؛

— غياب فسح المجال أمام المُتفوّقين للتّنافس...

وأمام هذه الغيابات، فأستاذ اللّغة العربيّة يتحمّل القسطَ الأوفَرَ في الانحطاط اللّغويّ، فما هو الحلّ؟ لردم هذا الانحطاط لا نعفي أستاذ اللّغة العربيّة، بل يكون في صدارة علاج الأمر، مع تعاون الجميع، ويقع التّركيز على:

1— حبّ اللّغة العربيّة والإيمان بها؛

2- تكوين أستاذ اللّغة العربيّة تكويناً جيّداً.

3- إعادة فتح المعاهد التّكنولوجيّة.

4- التّحضير القبليّ لكلّ النّشاطات التّربويّة.

5- الممارسة اللّغويّة الدائمة لجميع المدرّسين.

6- استعمال المّصادر والمّراجع.

7- متابعة الأساتذة للمُستجدات المُعاصرة.

8- استعمال المستوى الفصيح في اللّغة.

وهذه هي تقنيّات العربيّة المنشودة، وسوف يقع التّركيز على بعض الفوائد التي لا نقبلها إلّا بشروط. لا فائدة من صحّة التّظهير في غياب التّطبيق. لا فائدة من وسائل حديثة إذا كانت تعمل على انحطاط اللّغة. لا فائدة من أساتذة المواد المُكمّلة الذين يهدمون ما يبنيه أستاذ اللّغة. لا فائدة من طالب مُقلّد ركيك اللّغة. لا فائدة من منهاج تربوي يُسوّي في (المُعامل) بين مادة اللّغة ♥

♥ - تعمل بعض الشّعوب لحلّ هذه المعضلة بأنّ تعطيّ المُعامل الأعلى للّغة أكثر من العلوم والرياضيات. فمثلاً ألمانيا تُعطيّ مُعامل ثمانية (8) لمادة اللّغة الألمانيّة، وكذلك تفعل دولة إسرائيل وكوريا الجنوبيّة والفيتنام. وبذلك رفعوا من قيمة اللّغة الوطنيّة لدى المتعلّمين. فهل يمكن تجربة هذه الطّريقة، ثمّ ننظر في النّتيجة؟

والمواد الأخرى. لا فائدة من عالم الرياضيات وهو يسيء إلى لغته بالأخطاء. لا فائدة من أمة إذا كانت تتصل من فكر تراثها. لا فائدة من شعب لا يحترم علماءه ولا يمجّد البحث العلمي.

وأرجو أنني لمستُ الجرحَ في مكمّنه، وهذا هو المطلوب هذا أردنا منظومةً تربويّةً مُعاصرةً ذات جودة عالية. وهناك مقام آخر يجدر بي التحدّث عنه، وهو الأُميّة في الجامعة، فما هي؟ وأين تظهر؟

تمارين

— التمرين الأوّل: نصّ من العربيّة المعاصرة:

"وكأنّي بالمؤلف يلمّح بهذا التساؤل إلى حقيقة أنّ أهل البلاد الأمازيغ لم يتأثّروا بثقافة الدّول التي سيطرت على أرضهم وحكمتها ما يقرب من ألفي عام، في حين تأثّروا بالفتح الإسلاميّ خلال مدّة قصيرة، فتنبّوا الثّقافة الإسلاميّة وتمتّلوها وحملوها شمالاً وجنوباً، وعملوا على نشرها وازدهارها. بيد أنّ المؤلّف لم يتطرّق إلى تفسير هذه الظّاهرة الاجتماعيّة الثّقافيّة، ولم يبيّن أسبابها؛ لأنّها ليست موضوعَ الكتاب، وتحتاج في حقيقة الأمر إلى دراسة مستقلة. ويتبادر إلى الذّهن أنّ نجاح الفتح الإسلاميّ في طبع هذه البلاد بطابعه الثّقافيّ يعود إلى القيم التي جاء بها

كالحقّ والعدل والمساواة، كما يعود -في نظري المتواضع- إلى الخلفيّة العقلية والنفسية واللغوية المشتركة بين العرب الفاتحين والأمازيغ أهل البلاد". علي القاسمي، صياد اللآلئ.

الأسئلة:

1- ما هي الخصوصيات اللغوية الحديثة التي يحملها هذا النصّ؟

2- ما هي الجوانب اللغوية التي عمل بها النصّ على تقديم الأساليب الجديدة؟

- التّمرين الثّاني: اكتب مقالاً مفتوحاً حول العريبة المنشودة بالنسبة لما يجول عندك من أفكار؟

- التّمرين الثّالث: اكتب سناريو تجري فيه حواراً بين أستاذين حول: السياسة اللغوية في الجزائر؟

.....

— التمرين الرابع: اقرأ النص أولاً؟

"بل إنَّ العربيَّةَ تبالغ في ميلها للمرأة فتراها تُطلق أبنية بعينها على الرَّجل وهي مؤنَّثة، كقولهم علامة، وفهامة، وتلعابة وتمزاحة... وما جاء على بناء (فُعَلَة) أيضاً مثل ﴿هُمَزَة لُمَزَة﴾ وهذا البناء، كمعظم أبنية المبالغة تتساوى فيه المرأة مع الرَّجل وهي أولى بها لوجود التَّاء الأنثى في آخره، في حين أنَّ الرَّجل يغتدي عليها تابعاً لها على سبيل الانضواء تحتها... وما يراه النِّحاة أنَّ هذه التَّاء ليست، في الحقيقة للتَّأنيث، ولكنها للمبالغة شأنٌ ليس له معنى كبيرٌ. ولذلك لا تتفق معهم فيه! إنَّ هذه التَّاء (الهاء) هي في الأصل للدَّلالة على المرأة العربيَّة تتميز بها فتكون لها زينة تتباهى بها على الرَّجل؛ لأنَّها بها يزداد اللَّفظ اتِّساعاً في عدد حروفه وانتشاراً في حيِّز الصَّوت بالكلام وامتداداً في حيِّز الورق بالكتاب؛ إذ يقال (كاتب) فإنَّ أُريد إلى تأنيث الكاتب زيدَ فيه الهاء فقل: (كاتبة). والزيادة في المبنى زيادة في المعنى كما تقول النظريَّة النحويَّة العربيَّة.

ع/ عبد الملك مرتاض. نظريَّة اللغة العربيَّة.

1- يطرح النصّ فكرة التّأنيث في اللّغة العربيّة بصيغة غير حاملة للتّاء، وكذلك التذكير بلفظ حامل للتّاء. حاول جمع مدوّنة من مخزونك من ألفاظ:

[illegible]

الأميّة في الجامعة

من التعاريف التي نالتها كلمة (الأميّة) ما يلي:

— الأميّة من لا يحسن الكتابة والقراءة؛

— الأميّة من يتقن لغة واحدة فقط؛

— الأميّة من لا يعرف استعمال الإعلام الآلي؛

— الأميّة من لا يحمل مشروعاً.

فإذا لاحظنا هذه التعاريف نجد بعضها مجسّدة في الجامعة بشكل أو بآخر، وإن كنت أضيف بعض الشيء الذي علق بالجامعة، وكان يجب أن لا يكون. باعتبار الجامعة حاضنة النخبة، ومنتجة للنوع، ومخبر تخريج القيادة. ولكن بكلّ أسف تفقر جامعاتنا إلى الكثير من معايير الجودة، ولهذا نجدها مُصنّفة في ذيل الترتيب العالميّ، ومن هنا نراها تعمل في بعض المقامات على محو الأميّة التي توجد في حرمها. فمن خلال الواقع اللّغويّ الضّعيف، والذي يُسيء إلى الجامعة، أسجّل بأنّ هناك أميّة في الجامعة، وتتمثّل في ما يلي:

1- هزلة المُخرجات: ويتمثّل في ذلك الطّالب الجامعيّ غير

القادر على القراءة ولا على الكتابة، ولا على الحديث بطريقة

سليمة بالفصحى، ولا يشتم منه مَلَمَح الطالب القائد، وبخاصة ما نشاهده من انصراف الطالب، بل استقالته عن الاهتمام بالهوية اللغوية. وإن عزوف الطلبة عن الاهتمام بالعربية مكتسب قبلي ويعود إلى المرحلة القاعدية في التعليم الابتدائي وإلى المحيط والعولمة اللغوية، واحتقار العربية من قبل أهلها، وعدم علميتها وقلة تواجدها في الشبكة، وهذا كله غرس عقدة النقص في نفوس هؤلاء الطلبة، ورسم صورة سيئة عن لغتهم العربية، حتى اعتبروها لغة شعري وخيال، فعزفوا عنها وعن تقليد أنماطها فهي لا تؤكل الخبز في نظرهم.

2- جانب ضعف/ عدم استعمال التقانات المعاصرة طلبة وأساتذة: فهم من الأميين الجامعيين فعلاً. ويقع التركيز في هذا المجال على الأستاذ باعتباره الأس الذي يكون القدوة في استعمال التقنيات، وفي غرس المناويل اللغوية السليمة التي تُحتذى؛ فالأستاذ قدوة في كل شيء، فهو الذي يخلق المنهاج والمنهجية والطريقة، فاعطني أستاذاً ناجحاً أعطيك طلاباً ناجحين. نجد الأستاذ المُشتت العازف عن المشاركة في النشاط العلمي، والذي يعاني ضموراً في الإنتاج، وشحاً في الإبداع وقلة في المبادرة فهو مُستقبل رغم أنه مُستقبل، ولكن دون إرسال، فماذا ننتظر منه؟ ومن هنا نلمس هبوطاً ثقافياً لمستوى الأستاذ، وينعكس ذلك على الطلاب، وهذا ما كشفته دراسات

ميدانيّة يجريها طلابي على ضعف المستوى اللّغويّ في الجامعات الجزائريّة، دون الحديث عن الجهل التّام باستعمال النّقانات الحديثة، فبقوا كأنّهم في سنوات السبعينيّات، فيخرجون طلاباً ورّقانيّين مثلهم¹، وبذا فالطّلاب لم يلمسوا القدوة في الأداء، أو التّحكم اللّغويّ السّليم في مدرّسيهم، ولم يروا أسانذتهم يحملون أجهزة الكبتار ويتبارون في استعمالها أمام طلابهم، ومن هنا ضعف الطّالب والمطلوب، فما العمل؟

يجب أن نقرّ بأنّ القضية العُقدة في الضّعف اللّغويّ تعود إلى عدّة عوامل، ولذلك لا ننكر أنّ تقويّة العربيّة واجبٌ وطنيّ وقوميّ، ويكون أولّ ما يكون بتعميم استعمالها، ثمّ إلى المدرّسين، والنّظر إلى مناهجها، وإلى وسائل الإعلام، وإلى الخطاب السياسيّ، وربّما يسهم المنهاج التّربويّ والكتاب المدرسيّ في هذا التّردّي، ولكن بنسبة ضئيلة جدّاً؛ لأنّ الكتاب من صنع المعلم، فإذا وضعنا أمام المعلم كتاباً ألمانياً راقياً وليست له قدرات تربويّة لا يمكن أن يفلح أبداً. ولكن بالفعل لا يوجد لدينا مُعلم كُفءٌ يستجلي عناصر الذّكاء في اللّغة، مُعلم

¹ - ينظر العمل الجماعي المنجز بهذا الخصوص (ضعف اللّغة العربيّة في الجامعات الجزائريّة، جامعة تيزي-وزو نموذجاً) منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة، لعام 2010.

مُطَبَّق مُبَدَع يتفاعل مع المُتَغَيِّرَات، معلّم حدّاثي معاصر يتفاعل مع تقانات العوملة.

يجب أن نراعي عدّة عوامل في مُحاربة الضّعف اللّغويّ لدى الطّلبة، وهي أُميّة جامعيّة، وكان علينا الإعداد الجيّد لهذه العملية، وبخاصّةٍ إعداد المعلّم الكفء، والترابط بين المواد المدرّسة، وملاءمتها للمستوى العقليّ، والتركيز على علوم اللّغة الأساسيّة: **نحو وصرف وتعبير وحساب**. وإنّ أيّة لغة تتطلّب من متعلّميها دأباً مُتواصلأً واستعداداً جيّداً من مُدرّسيها، ناهيك عن نوعيّة المنهاج وجودة المنهج، ولن يحصل هذا إلّا بتضافر جهود كلّ المؤسّسات. والفرق بين العرب وبين الألمان أنّ العرب لا يظهر فيهم من يهتمّ الأمر للرفع بقيمة هذه اللّغة، بينما الألمان ظهر فيهم الأخوان (كريم) فعَمِلَا على توحيد الألمان على لغة واحدة ببنّة، وهي تقرب في كثرة قواعدها من العربيّة، ثمّ هناك إرادة ألمانيّة سياسيّة ركّزت جهودها فنجحت في الرقيّ بالألمانيّة وأصبحت الآن اللّغة الثّانيّة في الشّابكة.

3- إبقاء الخطاب الجامعيّ في المستوى الضّعيف: وهذا عامل مهمّ؛ حيث أبقى الجامعة في أُميّة الجامعة مقبّية، وهي إبقاء الخطاب الجامعيّ في المستوى الأوّل من خطاب الدّهماء خطاب العاميّة البسيط الذي لم يتجاوز حدود الاستعمال الدّنيا وهذا ما يظهر في التّواصل البينيّ بين الأستاذ والطّلبة، بين

الأستاذ والإدارة. الأستاذ وهو يلقي دروسه بالعامية البسيطة الأستاذ وهو في مناقشة الأبحاث والأطاريح يستعمل العامية دون خجل، فغاب الإبداع، ومن ثم غابت القدوة. أين تلك الخطابة الرنانة والإفصاح عن الرأي والمرافعة والإعراب عما يعتلج في الفكر، أين ذلك الأستاذ الخطيب الألمعي الذي تكثر خطبه ويحفظها أتباعه، يقف شامخاً أمام طلابه، ويفتح فاه بالكلام ويستميل الخاصة والعوام، ولا تعوزه الحاجة، ولا يحتاج إلى تذكير، أستاذ حافظ للذكر الحكيم، وللشعر القويم. أستاذ خطيب يترجرج الجهاز أمامه ويهتز، يملك القدرات البيانية التي تنز. أستاذ خطيب فارض نفسه على الطلاب، فأحبوه بغية الإبداع في التطلاب.

ذهب الذين نعرفهم في هذا المجال، فنزل خطاب الأستاذ الجامعي إلى الدوارج، فدخلت العاميات الأقسام بالقوة والفعل ويضاف إلى ذلك تفشي الازدواجية. أما مسألة الفرق بين العامية والفصحى، فهذا موجود في كل اللغات، ولكن ليس بالقدر الموجود عندنا بحكم عوامل أخرى "فهل العامية في فرنسا مثلاً ولغة الكتابة ليس بينهما بون لا يقل عما في لهجاتنا من جهة وبين لغتنا الفصحى من جهة أخرى، بل أرى الفرق بينه وبين ما يتكلمه عمال ضاحية باريس ولغة الشاعر (بول فاليري) يفوق بمراحل الفرق بين ما يتكلمه العامل الجزائري، وما ينظمه من

شعر الشّاعر (مفدي زكرياء)¹. وإنّه آنّ الأوان لنقول: إنّ ما يمكن أن نركّز عليه هو السّعيّ لاستخدام العربيّة الفصيحة (المستوى الثّاني) والسّعيّ لكسب العادات اللّغويّة الصّحيحة ذات النّمط القريب من لغة وسائل الإعلام، وهي التي لها استجابة من المُستعملين الذين يهتمّهم الخروج من التّقاليد المتقوّرة إلى خطاب لغويّ مُتخَيّر ووسط؛ بين القالب العالِيّ والبسيط.

وفي الحقيقة إنّ فكرة الضّعف اللّغويّ بصفّة عامّة مسألة قديمة، وكلّ جيل يأتي يشتكّي من ضعف الجيل السّابق، ولهذا تعملُ الكثيرُ من الأمم على سنّ مقاربات الدّعم لتقويّة لغة المُتعلّم، وهناك بلادٌ تعمل على حلّ مشكلات الضّعف اللّغويّ عن طريق تطبيق مقاربات واستراتيجيّات جديدة في بيداغوجيا الأهداف؛ تستند على مفهوم التّقييم والتّشخيص والتّكوين والتّداخل لتصحّيح مواطن الضّعف، وسدّ ثغرات تعلّم التّلميذ من أجل بلوغ الأهداف المُتوخاة.

4- الجامعة لا تحمل مشروعَ طالبٍ قائدٍ: يفترض أنّ الجامعة مركز إعداد الرّاسخين في العلم/ أهل الذّكر... فالجامعة ليس لها مَلَمَح طالبٍ ناجحٍ مسؤولٍ، فهي لم تعمل على قيادة آليات التّمية

¹ - فاطمة سحام "الفُصحى أم العاميّة لماذا لا يتكلّم طلبتنا عربيّةً فصيحةً؟" مجلة علوم التّربيّة. المغرب: 2011، المعاهد، العدد 47 ص 68.

ولم تعمل بمنهج الصدق لتطوى لها المسافات. ليس للجامعة دستور يغلب الجانب العلميّ على الإداري؛ فنرى الهيآت العلميّة: اللّجان العلميّة/ المجالس العلميّة هيآت استشارية في يد الإدارة فالجامعة أصبحت لا تقود البحث، بقدر ما نجد براءات الاختراع تأتي خارج الجامعات. ولا تُلاحظ في الجامعة الجزائرية إلا تكرار الدّروس والاجترار، والنقل، أليس هذا يصنّف في باب الأُميّة العلنيّة.

ومع كلّ ذلك فإنّي رأيتُ أنّ الجامعة يمكن أن تعمل الشّيء الكثير للهويّة اللّغويّة، إذا تضافرت جهود كلّ العاملين في الجامعة، وأنّ خير وسيلة تضمن إنعاش هذه اللّغة (العربيّة) وتحفظ جوهرها أن تُنقّح من شائبة العُجمة والركاكة، ويرفع عنها كلّ تسامح لغويّ، وذلك غاييتي من هذا الكتاب الذي أروم أن يعمل على إرشاد الطّلبة والمُبدعين والكتّاب والشّعراء إلى مواقع الاستعمال العفويّ الجيّد، ولا يعني المطلوب منها أن يأتوا بما لم يأت به الأوائل، بقدر ما يُطالبون بالإبداع ضمن أساليب لغة العصر، ولا يعملون على ليّ عنق اللّغة، أو مجازاة من يقول: (قلّ ولا تقلّ) بل أقول: (قلّ فلا حرّج) فنرجو احتذاء هذا الأخير بغية توسيع العربيّة، وتفصيح العاميّ، وردّه إلى مظهره. وأدعو رجال الإعلام إلى مزيد من الرّقي بلغة الصّحافة؛ لأنّ

اللغة يقوم على رفدها: الشعراء المبدعون، ورجال الصحافة، فلا يقوم النحوي إلا على تحنيطها وجمودها.

ولكن لا يعني هذا التّغاضي عن استعمال الفصحى؛ فهي تحتلّ مكانةً راسخةً لدى الجماهير، فإنّ سماعها عن طريق وسائل الإعلام يزيد من حبّهم لها، ويحيطونها بعوامل النّجاح، وفي نظر تلك الجماهير هي مقدّمة لأنّها وثيقة الصّلة بالمعجزة اللّغويّة الكبرى، فتعليمها وتعلّمها واستعمالها من الدّين والإيمان، ولكن في هذه المرحلة لا بدّ أن تُعالج مرّحلياً، وعن طريق امتلاك ثقافة لغويّة مُتناميّة وعالية، تبدأ من المدرسة، ويستدعي ذلك تهيئةً طويلة النفس، ومحو الأميّة بشكل نهائيّ.

تمارين:

— التّمرين الأوّل: استمع إلى الحوار الذي يجريه (فيصل قاسم) في قناة الجزيرة، والموسوم: الاتّجاه المُعاكس. وأجب عمّا يلي؟

— ما الفكرة العامّة للموضوع المثار؟

— صفِ القراءة اللّغويّة للمتحدّثين؟

— اعطِ وصفاً كاملاً للغة الحوار؟

— التّمرين الثّاني: أعطِ خلافاً لهذا الموضوع؛ بالدّفاع عن حسن إتقان الطّلاب للغات في الجامعة، مع مبرّرات علميّة صريحة؟

— التّمرين الثّالث: اقرأ هذا النّص، ثمّ أجب عن الأسئلة الموالية؟

إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، أو كما قال، واشكروه على ما أنعم به من العقول، وما خصّكم به من إرسال خير نبيّ ورسول، وما أمّدكم به من الكتاب العربيّ المبين، والنور السّاطع المستبين، جعلني الله وإياكم من الذاكرين ولنعمائه من الشّاكرين، وعلى بلائه من الصّابرين، أن أفضل الكلام وأعلاه كلام الله، الذي لا إله سواه. أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

تمّ الكتاب بحمد الله.

الأسئلة:

- 1- في أيّ كتاب يمكن أن تجد أمثال هذا النصّ؟
- 2- ما هي الدلالة المعنويّة التي يحملها؟
- 3- اذكر الأساليب اللّغويّة التي يحملها؟

التّواصل

— التّواصل: لغة: "وصلَ الشّيء إلى الشّيء وُصُولاً، وتوصّل إليه: انتهى إليه وبلغته... ووصل الشّيء بالشّيء؛ أي يصلّاه وصلاً وصلة وصله... الوصل خلاف الفصل" التّواصل: هو الإبلاغ والإبلاغ والإبلاغ والإخبار؛ أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر وإعلامه. كما يعني التّواصل Communication إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما، ومنها فعل التّوصيل والتّبليغ. ومن شروط عمليات التّواصل النّاجح:

— أولاً: اشتراك المرسل والمُتلقي في نفس الموقف التّواصليّ.

— ثانياً: اشتراكهما في نفس التّجارب اللّسانية أو الرّمزيّة.

— ثالثاً: اشتراكهما في الموقف الوجدانيّ، أو بعبارة أوضح اهتمامهما بمضمون الإرساليّة.

— رابعاً: توفر الحدّ الأدنى في وضوح قناة التّواصل.

— خامساً: توفّرهما على قدرة لسانية وأداء كلاميّ يسمح لهما بالترميز وفكّ الرّموز".

إنّ التّواصل خطاب له صورة لفظيّة منطوقة مسموعة وصورة ذهنيّة؛ تصوّر ذهنيّ تفيده الصّورة اللفظيّة أو مفهوم الخطاب وله مستوياته، وهي:

— المشاركون في عملية التّواصل؛

— مستوى موضوع التّواصل أو محور التّواصل: أشياء/ كائنات؛

— الموقف التّواصليّ: يتحدّد من خلال الدّور الذي يقوم به المتكلّم وهو مركز الخطاب؛

— الأبعاد الزّمنيّة والمكانيّة أو السّياق الذي يردّ فيه الموقف؛

— الأبعاد الاجتماعيّة.

ويضاف إلى كلّ هذا أركان العمليّة اللّغويّة، وأساس قيمتها كوسيلة اتّصال وإبداع وتفكير، وهي:

1- المُعبّر عنه: أن يكون واضحاً مُعبّراً عنه بصورة كاملة ليصل إلى ذهن المُتلقي بكلّ حيثياته؛

2- المُعبّر به: وهو اللفظ أو الإشارة أو ما يشبهها. والألفاظ رموز للمعاني فإن كانت الرّموز واحدة لمعانيها عند النّاس فإنّها تشكّل آنئذ وسيلة للتّفاهم دقيقة، ولا يمكن أن يحدث بينهم خلاف

قطّ. أما إذا كانت مشوّشة فإنّ الذين يستخدمونها لن يتفاهموا بسهولة، ويكونون أدنى للشجار¹.

3- المُتلقّي: أو ما يفهمه القارئ أو المُستمع من العبارة. وإنّ المُتلقّي يتلقّى أصواتاً يُحوّلها إلى تيار حسيّ يتمخّض عن إدراك ووعي.

4- ردّ الفعل: يبرز الجانب الآلي للغة؛ وهو ما يؤثر في السلوك العام. ويتمّ ردّ الفعل بالقراءة أو بالتأمّل.

وهذه الأركان مجتمعة تعمل على أداء وظيفة الاتّصال بصورة طبيعيّة عندما يتحصّل الإنسان اللّغة الطّبيعيّة والتي يأخذها عن طريق المحاكاة. عكس اللّغة التي يأخذها بالتعلّم، فيجد أحياناً بعض الثّغرات اللّسانيّة، وإذا لم تكن مُشوّشة لا مشكل يحدث في عملية الاتّصال.

— **التّواصل:** اتّصلَ يتّصلُ اتّصالاً، ويكون بين اثنين أو أكثر بطريق المُشافهة على الأغلب، وفيه مُرسِل $\longleftrightarrow$ ومُستقبِل/ مُرسِل $\longleftrightarrow$ مُستمع، وبينهما رسالة كلاميّة. أما التّواصل؛ من فعل: تَوَاصَلَ يَتَوَاصَلُ التّواصل، فهو أعمّ؛ حيث يتضمّن

¹— يحيى عبد الرّؤوف جبر "الطّاقة اللّغويّة ودورها في عمليّة الاتّصال" مجلة اللّسان العربيّ. الرّباط: 1994، مكتب تنسيق التعريب، العدد 38، ص 32.

الاتّصال، ويتعدّى إلى استتطاق آليات التّواصل الأخرى:
 الأيقونات — الوسائط — الجداريات — الفنّون — الرّسوم —
 الأوشام — الشّواهد الحفريّة — العادات — الرّقص — ما يُعلّق
 من حروز/ عجلات/ صفائح في البيوت — ما يُعلّق على صدور
 النّاس — شهود المقابر...

إنّ الاتّصال في مفهومه العامّ هو ما يتمّ بين اثنين أو أكثر
 مرسل ↔ ومستقبل. ومستقبل ↔ مرسل، سواء كان
 ذلك بالمنطوق أو بالمكتوب، ويتمثّل ذلك في المذكرات —
 الخطاب اليوميّ — الكُتب — المُحادثات — المناقشات —
 المُناظرات — النّدوات — المؤتمرات... و"الاتّصال أنواع من
 حيث الوسائل المُستخدمة، ومن حيث أنواعه ودرجة رسميّته
 ومن حيث اتّجاهه ودرجة تأثيره"² وهي ليست مجال موضوعنا.

ويعدّ الاتّصال جزءاً من التّواصل؛ والذي هو طريقة أو أسلوب
 لتبادل المعلومات أو نقل الخبر بين الأفراد، فيمكن إرسال
 المعلومات عبر طرائق عديدة: كلمة منطوقة — كلمة مكتوبة —
 ابتسامة — حركات اليدين — تعبيرات الوجه — حركات الرّأس
 — عمل إبداعيّ — العزف — الرّقص... ويحصل التّواصل من
 المنظور اللّسانيّ البحث عن طريق اللّغة؛ باعتبار اللّغة وظيفتها

² — عاطف عدلي العبد، الاتّصال والرّأي العامّ. القاهرة: 1993

التّواصل كما قال De Saussure؛ أي اللّغة نظام من الأدلّة أو الإشارات هدفها التّواصل، وخاصة أثناء اتّحاد الدّال مع المدلول بنوياً، أو تقاطع الصّورة السّميّة مع المفهوم الذّهنيّ، وهذا ما قال به كذلك André Martinet بأنّ اللّغة عبارة عن تمفصل وظيفتها التّواصل. والتّواصل ينقسم إلى قسمين:

1- التّواصل المُزدوج

وهو التّواصل المعتمد على المنطوق، وعماده الاستماع من مُرسل ومُستقبل. ومهارة الاستماع تعتمد على درجة الإنصات وتأتي لتحقيق هدف الحصول على معلومات الإقناع والافتناع "وهكذا يكون الإنصات درجة مُتقدّمة من درجات السّمع والاستماع؛ ففيه سكوت وتركيز شديد من قبل المُستمع (عامل ذاتي/ داخلي) وهذه درجة الاستماع مع زوال كلّ المُنبهات والمُشوّشات الصّوتيّة من الفضاء الذي يجري فيه التّواصل عامل خارجي، وهذه درجة الإنصات. إنّ الإنصات هو أحسن طريقة للاستماع الجيّد³. ويمكن أن نسمّيه تواصلاً صوتياً وفيه:

³ - محمّد إسماعيلي علوي، التّواصل الإنسانيّ دراسة لسانيّة طك¹. عمان: 2013، كنوز المعرفة العلميّة للنّشر والتّوزيع، ص

مُرسل + رسالة صوتيّة + مستقبل. ويمكن أن نزيد توضيح هذا الأمر بهذه الأسهم:

— مرسل ← مستقبل (بداية)

— مستقبل ← مرسل (ردّ).

— = رسالة كلاميّة =

— تقنيات التّواصل: لا نعدم أنّه لا توجد تقنيات فنّ التّواصل بقدر ما أقول إنّ التقنيّات لا تخرج عن:

1— العملية التّفاعليّة بين المرسل والمستقبل.

2— الرّسالة الكلاميّة التي تأتي عن طريق القناة.

3— الوضوح والبيان.

4— مراعاة الحال والمقام.

5— ملاحظة الأثر.

2- التّواصل المتّعدّد

يعتمد على المكتوب؛ وغير المكتوب. وفيه: مرسل كتابي.
مكتوب = متلقٍ + المتلقّي وقت إنجاز الرّسالة غائب.

ومن هنا فالّتواصل أقوى من الاتّصال؛ كونه أنسب في الدّلالة على المُعاملات والعلاقات العامّة بين النّاس، ويخصّ المهارات اللّغويّة الأربع: الاستماع — المحادثة — القراءة — الكتابة. ويمكن أن نمثّل لذلك بهذه الأسهم:

1- مرسل (شخص واحد) ← مستقبل (أشخاص =
دروس/ خطبة...

— مرسل إليه (جماعة) ← مرسل

(دعاء)

(ممثّل جماعة).

2- مرسل ← أيقونات

مستقبل ← فكّ الرّمز / الشّفرة.

— تقنيات التّواصل المتّعدّد:

1- تعدّد المرسلين والمخاطبين؛

- 2- تشويش في الرّسالة الكلاميّة.
- 3- صعوبة إدراك وصول الرّسالة.
- 4- عدم وجود الأثر (الأثر الرجعي المباشر).
- 5- استعمال أحياناً تقانات التّواصل.

تمرين

إنّ الحديث عن الفجوة الرّقميّة بين العربيّة واللّغات المتقدّمة معلوماتياً لا ينفصل عن الهوة المعرفيّة التي تفصل العالم العربيّ عن العالم المتقدّم تكنولوجياً وفكرياً وعسكرياً واقتصادياً وصناعياً، وفي باقي مجالات الحياة المعاصرة. ولما كانت تلك بعض هذه، صار من قبيل المُحال أن تتقلّص الفجوة الرّقميّة بين لغتين في ظلّ هوة معرفيّة بين شعبين. فالتّجزيء غير وارد ولكن التّخطيط المتكامل مع مراعاة الأوليات أنجع وأفيد.

— الأسئلة:

- 1- ضع عنواناً للنّص؟
- 2- ما هي الفجوة التي يتحدّث عنها النّص؟
- 3- كيف يمكن للغة العربيّة اللّحاق باللّغات المتقدّمة؟

3- وسائل التّواصل

وهي عديدةٌ مُتغيّرةٌ تابعةٌ لأنماط وسلوك وثقافة الأفراد والجماعات، والقرون الغابرة... ويمكن أن نشير إلى بعض منها: الصّوت — التّقليد — العُرف — الرّقص — الهددات — العادات — الحركات — الأوشام — الحكايات — المعابد — المزارات — الشّارات — الأوسمة — الأحفورات — الهدام... وأما الاتّصال يقوم بين مُرسِل ومُستقبِل، ولا علاقة له بتلك الأيقونات والعلامات والعُرف والرّسوم والحركات والأوشام...

وهكذا يهتمّ التّواصل بكلّ الدلالات التّقافيّة التي هي عند الشّعوب، ومختلف التّفسيّرات التي تختلف من قوم/ شعب لآخر باعتبار العُرف والعادات وما اصطلح عليه سلفاً من وسائل التّواصل، وبخاصة ما توارث الخلف عن الأجداد، فمثلاً للموز دلالات، وللألوان دلالات، وللوضعيات دلالات... وتختلف هذه الدّلالات بحسب المجتمعات التّقافيّة. وأشير إلى كلمة مشهورة وهي OK فليس لها دلالة عالميّة، مثل كلمة (ALO ألو). وكلمة (OK أوكي) هي عند الأمريكيّين تعني (جيد) وعند اليابانيّين تعني (المال) وعند الرّوس تعني (الصفر) وعند البرازيليّين علامة (السبّ). ونلاحظ هذه الاختلافات العلاميّة/ السّيميائيّة بين المجتمعات بسبب المصطلح عليه سلفاً اعتباطاً. ومن هنا نرى

أنّ التّواصل هامّ ومتجدّد بتجدّد معطيات الإعلام، ولهذا يقوم على خدمته خبراء في مجال الإعلام لتسهيل نقل أفكارهم وجعلها أكثر فاعليّة وإثارة في الجماهير. وتقوم استراتيجيّته على: استعمال الشّعارات والرموز بغرض التّأثير في المتلقّي — تقديم الأرقام والإحصاءات — بناء النتائج على مقدّمات — تنفيذ وجهات النظر الأخرى — إثارة خوف الناس.

ويستعمل التّواصل في تدريس اللّغات الأجنبيّة Communication language teaching والهدف منه تطوير القدرة التّواصلية؛ لأنّ هدف تدريس اللّغة هو التّواصل، ويهتمّ بما تتطلّبه المواقف الوظيفيّة في الحياة اليوميّة "إنّ المقاربة التّواصلية ترتكز على جعل التّواصل بؤرة أنشطة القسم، مع الاهتمام بمختلف الاستعمالات اليوميّة للّغة بحسب سياقاتها الاجتماعيّة ومواقف الحياة الوظيفيّة"⁴. كما أنّ للتّواصل وظيفتين: معرفية؛ وتتمثّل في نقل الرموز الذهنية وتبليغها بوسائل لغويّة/ غير لغويّة. وتأثيريّة وجدانيّة: وتقوم على تمثين العلاقات الإنسانيّة وتفعيلها على المستوى اللفظي وغير اللفظي.

⁴ — بدر ابن الرّاضي "تعليم اللّغة وتعلّمها مقارنة تواصلية" مجلة علوم التّربيّة. المغرب: 2008 (اللّغة والتّواصل التربويّ والثّقافي) العدد 13، ص 13.

— تقنيات وسائل التّواصل: هناك خصوصيات لكلّ وسيلة من وسائل التّواصل، فكلّ منها مسطرتها تستعملها في سبيل الإقناع والمُحاجَجة، ونظراً لتعدّدها نروم من الطّالب أن يتفاعل مع كلّ وسيلة من الوسائل بحسب مُحدّداتها. وأهمّ هذه الوسائل هي:

1— اللّسان.

2— الأيقونات.

3— الوسائل المُعاصرة.

4— الحركات.

تمارين

— التّمرين الأوّل:

1— حاول تحليل هذه الأيقونات، وعلّق على كلّ واحدة؟

2— أين يمكن أن توضع كلّ أيقونة؟

3 استخرج الأيقونات ذات العلاقة بالمُعتقدات؟

.....	7
.....	8
.....	9
.....	11
.....	12
.....	13
.....	14
.....	15
.....	16
.....	17
.....	18
.....	19
.....	20

– التّمرين الرَّابِع: "لاحظْ عالَمُ اللّسانيّات (روبنز) أنّ معظم السّمات التي تميّز التّاريخ المعاصر في الغرب قد نشأت في عصر النّهضة واستمرت دون انقطاع حتى الوقت الرّاهن. وأنّ الكثير من تلك السّمات كان له تأثير مباشر في الاتّجاهات التي اتّخذتها الدّراسات اللّغويّة في ما بعد. والواقع أنّ ما لاحظته (روبنز) بالنّسبة إلى عصر النّهضة في الغرب يمكن تعديته إلى

عصر النهضة العربيّة وما صاحبه من ردود فعل كان للجانب اللّغويّ حظّه الوافر منها. فأسئلة النهضة حاضرة بشكل جليّ في الفكر اللّسانيّ العربيّ؛ حيث يمكن أن نميّز بين اتّجاهات مختلفة: اتّجاه طفري (حدائيّ) واتّجاه تراثي (تقليديّ) واتّجاه توفيقيّ والأكثر من هذا أنّ هذه الاتّجاهات تظهر أحياناً في الاتّجاه الواحد. هذا ما حكم على النّقافة العربيّة عموماً، واللّسانيّات خصوصاً باجترار قضايا هي في غنى عنها. نتساءل هنا: ما موقع الفكر العربيّ من الفكر اللّسانيّ الحديث؟ ثمّ ألم يحن الوقت بعد لتقويم هذه الحصيلّة، والخروج من هذه الدّوامة؟

السؤال: ماذا يطرح النّص في علم اللّسانيّات؟

التّواصل الجامعيّ

يحصل هذا في التّعليم العاليّ، فهل هناك تواصلٌ في جامعاتنا؟ في الحقيقة، هناك تواصلٌ واحدٌ من قناة المرسل (الأستاذ) فهو تواصل آحاد، ومن شروط خاصيّة التّواصل أن تكون له ثلاث ركائز وهي:

1- ركيزة المرسل.

2- ركيزة الرّسالة.

3- ركيزة المستقبل.

فالمرسل والمرسل إليه يستقبلان/ يتبادلان رسائل كلاميّة ويشفّران لغة مشتركة. وهذا بقصدية لغويّة أو بتداوليّة الخطاب. فمن خصائص اللّغة خاصيّة التّداولية في اللّغات الطّبيعيّة. وفي هذا المقام يجدر بي أن أعرض تلك الخاصّيّات بصورة مختصرة، وهي:

— "خاصيّة السياقيّة المقاليّة والمقاميّة: لا يكون التّداول اللّغويّ ولا يقوم إلّا من طريقين متحاورين على الأقلّ، وداخل سياق أحدهما مقاليّ Conteste linguistique والآخر مقاميّ Contexte situationnel.

— خاصيّة التّفاعليّة الاجتماعيّة والتّعدّد الوظيفيّ: وفحواه أنّ
للّغات الطّبيعيّة وظائف لا تكاد تنحصر بتعدّد حاجات التّواصل
وضروراته التي تدعو إلى التّفاعل الدّائم والمُستمرّ، والذي
يتجاوز الوظيفة الإخباريّة.

— خاصيّة التّضمين والاختزاليّة: ومفادها أنّ التّخاطب قائم
على نوع من المعرفة المُشتركة، والتي تسمح ببناء الكلام
المقتصد، والاستدلال على المعنى بتقدير المحذوف؛ دون الذكر
أو الإشارة إلى الرّمز.

— خاصيّة القصدية: وتعني أنّ فعل التّخاطب لا ينفكّ عن
رغبات وحاجات وقصود نفسيّة وأفكار تحملها العبارة، فتظهر
تارة وتختفي تارة، وعلى هذه الخاصيّة مدار شطر الدّلالة
الأكبر.

— خاصيّة الالتباسيّة: ومقصدها أنّ جملاً وملفوظات الخطاب
الطّبيعي تحتمل معاني مختلفة، سواء بأن يطلق اللفظ الواحد على
مُسميات مُختلفة، ويدلّ على معاني مُتعدّدة لفظ مشكلات
Homonymie.

— خاصيّة سلطة أمن اللّبس: كلّ لغة تنظر إلى أمن اللّبس
باعتباره غاية لا يمكن التّفريط فيها؛ لأنّ اللّغة المُلتبسة لا تصلح
واسطة للفهم والإفهام، واللّغات في أصلها خلقت للفهم والإفهام.

وهكذا في الحقيقة يكون المرسل مُستقبلاً، والمُستقبل مُرسلاً ونظراً لضعف التّواصل اللّغويّ في الجامعة، نشاهد اختلالات تواصلية مُمثلة في: ضعف استعمال المرسل إليه للغة التي يتعلّمها — ضعف عملية التّخاطب بين الأستاذ/ المرسل والطّالب/ المستقبل، فلم يكن الطّالب مُرسلاً — قلة التّبادل اللّغويّ والتّبلغ، ضعف التّأثير وسُبُل الإقناع — قلة توظيف وسائل التّواصل الحديثة من مثل: النّاسوخ والشّابكة والنّانوتكنولوجي — غياب استراتيجيّات التّواصل في الدّعايات والإعلانات... ولهذا يتطلّب التّواصل في الجامعة قدرات مُتنوّعة وهي: القدرة اللّسانية — السّوسيولسانيّة — الذّريعية⁵. ولكن هذه القدرات لا نجدها في طلابنا لعدّة أسباب، ومن بينها:

— ضعف إتقان العربيّة لدى المتعلّم؛

— ضعف نوعيّ تعليمها ومنهجها؛

— عدم توفّر لغة تعليم عربيّة شاملة؛

— عدم توفّر مدرّس لائق؛

— عدم توفّر مدرّس ناجح؛

⁵ كنزة بنعمر "القدرة اللّغويّة والتّواصلية" مجلة معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب. الرّباط: 2007، أعمال ندوة (اللّغة والتّواصل 5-6 نونبر 2007) ص 53-54.

— عدم توفر الوسائط التربويّة الجديدة؛

— اختلال في وضع اللّغة العربيّة في الحياة العامّة.

فأمام هذه العدميات يعني غياب التّواصل اللّغويّ الفعّال، ويعني غياب الإبداع، ويعني إنّ الطّالب لا يزال خزاناً تُصبّ فيه المعلومات، دون أن يعمل على إعادة المعلومات بطريقته التّحصيليّة، ودون تغذية راجعة.

وما بقي من وسيلة التّواصل العاملة والمؤثّرة في ذات الوقت هي الخطابة/ الخطبة بمعناها العامّ. فالخطيب لديه استراتيجية إلقاء خطبته بتخفيض الصّوت، ثمّ يعلو شيئاً فشيئاً، فالخطيب الدّينيّ مثلاً، وبخاصّة المفوّه الذي يستشهد بالقرآن، ويوظف الحديث الشّريف، يستطيع أن يحفّز المُصلّين، ويرفع من حماسهم وإيمانهم، ومن ثمة العمل بالتّعليمات التي يُصدرها. والسبب في ذلك أنّه يعرف مواقع صوته، ومتى يميل، ومتى يعتدل، ومتى يهيج المُستمعين... وهكذا كان يفعل كلّ الخطباء المشهورين حيث حملوا المعرفة العلميّة العامّة والخاصّة، وطلبوا الزّعامة وتحرّروا من الخوف، وعزّزوا الثّقة بالنّفس، واعتلوا المنابر وكرّروا التّجارب، واعتنوا بالمظهر الخارجيّ، وتجنّبوا التّكرار أو الحنونة. وبذلك نجحوا واستمّلوا النّاس، وكسبواهم إلى صفوفهم، بل أصبحوا مرجعيّات في الخطابة. وكذلك يفعل القادة

العسكريّون عندما يزورون الجنودَ في اللَّحظات الأخيرة للمعركة، فبالخطبة المفوّهة البليغة يشحذون الهممَ، ويقوون العزائمَ، وأما عدا هذا، فلا يوجد تواصل تأثيريّ بالمعنى الاستراتيجيّ للكلمة.

إنّ الخطيب هو يُلقي خطبته بصورة عادلة مُتزنة حيث السّرعة والبطء؛ حيث إعطاء الأصوات حقّها من النطق، ومنح الكلمات قدرتها من البيان، وتوزيع درجات السّرعة على المنطوق بصورة عادلة، والمعرفة بمواجهة الجمهور، والإلمام بالموضوع، وحضور الذّهن، والتصرّف عند الضّرورة والتّلوين والتّنوع الموسيقيّ، وحسن استعمال حركات الجسم المناسبة للموضوع، ومراعاة الأكسيّة اللّغويّة: نبر — فواصل — تنظيم... ويقول الجاحظ عن الخطباء: "واعلم —أبقاك الله— أنّ صاحب التّشّدق والتّقعر والتّقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماحة التّكلف وشنعة التّزيّد، أعذر من عيّ يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرّض لأهل الاعتياد والدّربة. ومدار اللّائمة ومُسْتقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التّكلف، وبياناً يمازجه البيان والتّبيين"⁶. إنّ الكثير من الطّلبة الآن يتقنون ويجيدون الإعراب ويحسنون تقطيع الشّعر، ولكنهم لا يجيدون قراءة الشّعر دون

⁶ — الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: حسين السّندوي، ط3. القاهرة: 1947، ج 1، ص 30.

خطأ، لأنهم لم يتدربوا على الإلقاء، ولم يمارسوا المحادثة، ولم يُتقنوا فنّ الاستماع، وهذا راجع إلى مرحلة تلقين المحادثة فإنهم لم يتلقوا المحادثة بصورة عفوية، ولم يمارسوها ممارسة طبيعية، علماً أنّ المحادثة تعلّم التّمييز/ الطّالب تنظيم أفكاره قبل نطقها، وتنمي فيه حاسة البداهة، وسرعة الاكتشاف، وحسن الأداء، وسلامة النّطق، وقوّة التعبير، وفنّ التّأثير في الآخر وجذب الانتباه "إنّ قلة الاعتماد على المُشافهة في التّعليم من مُحادثة واستماع هي أحد أسباب تراجع العربيّة الفصيحة وطغيان العاميّة، حتى كادت تتحوّل لغة الكتابة والقراءة فحسب مع العلم بأنّ لغة الكتابة يجب أن تكون في مستوى أعلى من الفصاحة والبلاغة والبيان لتكون اللّغة الفصيحة"⁷. إنّ الإنسان يصنع الشّيءَ الضروريّ له في صورة فكرة أوّل الأمر، ومن ثمّ يصنعه وفقاً لهذه الفكرة على أرض الواقع، وعلى صعيد الممارسة تنمو الفكرة أكثر إن لم تولّد أفكاراً أخرى. فالممارسة تنطوي على معنى المُداومة وكثرة الاستعمال *La pratique* وهي موضوع في المعرفة الإنسانيّة، ولا يمكن التّوصّل إلى فهم معرفة الإنسان للأشياء إلّا بالإنّمام بموضوع الممارسة التي تغني المعرفة وتنميها؛ حيث الممارسة هي التي تنمي المعارف

⁷ — أحمد زياد محبك "أهميّة المُشافهة في تعليم العربيّة" مجلة التعريب. دمشق: 2006، المركز العربيّ للترجمة والتّأليف والنّشر العدد 30، ص 91.

وتُعَدُّها، وهي رهينة ظروف اجتماعية وثقافية، وفيها تنمو التراكمات المعرفية التي تأتي عليها.

وما يمكن الوصول إليه، هل تملك الجامعات أمثال هؤلاء المفوهين؟ يمكن أن يكونوا، وإن لم يكن من يتقن فنيات الخطابة ولكنّ المواقع التعليمية أحياناً لا تتطلبها، ولهذا يتعطلّ خطاب الأستاذ الخطيب/ المفوه/ البليغ، بل ربّما يُوصَمَ بأنه من المُتَعَرِّين، فينزوي بعيداً، ولا يُظهر إمكانياته اللغوية. والعُهدَة في هذا أن تعمل الجامعات الوطنية على إعداد جيل الخطباء الذين لا شكّ أنّهم يتعرّضون أوّل مرة، ثمّ يستقيم عودهم، جيل المُنْشَطِينَ والمُعَلِّقِينَ والمُحَلِّلِينَ الذين يستعملون اللّغة في مختلف المواقع، وكذلك تعلق اللّغة الفصيحة في اعتلاء المنابر.

— تقنيات التّواصل الجامعيّ: وهي تقنيات تخصّ العلاقة العلمية بين الطّالب والأستاذ، ويعتمد الطرفان في عمليّات التّواصل على استعمال التّقنيات التّالية:

- 1— تقنيات الإلقاء والإملاء.
- 2— تقنية عرض البيانات عن طريق المكشاف.
- 3— تقنية عرض البيانات عن طريق Data show.
- 4— تقنيات عرض الدّرس عن طريق Power point.

5- تقنيات تكليف الطّلبة بتقديم بحوث.

ويمكن التّعليق على مختلف التّقنيات التي تعتمد في وسائل التّواصل الجامعيّ، فإنّها لا تخرج عن الإملاء والإلقاء في أغلب الحالات، وغياب التّواصل الرّجعي بأن يصبح الأستاذ مُسمّعا والطّالب مُرسلاً، ونقص استعمال الوسائل الحديثة في عمليّات التّواصل.

تمارين

– التّمرين الأوّل:

- 1- أعدْ خطبةً بمناسبة تخرّج دفعتك آخر السّنة؟
- 2- اكتب خطبةً مُسهبةً بمناسبة يوم الشّهِيد؟
- 3- هبْ أنّك انتدبتَ لتمثيل زملائك في مهرجان الشّعْر، فماذا تقول؟

– التّمرين الثّاني: تخيّل أنّك تغيّبتَ عن محاضرة حلّ فيها المحاضرُ نتائجَ دراسةٍ جديدة منشورة في مجلة أكاديميّة مُعترف بها، وتريد استدراك الغياب بنقلها من زميل كنتَ تجلس معه

ولكن من باب التثبت تريد الاتصال بزميل آخر لنقل ذات المحاضرة، فنقلتها ثانية، لكن هناك شخص آخر أكثر صديقاً من الأول والثاني فتريد الاتصال به، فاتصلت وأعطاك المحاضرة الأفضل، ولكنها شفاهية. وكان كل هذا وسيلة اتصال كبيرة.

1— حدد عمليات الاتصال؟

2— وضح المرسل والمرسل إليه؟

3— ما نوع الخطاب الذي يحمله هذا التواصل؟

— التمرين الثالث: ما أثنائي رجل. هذه جملة ملتبسة، تحمل

أربعة (4) معاني، فما هي؟

—

—

—

—

— التمرين الرابع: ورد في عيون الأخبار هذا القول: "قال

أحدُهم: هو زيدُ الزمان، الذي يضرب به المثل، وعمر الأوان وقد أكثر من سيبويه الأوان، ومازني الوقت... وهو صاحب

القدر المرفوع، ولواؤه المنسوب، وذيل فخاره المجرور والمعروف بما لا يُنكر لمثله الحزم، والذاهب عمله الصّالح بكلّ العوامل التي لم يبقَ منه لحسوده إلّا الجزم..."

ما هي المقاصد التّداوليّة من هذا النّص؟

— التّمرين الخامس: "قيل أقبل أعرابيّ يريد رجلاً وبين يدي الرّجل طبقُ تين. فلما أبصر الأعرابيّ غطّى التّين بكسائه والأعرابيّ يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرّجل: هل تحسّن من القرآن شيئاً؟ قال الأعرابيّ: نعم. قال: اقرأ؟ فقرأ: والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين، قال الرّجل مهلاً يا هذا: فأين والتّين؟ قال: التّين تحت كسائك".

السّؤال: ما هي الخاصيّة التّداوليّة التي يشير إليها هذا النّص؟

— التّمرين السّادس: ماذا يمكن أن تستنتج من المقاصد التّداوليّة من خلال ما يلي:

— طويل النّجاد رفيع العماد سادَ عشيرته أمرّدا

— ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِۦ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر 11.

التعبير وأصنافه[♥]

— مقدمة: لماذا الاهتمام بالتعبير؟ نظراً لقلّة المَحْصول اللّغويّ لدى الطّلاب، وطُغيان التّعبير الكتابيّ على الشّفاهيّ، ومُزاحمة اللّهجات والمزيغيّات للفُصحى، والاستعمال الخاطئ لكثير من الأساليب، وعدم التّفريق بين الخطابات في المواقف المُتباينة ومُعانة الطّلبة في كتابة أبحاثهم وأطاريحهم، بل في رسائلهم الشّخصيّة... ولهذا يقع التّركيز على صناعة التّعبير، وبناء أركان التّواصل، وإقامة أنماط لغويّة؛ وصولاً إلى حسن الإقناع والمُحاجّة.

تقنيّات التّعبير: في هذا النمط كلمتان أُشرح كلّ واحدة أولاً على حدة:

1- تقنيّات: من فعل (تَقَنَّ = تَقَنَّ) يركّز على الآلة وجهاز الحاسوب/ الفيديو وما له علاقة بالأوعيّة المُعاصرة مثل / CD Flash وكيفما كان الحال، فالغرض من هذا اللفظ حمّل المعنى المقصود، وغايته استيعاب مفهوم الصّناعة الآليّة، وكلّ ما يدخل في باب التّواصل الآليّ ومنهجها.

♥ — أُفيد القارئ بأنّ بعض هوامش هذا الملف قد سقطت بفعل هذه التقنيّة. وما يرد بين شولتين " " ليس من كلامي.

تقنيّ: منسوب إلى الثّقن: ذو علاقة بالعلوم الصّناعية "تعدّ المعاهد الثّقنيّة أو الصّناعيّة خبراء تقنيّين في مختلف الحقول" تقنية جمع تقنيّات. علم الثّقنيّة: تكنولوجيا (علم الصّناعة) الأسلوب أو الفنيّة في إنجاز عمل أو بحث علميّ ونحو ذلك مثل (تقنية القصة) (تقنيّة البناء) "يتميّز هذا العصر بتقدّم الثّقنيّات في مختلف الميادين العلمية والفنيّة".

يستخدم مصطلح (الثّقنيّة) ليدلّ على استخدام الثّقانات أو التّكنولوجيا المعاصرة في ميدان من الميادين، وتوظّف هذه الثّقانات حالياً في التّعليم؛ فهي آلات مساعدة أو أساسيّة في عمليّات التّواصل، وصارت لا يمكن الاستغناء عنها سواء الملموسة أو البعيدة "أسهمت ثّقانات الاتّصال عن طريق الأقمار الاصطناعيّة Satellite في تيسير الاتّصال، وخاصّة في الشّابكة وتوابعها مثل الشّبكة العنكبوتيّة العالميّة (World Web) والفاكس Fax أو المثالة (النّاسوخ) التي تنقل الكتابة والصّورة في صورة طبق الأصل بوساطة الهاتف والتلّكس Télex والبريد الإلكترونيّ E-mail وصارت هذه الثّقافات أنظمة أساسيّة للتّعلّم المفتوح العالميّ، ممّا ييسّر التّعلّم في البيت والمكتب من دون الحاجة إلى السّفر طلباً للعلم".

إنّ استعمال الشّرائح الشّفافّة Transparent والتي لا يمكن الاستغناء عنها، والعاكس/المسلاط العاكس Rétroprojecteur

أو الشاشة الكبيرة Screens كلّها من الأجهزة التي تتطلبها عمليات التعليم والتّعلّم المعاصر، وهي من ضرورات نجاح الدّروس، وأساسيات في غرض التّواصل، وفي عرض البرامج أو إلقاء الدّروس، فهي من مُستلزمات ميادين التّعليم في المقام الأوّل، وتُستخدم في الميادين الأخرى.

إنّ الشّابكة؛ وهي شكلٌ جديدٌ يتضمّن البريد الإلكترونيّ والردّشة عن بعد، من الأشياء التي يتمّ بها التّواصل، وهي اليوم من مُعجزات القرن الواحد والعشرين، مُعجزة ثامنة، ومن هنا فهي تفرض نفسها كمجال تقديم خدمات جبارة، فلا يمكن التّهاون ممّا تقدّمه من تسهيلات، فهل نتجاهلها بهذه البساطة؟ وهذا ما يجعلني أوكد أهمية استعمال هذه التقانات في مجال التّواصل التّعليمي، ولا يكون التّواصل فعّالاً إلّا إذا وفرنا كلّ شروطه ومن بينها استعمال الآلات.

لقد أصبحت التقنيّات المُعاصرة من أهمّ الوسائل الفعّالة في التّواصل الإنسانيّ، ويقتضي استثمار هذه الآلات في تبليغ المعلومات لما توفّره من الوقت والسّرعة، وسهولة التّواصل والتنّظيم، وتحقيق المستوى الفعّال من النّجاح في التّواصل، كما تمكّن الأجهزة من جعل الفكرة تتسم بالشّمول وتقريب المعلومة وتيسير استخدامها، وتقديم خدمات نوعية حسب الطّلب. وإذا قلنا التقنيّات نعني بها تلك المناطق (البرمجيّات) التي تقدّمها هذه

الآلات، وفيها أنظمة حاسوب مُساعدة، واستدعاء المعلومة واستثمارها في مجال الخدمات. فهي عبارة عن مستقبل ومرسل ولذا إذا أردنا السَّير على منوال المعاصرة أن نَعتمدها بقوة بدءاً من نظام العرض Power point الذي يعتمد الشرائح Diapositives وهي تسهّل عملية عرض المعلومات بتقنيّات جديدة، إضافة إلى الوسائط الأخرى التي يجب أن تُفرض في منظومة التّربية والتّعليم. وأما التّقانات في الأدب: فتدخل في المنهج التّقنيّ العقليّ المضبوط الذي لا يقبل التّقديم والتّأخير ولا التّجزئة ولا احتمال الخطأ، وينحو منحى الخروج من الشّعريّة. ومطلوب من أساتذة الأدب -في عصرنا- أن يعملوا على استعمال هذه التّقنيات، بل هي من الضّرورات التي تعمل على ترقية اللّغة العربيّة.

1/1- فنيّات: من فعل (فَنَنَ) يَفُنُّ فَنّاً؛ فهو مُفَنٌّ وفَنّان. فَنّ الشّخص: كثر تفنّنه في الأمور... فنّ مصدر فنّ، جمع فنون وأفنان وأفانين. الفنّ نظام، والنّظام اقتصاد، ولذا، فالفنّ اقتصاد في المجهود ودون حشو الكلام.

إنّ الفنّ عمل إبداعيّ في مجال الرّسم أو النّحت أو الموسيقى أو غير ذلك. وهو جملة القواعد الخاصّة بحرفة أو صناعة... حاذق في حرفته "الفنّيون يتقاضون أجوراً عالية". الفنّ عمل إبداعيّ غايته تحقيق صيغة جماليّة، وكلّ ما يستمدّ قيمته من ذاته

وليس من المنفعة وغيرها. ويتوجّه للتأمّل والخيال، فنقول: الفنّون الجميلة Les beaux-arts يقول عمر راسم "وإنّ الفنّون الجميلة هي عنوان تمدّن الأمم، والدليل على ما بلغته من درجة في السّمّو الروحانيّ؛ لأنّ الدّاعيّ إلى حبّ الفنّ والميل إليه والولوع به هو حبّ الجمال، والباعث لنشاطه لطافة الذّوق ورقة الإحساس، وقوّة الشّعور الحيّ".

— فنّ الكلام/ القول: يطلق على الصنّاعة اللفظيّة، وما له علاقة بجمال الأسلوب والإبداع، ويقوم هذا الفنّ على تغيير الألفاظ وعلة الفعل والانفعال والاجتهاد واختيار الحال. ويستعمل في فنّ المنمنمات/ فنّ الخطّ/ فنّ الكاريكاتور...

فنيّات	تقنيّات
له جانب يتعلّق بكلام عفويّ بسيط	له جانبيّ تعلّق بكلام إداريّ
له جانب توظيف الأساليب	له دور في استعمال التقانات

2- التّعبير: من فعل (عَبَّرَ) الرّباعيّ؛ بمعناه الإبانة والإفصاح باستعمال العلامات اللّغويّة وغير اللّغويّة: صورة — إشارة — حركة... كما تعني كلمة التّعبير: "... لغة المشافهة هي عند

جميع الأمم أسرع تحوُّلاً وتطوُّراً عبر الزَّمان؛ إذ إنَّ ألسنة النَّاس أكثر عُرضة للخطأ، بخلاف لغة التَّحرير فإنَّها أميل إلى المحافظة على النمط اللُّغويِّ الذي تَعَوَّد النَّاسُ عليه وورثوه من أسلافهم. وهذا يفسِّر أنَّ جميع لغات الدُّنيا إذا ما تبنَّت أصحابها نظاماً من الكتابة، وصاروا يحرِّرون به انشَقَّت مع مرور الزَّمان إلى شقين اثنين:

— التعبير الشَّفاهيُّ العفويُّ المُتعرِّض للتَّحوُّل السَّريع لا من حيث مدلولات الألفاظ فقط، بل أيضاً من حيث البنية والنَّظام الصوتيِّ والنَّحويِّ والصَّرفيِّ.

— التَّعبير الكتابيُّ فهو بطيء التَّحوُّل". ينقسم التَّعبير من حيث الموضوع إلى نوعين:

التعبير الشفاهي

وهو "نشاط لغويّ ينقل المتعلّم من خلاله ما يُحسّه ويُشاهده ويفهمه ويفكّر فيه إلى ألفاظ أو جمل أو تركيب أو نصوص". ويتمّ فيه الرّبط بين اللّغة والتّواصل: فاللّغة أداة تعبير وتواصل لفظيّ بين شخص يُنتج خطاباً مُوجّهاً إلى شخص آخر، يتوسّم فيه الاستجابة بطريقة صريحة أو ضمنيّة "إذا كان الغرض من التّعبير هو اتّصال النّاس ببعض لتنظيم حياتهم وقضاء حوائجهم فهذا ما يسمّى بالتّعبير الوظيفيّ مثل المُحادثة والمناقشة وقصّ القصص والأخبار، وإلقاء التّعليمات والإرشادات، وعمل الإعلانات، وكتابة الرّسائل والمذكرات والنّشرات، وما إلى ذلك. أما إذا كان الغرض هو التّعبير عن المواطن النّفسية ونقلها إلى الآخرين بطريقة إبداعية مُشوّقة ومُثيرة، فهذا هو التّعبير الإبداعيّ أو الإنشائيّ مثل كتابة المقالة وتأليف القصص والتمثيلات والتّراجم ونظم الشعر... إلخ".

— التعبير الشّفويّ والتّداول اللّغويّ الاجتماعيّ: صحيح نحن لا نتعلّم لغة الحياة اليوميّة أو لغة التّداول، وهذا ضمن منظور اللّغة الأمّ التي لا توظّف حتى في التّواصل العلميّ. وأما من منظور مستويات اللّغة؛ فنحن نتعلّم المستوى الأعلى من اللّغة

التي تُدرّس مباشرة، فكيف يتمّ التّواصل بحريّة وتلقائيّة في جوّ طبيعيّ عن طريق أداة يحتاجها المتعلّم للإلمام بها، وإعادة النّظر في لغته المألوفة أو التخلّي عن استعمالها في مواقف العلم أو التّواصل مع الأعلى، إذاً لا معنى لتعلّم اللّغة الأمّ كأداة للتّواصل أو كأداة للاندماج في الوسط اللّغويّ الذي يعيش فيه المتعلّم.

— تقنيات التعبير الشّفاهي:

- 1— استعمال اللّغة الواضحة.
- 2— استعمال المؤصّحات.
- 3— توظيف الإشارات.
- 4— التّكرار.
- 5— استعمال الشّواهد والبيانات والأمثلة.

التعبير الكتابي

تُقدّمُ دروسُ التعبير الكتابي في المدرسة الابتدائية من أجل غرس نسق لغويّ فصيح، وإنبات القدرات اللغوية للمتعلّم، وهذا عبر القنوات التالية: الفهم — النطق — التكلّم — القراءة — الكتابة. وإنّ درس التعبير يعني استعمال الفصحى استعمالاً جيّداً، أو استعمال ناصية اللغة العربيّة كما يُقال في درس التعبير؛ يعني المحادثة بالعربيّة في التعبير التربويّ، وكان معمولاً به حتى بداية تطبيق المدرسة الأساسيّة. ودرس التعبير يعني امتلاك جهاز مفاهيميّ مُستخلص من كُنه اللغة العربيّة سواء في بنيتها العميقة أو في بنيتها السطحيّة. ودرس التعبير لا تفيدُه مقارنة نظريّة واحدة، بل مقاربات نفسيّة اجتماعيّة لسانیّة ومن هنا ستكون المقاربات لهذا الموضوع سيكولوجيّة-لسانيّة تفرضها طبيعة درس التعبير الجامع بين: الجانب النفسيّ الوجدانيّ، والجانب اللغويّ اللسانيّ.

ولكن اليوم نرى درسَ التعبير يزخر في المرحلة الابتدائية بمجموعة من المشاكل التي تكاثرت، وأُخرجت تلاميذَ لا يُحسنون التعبير، وهذا ربّما من أسباب الفصل بين المستعمل اللغويّ العفويّ والذي لا ينسجم مع الاستعمال المدرسانيّ، أو بسبب نقص التكوين اللغويّ المُستمرّ المُصاحب لكلّ تحوّل أو

انتقال أو تغيير في البرامج والمناهج، وكذلك غياب الممارسة. وأما في المرحلة الجامعية فإننا ندرس تقنيات/ فنيات التعبير؛ وهي متعلقات الجوانب المنهجية بتوظيف فنيات: المقال — الحال — السياق — مقتضى الحال، إضافة إلى الفنيات الصناعية ذات العلاقة بالتواصل. وهذه التقنيات تبقى في التطوير وفي حدود ما يجب أن يكون، أو ما هو كائن في الواقع، أو في تعبيرات الطلبة فهناك شرخ صارخ ينبئ عن تدهور لغوي غير مقبول.

— تقنيات التعبير الكتابي: ليس سهلاً أن اقدم وصفة جاهزة لتقنيات التعبير الكتابي؛ حيث تتنوع هذه التقنيات بحسب الشخص المتوجه إليه الخطاب، ومن هنا لا بدّ من مراعاة: الموجه إليه — نوع الخطاب — حدود الخطاب — مدة الخطاب. وعند ذلك يمكن رسم معالم أولية لتقنيات التعبير، ويمكن الا تخرج عن:

1— توظيف لغة واضحة فصيحة.

2— استعمال الجمل التي لا تحمل اللبس.

3— احترام قواعد الكتابة.

4— الانطلاق من مسلمات عينية مقرر بها بين الطرفين.

تمارين

– التمرين الأول: ما هي الفنون الجميلة؟

– التمرين الثاني: عبّر بلغة متنسقة ومنمّقة عن لوحة فنية رافتك مستخدماً أساليب السجع؟

– التمرين الثالث: خذ فصل (الالتفاف) في كتاب (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) لأبي محمد القاسم السجلماسي وادرسه دراسةً بديعية؟

– عبّر كتابياً عن مريضة آلمك مرضها، وتودّين مساعدتها ولكنّ ما بيدك حيلة إلاّ الدّعاء؟ واستخدم فنّون البلاغة الثلاثة في الدّعاء؟

.....

.....

.....

.....

صناعة التعبير

في الحقيقة إنّ التعبير هو ذلك الكلام الشفويّ الذي يأتي عن طريق عمليّات التفكير للتعبير عن الصُّور والمشاهدة، أو نقل الكلام بين المُتحدّثين، ولذا يَسْبِقُ التعبيرُ الشفويّ الكتابي؛ فالشفويّ درسٌ قائمٌ بذاته يحاول المتعلّم نقل الأفكار والخواطر وما يحسّه إلى عالم الألفاظ. وأمّا الكتابيّ فهو مجموع التمارين الكتابيّة اللّغويّة التي يقوم بها متعلّم اللّغة. وأمّا درس التعبير في ذاته فهو يسعى إلى إكساب المتعلّم النّسق اللّغويّ ومساعدته على استضمّاره عن طريق بنيات لغويّة. درس التعبير يمدّ المتعلّم بما يعوزه في المحادثة عن طريق بنيات نمطيّة تحتاج إلى الممارسة. درس التعبير في طبيعته من الدّروس التي تخدم أركان اللّغة. دروس التعبير والقراءة والكتابة تتداخل في فضاء القسم؛ فتعمل على خلق ديناميكيّة النّجاح. وبالتّعبير المعاصرة نريد إغماساً لغوياً لمُستعمل اللّغة، وجعل الطّالب يسبح في تواصل يعتمد النّسق اللّغويّ الفصيح في بنيته السّطحيّة والعميقة حتى يأخذ هذا النّسق الفصيح مكانه في تواصله مع الآخرين بدل النّسق الدّارج. درس التعبير يفترض أنّه يقدّم حلولاً للتحكّم في اللّغة، ويتعلّق -في الحقيقة- بالنّظر في تلك النّقود التي قدّمها تشومسكي لكلّ من بياجي وسكينر، وما قدّمه بياجي لسكينر ونقد تشومسكي للبنويّة الفرنسيّة في اللّسانيات.

— **المحادثة:** هناك من لا يفرّق بين التّعبير والمحادثة، فهما مُترادفتان، ولكن إذا دقّقنا المسألة نجد المحادثة تميل أكثر إلى المُشافهة، وإلى استعمال الكلام العفويّ البسيط، أو ما يقرب من العاميّة، عكس التّعبير الذي له وجه المُشافهة، ووجوه من التّعبير المائلة للكتابة؛ فيقال: تعبّره كان واضحاً، أو عباراته مليحة راقية. ولا يقال: كانت محادثاته راقية، أو محادثه علميّة أو أدبيّة أو كتابة محادثة.... ونظراً للشرح بين لغة الكتابة (لغة الانقباض) ولغة المُشافهة (لغة الأنس) خرجت كلّ واحدة إلى شبه استقلاليّة.

ولإعادة اللّحمة بين المستويين كان علينا السّعي لرفع الأميّة في المقام الأوّل، والعمل على مُحاربة الأخطاء اللّغويّة، وإجراء الدّراسات الميدانيّة في التّضييق بين العاميّة والفصيحة. ومع هذا فتعدّ مهارة المحادثة من أهمّ المهارات اللّغويّة في التّواصل بصفة عامّة، حيث حدوث مواطن التّخفيف اللّغويّ، أو مواطن الاختلاس، والتّسكين، وحذف الادغام، والإبدال، والقلب، والتّنزّه عن الخلافات النّحويّة، وتوجيه لغة الإعلام وجهة وسطيّة، وعدم الإقرار بالخطأ الشائع. ولكن كان علينا العمل على دراسة اللّغة من واقعها الاجتماعيّ، ومن استعمالها العفويّ بصورة غير سُوقيّة، واللّغة كما يقول القدامى وضعّ واستعمال؛ فإذا تعرّضَ الوضعُ مع الاستعمال، فالاستعمالُ أولى.

فعلاً اللّغة وضعٌ واستعمالٌ، ولكن هناك مأزق الاختلاف في هذه المسألة، فرقٌ بين ما تقرّره القواعد النّحويّة بوصفها نظاماً مُستقراً في النّظام اللّغويّ، وما يُستعمل فعلاً أو مخفياً عمّا تقتضيه قواعد النّحو، وقد قالوا عن بعضها شاذّ لا يقاس عليه. وبالرجوع إلى الاستعمال؛ فالاستعمال "بمثابة الكلام Parole الذي أخرجه سوسير من اللّغة Langue لأنّ المتكلّم قد ينصرف في ألفاظه وتراكيبه فيخرج بذلك عن مقتضى قياس القواعد الذّهنيّة. لكن خروج المتكلّم عن مقتضى قياس القواعد تلك يكون محكوماً دائماً بالقرائن والدلائل التي تدلّ على المقصود، ولا يبعد عن مقتضى قياس (اللّغة) إلّا في حدود ما يفهم ولا يلبس وبخاصة صلته بالقواعد المختزنة في عقول الجماعة" لأنّ اللّغة إذا وصلت إلى عدم الإفهام خرجت عن وظيفتها الأسلوبية (الفهم والإفهام).

— التعبير الشّفاهيّ والكتابيّ: إنّ عمليات التعبير الشّفاهيّ أو الكتابيّ تتعلّق في الأساس بعمليات التّعلّم؛ وعمليات التّعلّم مُرتبطة بنظريات التّعلّم، والهدف الأهمّ في تعلّم العربيّة هو إكساب المتعلّم القدرة على الاتّصال اللّغويّ الواضح السّليم كتابياً أو شفاهياً. وأمام هذا كان على الأستاذ إثارة الطّالب بصورة طوعيّة في الإقبال على دروس العربيّة، وتدريبه على تحمّل

المسؤولية التعبيرية، وتقدير أعماله ومجهوداته، وتشجيعه الدائم ولا يكون ذلك إلا بـ: التّعلّم التّكراريّ معنى ومبنى — العمل على حضور الطّالب عند إنجاز الدّروس — العمل على ضمّ المتعلّم لصفّ الأستاذ الذي يلحّ على الإدراك اللّغويّ للوحدات اللّغويّة سماعاً واستعمالاً — العمل على إشعار المتعلّم بأنّه جزء من عملية نجاح الدّرس — إشراك المتعلّم بشكل فعّال في إعطاء حرية التعبير، وتوجيه أساليبه وإهداء عيوبه.

وكان على الأستاذ أن يعمل على كسب المتعلّم من خلال إشراكه في الدّرس والقيام بالأعمال الأسلوبية خارج الدّرس والتّحضير المُسبق للدّروس، ومن خلال ذلك يسعى المدرّس إلى إيجاد تفاعل قويّ بين مستوى توجيه الطّالب للمشاركة الفعّالة من خلال المتابعة للقراءة والتّعبير والتّصحيح الذاتي، وهذا كلّه ليتحقّق الإقبال بطواعية إنجاز التّطبيقات والتّدريب الموجهة.

بعض الفروق بين التّعبيرين: الشّفاهيّ والكتابيّ

التّعبير الشّفاهيّ	التّعبير الكتابيّ
آني تَعْلِقُ به الأخطاء	إبداع يَحْصُلُ فيه التّحسين
تعبير عفويّ بسيط	يبعد عن الاستعمال العفويّ وينشد المثال
الكفاءات الاحتكاكيّة تتعلّق بالشّفاهيّ	الكفايات النّحويّة تتعلّق بالكتابيّ
يلعب التّكرار دور التّرسّيح في الشّفاهيّ	تلعب الكتابة دور التّرسّيح في الكتابيّ
السّماع أبو الملكات في الشّفاهيّ	السّماع والكتابة لهما دور في الكتابيّ

بعض الفروق بين المحادثة والتّعبير

المحادثة	التّعبير
(حادث) تدلّ على الاشتراك	(عبر) تدلّ على الذات
تتعلّق أكثر بالشّفاهيّ	يتعلّق أكثر بالكتابيّ
تختصّ بالمرحلة الابتدائيّة	يميل إلى مرحلة بعد المرحلة الابتدائيّة
عبارة عن مناقشة	سلوك لغويّ يعبر عن مكنون/ تعليق

تمارين

– التمرين الأول: ضعُ ترسيمةً تبين فيها أوجه التّلاقي بين التعبير والتّواصل؟

– التمرين الثاني: ضعُ ترسيمةً تبين فيها أوجه التّباين بين المحادثة والتّواصل؟

– التمرين الثالث: هبْ أنّك في مرحلة الاتّصال بينك وبين مشرفك بخصوص تقديم استفسارات حول بحثك؟ فكيف تتصوّر الخطاب؟

القراءة

القراءة من المهارات اللغوية في مجال التواصل، فهي تُكسب القارئ قوةً، وتزيد من سلطته المعنوية، وتُعزّز قدرته على التواصل من خلال النقاش وتبادل الأفكار، وجُعِلَت القراءة لمعرفة الكثير من القضايا عن طريق تبادل الآراء. فالقراءة مهارة امتلاك المعرفة والمعلومة "ومن يمتلك المعلومة يمتلك القدرة على السيطرة والتحكم في توجيه الرأي وتغيير الأفكار والمعتقدات، ويحتاج المرسل/ المستقبل إلى هذه المهارة؛ فالمرسل يحتاجها لإرسال رسائله إلى المستقبل للردّ عليها. والتمكّن من القراءة هي عملية استفادة الطرفين، وتيسير تبادل الرسائل". ولهذا كي يعبر الإنسان جيّداً عليه أن يكون قارئاً جيّداً مُستوعباً، وحافظاً لأنماط اللغة، وعارفاً بمسكوكاتها، ومُبدعاً في أبعادها. ولقد كان السلف الصالح يعبّد القراءة، بل يتفانى فيها ولم تقف الصّعوبات والعوائق أمام طلب العلم، ونشدان الكتاب حيث وُجد، وتذكر لنا كتبهم أنّ الجاحظ لم يقع كتاب في يده إلاّ وقرأه "حتى إنّه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنظر"¹. والقراءة المعاصرة تفرض علينا الآن التزام القراءة

¹ — ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، معجم الأدباء. تح: إحسان عبّاس. بيروت: 1993، دار الغرب الإسلامي ج5، ص 2101.

السريعة مجارة للآليات الحديثة وهي قراءة تمكّنا من "إدارة مجموعة من المهارات التي تجعلنا نزيد من سرعة قراءتنا مع الاحتفاظ بنسبة استيعابنا، بل وزيادتها، ويكون الأمر مبنياً على تنشيط الجهاز العصبي وتوازن شقي المخ. ممّا يساعد على تحسين استخدام كافة حواسنا وقدرتنا بشكل صحيح²". وهذا هو المطلوب في واقعنا الذي يعزف فيه الكثير عن القراءة، وهذا ما ينذر بالخطر، فالملكة اللغوية سوف ينحسر نشاطها، ويقع الاعتماد على الآليات المعاصرة. وهذه الآليات إذا لم نحسن استغلالها سوف تضرنا؛ لأنّ الهدف منها هي تيسير الوصول إلى المعلومات لا إعطاء المعلومات، فنجد بعض الأساتذة يُعولون عليها في كلّ شيء، وهنا الخطر، فأين دور نشاط التفكير إذا أصبحت الآلة هي التي تفكرّ بدل الشخص المستعمل لها.

ولذا فإنّ القراءة رصيد التعبير والمحادثة، فأمّة تقرأ لا يعجزها البيان، وشعب يقرأ يدخل مجتمع المعرفة، وبخاصّة إذا كان بلغته الوطنية التي تعمل على الاعتزاز الوطني. وإنّ فعل القراءة فعل الثقافة والمتقّين والفنانين، وانتشار المعرفة أفقياً ولكن نقرأ علينا الآتي: محو الأميّة — تبليغ العلم للجميع —

² — شميصة خلوي، تقنيّة القراءة السريعة. الجزائر: 2013 منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص 17.

إشراك كلّ الفئات والوزارات — تهيئة الأماكن والظروف —
تغيير الذّهنيّات.

وعوداً على تأكيد أهميّة القراءة، أقول: إنّ القراءة مهنة يوميّة تدعوك إلى مداومة الاطلاع، وتذكّرك بقيمة العلم، فأنت تقرأ؛ بمعنى إنك تبحث عن المعارف، وشعب يقرأ؛ شعب متقف لا يمكن أن يُستعبد، ومن الضّروري إعمال العقل في ما نقرأ والتّوجيه نحو القراءة ذات المستوى الملائم للنّضج أمر يجب التّنبية إليه في اختيار الكتاب المناسب لنا ولآخرين "وقد تقرأ قراءات عامّة في فروع المعرفة، فهذه قراءة هدفها التّوّغل برفق في أعماق فرع من فروع المعرفة، وقد تكون القراءة بهدف إعداد بحث أو دراسة أو النّجاح في امتحان، وقد يكون ما تقرأه لا يتفق مع ميولك وأهدافك، فاحرص على أن تحدّد الهدف من القراءة؛ حتى لا تتداخل الأهداف، ويقال: إنّهُ من كثرة ما لديه من أهداف لم يُنجز هدفاً واحداً"³. وفي هذه النّقطة يجدر بي نقل أهميّة القراءة لدى بعض الشّعوب التي تعطي القيمة الخاصّة لفعل القراءة: كوريا الجنوبيّة + كوبا = صفر أمي؛ لأنّها من الشّعوب التي تقرأ وتقرأ ولا تتوقّف عن القراءة. اليابان: قال لهم كونفوشيوس: لا تناموا قبل أن تُكحلّوا أعينكم بالقراءة. الرّوس:

³ — علي بركات، يوميات في الثقافة العربيّة، القاهرة: دت، دار الفكر العربيّ، ص 99.

القطار خير متنفس للقراءة. الصين: نظراً لبعد المسافات، اغتنم لإنهاء قراءة كتاب. السويد: خير من يقويك على مقاومة البرد الكتاب الذي تحتضنه. السفسطائية الإسبانية: اقرأ لترق وتنال الجائزة. المتصوفة: إذا دخلت في القراءة فاقطع رجلي: التلمود: اقرأ كثيراً، واختر ما تقرأ. الفرنسيون: اقرأ وتمعن وتثقف. البنغال: أعطني الكتاب أعطك الحكمة. العرب: وخير جليس في الأنام كتاب...

— تقنيات القراءة:

- 1— القراءة السريّة أولاً.
- 2— القراءة الجهرية.
- 3— عدم السرعة المفرطة.
- 4— مراعاة الجمهور.
- 5— استعمال فنيّات علامات الوقف.
- 6— العمل على استمالة الحضور.

تمرين

صحّح الأخطاء في العبارات التّالية؟

- 1- إنّ هناك تحدٍ =
- 2- أجرى عمليّة إجلاء ضخمة =
- 3- يشكّل نقطة ارتكاز مهمّة =
- 4- أغلق الباب فهو مغلوق =
- 5- الرئيس يدين العدوان على سورّيّة =
- 6- ساهم الرّئيس في نجاح المؤتمر =
- 7- قرأت الكتاب خاصّة الفصل الأوّل منه =
- 8- محمد غيران على وطنه =
- 9- نحن في شهر جماد الأوّل =
- 10- ألاحظ السّرور بادٍ على وجهك =
- 11- ورديت عليه بالقول الصّواب =
- 12- حذاري من الأخطاء اللّغويّة =
- 13- حصلت على الرّتبة الثّاني عشر =

- 14- نلتُ النّقطة الرَّابِعَ عشرَ منَ العَشرينَ =
- 15- يتناولُ المؤلّفُ في هذا الكتابِ موضوعانِ هَمانِ =
-
- 16- أشعرُ بأنّتمائي إلى الجزائرِ فخراً =
- 17- أَمَلًا الفِراغاتِ التّالِيَةِ =
- 18- أشعلوا أضواءكم =
- 19- يكونُ الباقي صفر =
- 20- يقعُ الكتابُ في ثلاثِ وسبعونَ صفحة =
-
- 21- لم تخشَ من الله =
- 22- فما دام والديك هما السّببُ، فما العملُ =
- 23- المعظلة التي تسببناها لك =
- 24- قائمةُ الكتبِ المُباعة =
- 25- أنشدَها المغنّونُ قرونَ عديدة =
- 26- لم يبدِ اليومَ تجلّده =

27- على الطلبة الراغبون في الإنخراط في ناد الطلبة =

.....

28- إجتماعنا يكون على الساعة الحادي عشر =

.....

29- وافق المختصين على ماستر علوم اللغة =

.....

30- لم تعطي اللجنة بعد إقرارها =

31- حضر ممثلين عن الطلبة =

32- سيكون الإمتحان بعد العطلة =

33- لسنا مختصون في القواعد =

34- أرفع في يوم المناقشة في موضوعي =

.....

35- عضو لجنة المناقشة الأستاذة خولة =

36- بصفتي أستاذ محاضر:

37- يعمل مخبر الممارسات على تجميع الطلبة دائماً =

-
- 38- في بيتنا مائتي آجورة من المرمر =
- 39- صلّح الكتاب دفعة واحدة =
- 40- فعلته لمصلحة الطالب =
- 41- أبدل الجهل بالعلم =
- 42- شربَ الحساء =
- 43- أنا سعيد بحضوري عندكم =
-
- 44- شعرت بالمأساة وهي تطيح على رأسي =
-
- 45- ألّبت القفاز في يدي =
- 46- أعلن عن افتتاح الملتقى =
- 47- غداً ألتقي بأخي في المطار =
-
- 48- أفاض علي في القول =

الكتابَةُ

إنَّ المقصودَ من الكتابة في هذه النّقطة هو صناعة الكتابة أو فنّ الكتابة والتي تكون بصناعة التّعبير والإنشاء، وتعني الابتكار وإدراك المعاني المعجميّة للألفاظ. والكتابة ليست جمعاً كما وردت والبناء عليها، بل هي التّحقّق من صحّة المجموع والعودة إلى النّصوص المُعجميّة الأصيلّة، والتأمّل فيها طويلاً ثمّ مقارنتها بالنّصوص التي بُنيت عليها المعاجم، ومن ثمّ يُصار إلى تفسير تلك النّصوص.

وهكذا تستلزم الكتابة زيادةً في العلم، وغزارةً في الفضيّة وذكاءً في القريحة، وجودةً في الرويّة، وتصرفاً في المعاني. وصناعة الكتابة فنّ باعتبارها تصويراً للفظ بحروف الهجاء حسب معاني النّفس المُدرّكة، وحسب ما تهدف إليه الكتابة "فنّ التّأثير بالكلام المُتخيّر، الحسن الصّيّغة والتّأليف المُتّسم بالجمال، الهادف إلى إبلاغ رسالة للقارئ، وإثارة المُتعة الفنّيّة في نفسه ودفعه إلى اتّخاذ موقف من القضيّة التي تحملها"⁴. وترتبط الكتابة الفنّيّة بالكاتب؛ فلكي يكون الكاتب مُبدعاً في الكتابة عليه أن يبذل جهداً فكرياً، ويكون واعياً بأساليب النّص

⁴ — رئاسة الجمهوريّة السوريّة، الموسوعة العربيّة، ط1. دمشق:

وخصائص اللّغة، وأنماطها البلاغيّة والأسلوبية. ولتصبح الكتابة فناً، لا بدّ من كتابة ذات مستوى رفيع، وتتعلّى بمسحة من الجمال والفنّ، وتسمو بها إلى الكتابة النّفعيّة، وتعبّر عن العقل والقلب والخيال بلغة مؤثّرة. ولكي تكون الكتابة فنية أن يتوفّر فيها الفكر والجمال؛ ويتجسّدان في الفكرة المراد إيصالها إلى العاطفة المرتبطة بالإبداع في اللفظ المختار.

تحتوي الكتابة الفنيّة أفكاراً متسلسلة بدءاً من المقدّمات إلى الخواتم، كما تشمل الكتابة الفنيّة ركائز أسلوبية تتجلّى في الوضوح، ومقوّمات لغويّة أخرى تتمثّل في مراعاة أصول تركيب الكلام، ومعرفة استخدام الألفاظ واختيار الفصيح، إضافة إلى مقاصد أخرى بلاغيّة بالإفادة من الخيال وزينة الأسلوبية.

للكتابة الفنيّة غايات تسعى لتحقيقها، وهي:

- الإقناع العقلي، وتظهر في عرض الأفكار؛
- التأثير العاطفيّ القائم على تجارب شعوريّة مشتركة؛
- إشباع الحاجة الإنسانيّة في الجمال من خلال تجويد الكتابة وتزيينها باللفظ المتخيّر والعبارة الأنيقة والإيقاع الظاهر.

تحتاج الكتابة إلى امتلاك ناصية اللغة، وإلى الدربة والمِرَاس وإلى الإلمام بدقائق اللغة، لتمكّن صاحبها إيصال مقاصده إلى المتلقين بيسرٍ وإمتاعهم بالجمال الفني.

إنّ الكتابة الفنيّة ترتبط بالشعر والنثر، فلدينا كتاب (الصناعتين: الشعر والنثر) للعسكريّ، كما لدينا (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير... ولهذا فالكتابة صناعة بلاغيّة "ومنها اشتمال الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زُبد الأفكار وجواهر الألفاظ التي هي حلية الألسنة، وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة، والمنازل الجليلة، أكثر من تنافسهم في الدرّ والجوهر"⁵. وهنا تظهر واجبات القائمين على صناعة الكتابة بجودة صناعة الإنشاء، فلا بدّ من التّحivص الذي أوصل المتنبّي إلى اكتشاف مُوحيات الكلمة العربيّة. وكذا العمل على تمثين رابطة الإبداع بصناعة الكتابة، وهي رابطة اللغة والحياة. فاللغة العربيّة على الخصوص لغة مرتبطة بالحياة، فجزورها فروع الحياة، وهي المثل الباقي في يدنا لمعرفة النهج الذي سلكته الحياة في إنشاء أداة بيانها، واستكناه طابعها الاشتقاقيّ والكشف عن نمو الذّهن بتجاوب وجهيه: المحسوس والمعقول.

⁵ — أسعد علي+ فكتور الكك، جذور العربيّة فروع الحياة، ط2. دمشق: 1981، دار السّؤال، ص 45.

وأما ما يُطال الكتابة منهجاً أو أكاديمياً، فأمرٌ تحدّثُ عنه في كتابي (المناهج اللغوية والمنهجية) ولا ضيرَ أن أجدد القولَ بأسلوب آخر. فالكتابة هي التصميم العامّ للمكتوب: مقدّمة — العرض — الخاتمة. كما ينضاف إليها: تمهيد — فهارس — معجم — إحالات — ملاحق — بيبليوغرافية — الشكر. وهذه تخصّ الكتابة الأكاديمية. وإنّ الكتابة نوعان :

1/4 — كتابة أكاديمية: وهي التي يطلب من الطلبة والباحثين والجامعيين إنجازها، وتتطلّب مواصفات وخصوصيّات. وتتمثّل هذه الكتابة في تقارير — أبحاث — مقالات — أطاريح.

2/4 — كتابة مهنية: وهي تلك الكتابات التي يُطالب بها الموظّف في الإدارة أو في مؤسسة مهنية، ولها مواصفات خاصّة، وتتمثّل في: تقارير اجتماعات — تقارير عن نشاط ما — مذكرات عمل — تقارير خبرة — مناشير داخلية أو خارجية...

وتستدعي الكتابة في كلّ أمورهما بالخطوط الكبرى التالية:

1 — المقدمة: تعدّ المقدّمة المدخل الأساس للموضوع، ولذلك تحتاج إلى تقنيّات وبراعة وأسلوب جيّد لشدّ الانتباه، فلا بدّ من: إثارة انتباه الجمهور باعتماده إشكالية أو بسؤال. وعلى المقدّمة أن تعطي صورة واضحة عن الموضوع مع إظهار أهميّته، كما تؤسّس أرضية جيّدة، ولها انسجام لغويّ.

2- العَرَض: توضيح للإشكالية، وفيها الإطالة والتفسير وتقديم الشروحات. ومع ذلك تحتاج إلى الدقة والحجة والاستدلال والوضوح، وتحديد الأهداف، واستعمال علامات الوقف، والشرح والاستطراد إذا تطلّب الأمر حتى يستوفي الموضوع حقّه.

3- الخاتمة: هي اختصار للموضوع، وتتضمّن أهمّ الأفكار المفصّلة في العرض. ولا ينبغي إضافة أفكار لم تظهر في العرض، وهي تلخيص للأفكار وتقويتها وتدعيمها وتأكيدا وربط الخطاب ككلّ.

تمارين

— التّمرين الأوّل: يقول صاحبنا كتاب (جذور العربيّة فروع الحياة) ص 75 ما يلي:

"وهؤلاء الكتاب ليسوا على درجة واحدة من حالة الكتابة الأولى... فأبو هلال العسكري مثلاً، يُدرك التداخل بين حالتي الشعر والنثر عند المنشي، لذلك يقول: ومع ذلك فإنّ أكمل صفات الشاعر أن يكون خطيباً كاتباً... والذي قصر بالشعر كثرته وتعاطي كلّ أحد له حتى العامّة والسفلة فلحقه من النقص ما لحق الشطرنج حين تعاطاه كلّ واحد".

السؤال: حلّ هذه المقولة بناءً على توافق بين إدراك النثر وإنشاد الشعر؟

— التّمرين الثّاني: قال عمرو بن العاص يوم تحكّم الحكمان:
أكثرُوا الطّعام، فو الله ما بطنَ قومٌ إلّا فقدوا بعض عقولهم، وما
مضت عزمة رجل بات بطيناً.

وكان يقال: أقلّ طعاماً تحمد مناماً.

الأصمعي قال: كان يقال: ليس لشبعة خير من جوعة تحفّزها.

السؤال: استخرج من النّص -في حالة وجودها- ما له علاقة
بـ:

— علم المعاني:

— علم الألفاظ:

— علم البديع:

فنُّ الكلام/ القول

لا أدعي فرّقاً بين الكلام والقول؛ فكلاهما ملفوظ لسانيّ يدخلان في التّرادف اللفظيّ. ففنّ الكلام/ القول؛ فنّ إتقان المقول حسب مقتضيات اللّغة. وباعتبار أنّ اللّغة منهجٌ للتّفكير ونظامٌ للتّعبير والاتّصال، وفيها مدخلات أسلوبية وبلاغية يتطلّبها المقام، فلا يحصل الفنّ إلّا بمراعاة أحوال الخطاب. وهذا ما يوجد في الدّراسات الأسلوبية: وهي دراسات ذات طبيعة مركّبة تتكوّن من أكثر من جملة، ويتمّ "عبرها نقل ما هو فكر إلى ما هو لغة، فإنّ هذه العمليّة لا بدّ أن تتضمّن طريقة في اختيار تلك المفردات والقواعد" وهي طريقة ينظّم بها المتكلّم لغته، وفيها يتمّ الرّبط بين طبيعة الخطاب وقواعد اللّغة، أو هو الإطار أو القالب الذي عليه يتحدّد مضمون أو معنى ما يريد المتكلّم توصيله للآخرين من خلال الخروج عن العُرف المألوف. ولذا فالدّراسات الأسلوبية لا تهتمّ بقالب الدّوال التي يختارها المتكلّم للتّعبير في موقف معيّن وإنّما تنزاح إلى قوالب خارجيّة يزيد من تعميق الاختيار وفق القوالب البلاغية.

ولكي يحصل فنّ الكلام/ القول، أو الإتقان في الكلام وعليه يحصل الإقناع، أن يتحقّق القدر الكافي من امتلاك الرّصيد اللغوي؛ رصيد يمكن المُعبّر على التّواصل بالقراءة أو بالكتابة

أو بالمشافهة، وهذا الرّصيد يبدأ من المدرسة الابتدائية التي تنوء بالتحفيظ والمحادثة وبناء التعبيرات المقبولة، ويترتب عليها تطوير وعي عناصر اللغة المنطوقة والمكتوبة، وكيفية تغيير هذه العلاقات عبر مراحل النمو، لبناء خاصية الإبداعية كخاصية ذهنية تساعد المُحدّث/ التلميذ على تجاوز المُشكلات الجديدة وتنتجلى في قدرة المتكلّم على إنتاج وتفهم عدد غير متناهٍ من الجمل لم يسبق له سماعها. لذلك كان على المدرسة الابتدائية أن تُعطي المحادثة كلّ الوقت، فإذا ما وصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية توجه العناية إلى التعبير الكتابي.

— أهمية الحفظ في تقوية أساليب التعبير: لقد نصّح ابنُ خلدون طلابَ فنّ التعبير أو صناعة التعبير أو المحادثة على الاطلاع والإفادة من الكتب التالية: أدب الكاتب لابن قتيبة — كتاب الكامل للمبرّد — كتاب البيان والتبيين للجاحظ — كتاب النوادر لأبي علي القاليّ البغداديّ، وقال: وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروعٌ عنها. ثمّ قال: "اعلم أنّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات، وإنّما هو بالنّظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن

المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال؛ بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة. والمَلَكات لا تحصل إلا بتكرار الفعل؛ لأنّ الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة، ثمّ يتكرّر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنّها صفةٌ غير راسخة، ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكةً أي صفة راسخة". ومردّد هذا أنّ اللّغة صناعة، فالصنّاعة تحتاج إلى إدراك فنيّاتها، وإدراك الفنيّات يحتاج إلى معرفة عقايرها وتراكيبها، ولا يكون ذلك إلاّ بشحذ ملكة الذّهن على الحفظ. وقال باحث مؤكّداً أهميّة الحفظ "ومن الجدير بالذّكر أنّ الحفظ أساس تنميّة الملكة، وكلّما كان المحفوظ جيّداً كانت الملكة أجود، وقد عقد ابن خلدون لهذا فصلاً في مقدّمته تحت عنوان (فصل في أنّ حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ) نبّه فيه على أثر المحفوظ في ارتقاء الملكة وقصورها، وضرب لذلك أمثلة رائعة يحسن الرّجوع إليها".

تمارين

— التّمرين الأوّل: استفهم بما يلي: هل — كيف — لماذا — ألا — أَلَمْ — ما — أوَ ليس — أَلَا تَرَى — الهمزة — بِمَ. العبارات التالية؟

— تُؤْخَذُ الدّنيا غلاباً:

— الأخلاقُ والعلم لا يتناقضان:

— ما أجملَ البيان!

— لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلّك عورات وللناس أعينُ
يقول شاعر:

لو كنتَ كنتَ الحبّ كنتَ كما كنّا نكون، ولكن ذاك لم يكنِ
ويقول آخر:

وقبرُ حربٍ بمكان قفرُ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قفرُ

— التّمرين الثّاني: ما تعليقك اللّغويّ حول البيتين؟

الأداء

— مقدمة: "الأداء لغة: من الفعل أدّى الشيءَ قامَ به، والاسم الأداء. يُقال: هو أدّى الأمانة من غيره. وتأدّى الأمرَ بمعنى أنجز. والأداء الإنجاز¹". وسيقع التركيز في هذا الموضوع على قضية المنطوق، وأعني به الأداء النطقي القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت وفي المجهود. والأداء صناعةٌ وفنٌّ؛ يقوم على الممارسة والدربة، ويحتاج إلى المعرفة الكافية باللغة ومبادئ الأداء الصحيح، ولهذا فتنقيّات الأداء تتطلّب:

— الاستعداد النفسي؛

— الممارسة المستمرة جهرًا؛

— التمكن من إخراج الأصوات إخراجاً جيّداً؛

— الفطنة والإدراك بالحال وبالموقف الكلامي؛

— الإمام بمتعلّقات الموقف.

ينقسم الأداء إلى قسمين:

1— أداء لغويٍّ بالمكتوب، بمراعاة الفصاحة والبلاغة.

¹ — مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط3. القاهرة: دت، مادة: أداء.

2- أداء في المنطوق، ويراعى في النطق وفي المشافهة؛ ويتعلّق بالمُرافعات والخطابات وإلقاء الدروس...

يتّجه الأداء في العربيّة إلى الإيصال والتّلاوة والإتقان، كما يتّسع "ليتناول قضية على مقادير من التّعقيد والتّشعب والإشكال تتجلّى أبعادها في العجز عن التّعبير بلغة واضحة عمّا يجول في النّفس، وفي العجز عن إقامة اعوجاج اللّسان في الأداء الصّوابي، ومراعاة مخارج الحروف، وإعطائها حقّها من الصّفات. وفي الغلط اللّغويّ والخطأ الإملائيّ، وفي عدم وضع المعاني الدّقيقة للمسمّيات في مواضعها الموفّقة لسياق النّص وفي تخيّر الأسلوب الملائم للموضوع العلميّ أو الأدبيّ أو الفكريّ الخالص... إلى ما يُشبه ذلك من ألوان التّقصير والتّعثر والعماء"¹. كما يعتمد الأداء على قوّة وشخصيّة المُلقّي من حيث: قوّة الصّوت (النّبر) — حسن نطق الكلمات — صحّة المبنى المنطوق — مطابقة الكلام للمقام. إضافة إلى مراعاة المقام والحال والمُستمعين، والتّفريق بين الخطابات، ورفع الصّوت حيث يجب الرّفع، وخلو الكلام من الألفاظ المتنافرة، كما أنّ

¹ — مسعود بوبو "مشكلة الأداء في اللّغة العربيّة: أسباب الضّعف ووسائل العلاج" مجلة مجمع اللّغة العربيّة. دمشق: 1998، عدد (اللّغة العربيّة: معالم الحاضر وآفاق المستقبل) الجزء الثّالث، المجلد الثّالث والسّبعون، ص 555.

الأداء لا يتقابل مع الهدر والإسراف اللغويّ، فهما سلوكان يُطاولان مختلف الظواهر الاجتماعية، وعلى الأخصّ اللغة والكلام.

وإنّ الوظيفة الأساسيّة للأداء اللّغويّ هي الاتّصال والتّواصل كما أنّ اكتساب مهارات استعمال اللّغات استعمالاً ناجحاً يعود إلى المهارة في القراءة الجهرية، وفي مهارة الاستماع قبلها، ثمّ الكتابة الصّحيحة، ومهارة التذوّق الأدبيّ، وإدراك الجمال والتّناسق. وإنّ سوء الأداء يرجع إلى قلة القراءة، وقلة الممارسة، وعدم التّركيز على التّمارين الكتابيّة، والقصور في أساليب التّقويم "الأداء الجيّد ليس هبة، وليس شيئاً طبيعياً في الإنسان، إنّهُ فنّ يحتاج إلى معرفة وتدريب، وإلى تنمية لهذه المعرفة وذلك التّدريب. إنّ الصّعوبة الحقيقة في الأداء تتمثّل في وجود القدرة على توصيل المعاني إلى الحضور، وبخاصّة تلك المعاني الدّقيقة التي تحتاج إلى حصافةٍ وذكاءٍ في توصيلها إلى السّامعين¹". ليس الصّمتُ مفضلاً على الكلام، ولستُ مع تلك القاعدة التي تقول: إذا كان الكلامُ من فضة؛ فالسّكوتُ من ذهب فليس لها محلٌّ في هذا المقام.

¹ — كمال بشر، فنّ الكلام. القاهرة: 2003، دار غريب للنشر والتّوزيع، ص 167.

صحيح إنّ كثرة الكلام أثناء التعبير كثرة تناول الدّواء من دون انتظام في فترة المرض، فكلاهما يحُول دون الوصول إلى الغرض، ويزيد في اللّسان الغموض، وفي الجسم المَرَض، ولكن إذا كان بالقدر اللّغويّ اللاّزم فهو من المطلوب، وليس المطلوب كتم اللّسان؛ لأنّ اللّغة ليست حروفاً وكلمات مكتوبة ولا أوراقاً وكتباً؛ إنّما هي ألفاظٌ منطوق بها، وأصواتٌ مسموعةٌ، وتكوينٌ جُمليّ وعبارات يتعلّمها الإنسان، ثمّ يمارس اللّغة سماعاً وإسماعاً واللّغة في طبيعتها وسيلة اتّصال بين النّاس باللفظ قبل أن تكون وسيلة كتابة بالحروف.

وإنّ ما ينبغي أن تكون عليه وحدات الألفاظ التماس وجه التعبيريّة في الأداء "والمقصود بتعبيريّة الكلام هنا قدرته على الوفاء بحاجة الغرض المسوّق له بصور أقوى وأبلغ من غيره وعلى وجه بحوث التأثير المبتغى، ويصيب الهدف المنشود أو بعبارة أخرى ستتطبع القول بأنّ التعبيريّة إنّما تُقاس بمدى ملاءمة الكلام للموقف المعيّن ودرجة مطابقته له"¹. ومُراعاة المخاطب والموضوع تعني مُطابقة الكلام لظرفه المُعيّن ومُراعاة المعنى الذي يتضمّن وجوب التّناسب بينه وبين الجوّ المحيط بالعمل الأدبي كلّهُ، كذلك الكلام لا ينعزل عن المقام

¹ — كمال بشر، فنّ الكلام. القاهرة: 2003، دار غريب للنشر والتّوزيع، ص 104.

ويأتي وفق أقدار السّامعين، وملائماً لحالات الكلام، ومناسباً لما صنع من أجله.

إنّ الألفاظ ليست كلّها في مستوى واحد في الاستعمال؛ بحيث إذا ما أكثرَ منها الإنسان يُصاب بالمرَض اللّغويّ، كما أنّ عللَ اللّسان وأمراض اللّغة من الأشياء التي تؤدّي إلى انعكاسات اجتماعيّة، وإلى إنزال مقام الإنسان مهما كانت حُمولته العلميّة فالنّاس ينظرون إلى ما يصدرُ من العالم من لسانه وقلمه لا إلى ما يضمّره. فالعالم في الواقع الاجتماعيّ بما يُبهر به النّاس من تلفّظ كلاميّ صحيح، وبما يصدر منه من بلاغة تعلو، ومن الحذق في اللّسان.

تمارين

1— استمع لمقدّمات برامج دينيّة، فتحدّث عن أدائها؟

2— حاول تقليد المنشط الإذاعيّ رافقك لغته؟

3- حضرت مجلساً للتباري في الكلام العفويّ الطبيعيّ انقل
مجرياته البلاغيّة؟

أسباب عدم تكلم الطلبة دون أخطاء

يرجع إلى العديد من الأسباب، وأذكر بعضاً منها:

- 1- وجود شرح بين المستوى المتأدّب والمستوى العفوي؛
- 2- انتشار العاميّات، والازدواجيّة اللّغويّة في التّعليم عامّة؛
- 3- عدم اكتساب مهارات الإرسال، وهذه لا تكتسب إلّا بـ:
الفهم، ثمّ الممارسة — الفهم وإدراك العلاقات — التّوجيه —
امتنال القدوة الحسنة — التّشجيع والتّعزيز¹. وهذا يحتاج إلى
معرفة مناسيّة بلغة الموضوع، وإلى اليقظة والالتزام بالموضوع
وتجنّب التّكرار، وعدم التّقليد، وحسن الخاتمة.
- 4- طغيان الفرنسيّة في الاستعمال الرّسمي، أو ما يُسمّى
التّوحّش اللّغويّ الإداري؛
- 5- التّراجع عن تعميم استعمال اللّغة العربيّة، وعدم إيلاء
مكانتها اللاّئقة كلغة رسميّة مُحترمة، وتبخيسها في الخطاب
الرّسمي؛

¹ - محمود أحمد السيّد، الأداء اللّغويّ واقعاً وطموحاً" مجلة
التّعريب. دمشق: 1998، المركز العربيّ للتّرجمة والتّأليف والنّشر
العدد 15، ص 105-108.

6- إبعادها عن الاستعمال الرّسمي.

ولهذا نجد الطّالب يتخرّج من الجامعة دون مرجعيّة، ودون أن يكون له رصيد لغويّ في الإتقان اللّغويّ، نظراً لغياب التّطبيق والممارسة. يتخرّج الطّالب وهو لا يتقن لغة ما، فهو لا يقرأ وإذا قرأ لا يفهم، وإذا فهم لا يعقل، وإذا عقل لا يتفاعل ويضاف إلى ذلك عدم استعمال المعلّمين العربيّة الفصحى في دروسهم، وإهمال الجانب الشّفاهيّ في التّعليم. هي مشكلة تُورقني كثيراً، فما هو الحل؟ ليس صعباً أن يأتي الحلّ، ولكن الصّعوبة تأتي في التّطبيق، ومع ذلك أقترح الآتي:

— تعميم القراءة للجميع؛

— ترشيد لغة الصّحافة المسموعة والمرئيّة؛

— تقوية لغة الكتاب المدرسيّ؛

— إجبار المعلّمين استعمال الفصيحة وهو يعتب باب المدرسة؛

— إخضاع فكرة التّيسير والتّسهيل للمؤسّسات المجمعيّة؛

— سنّ جوائز في حسن الأداء اللّغويّ: كتابة وصوتاً.

تمارين

— التمرين الأول: يقول ابن العميد في رسالة إلى ابن بلكا يستعطفه على ركن الدولة: "كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدلّ بسابق حرمة، وامت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية ويقضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بأنف خلافة ومعصية... لا جرم أني وقفت بين ميل إليك وميل عليك. أقدم رجلاً لصدك، وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلاحك واجتياحك، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك، فقد يعزب العقل ثم يتوب، ويعرب الفكر ثم يثوب".

السؤال: ما تعليقك على هذه الرسالة؟

— التمرين الثاني: ما تعليقك الأسلوبى على هذا البيت؟

عليه بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

لُغَاتُ الْمِهَن

— مقدمة: أتذكر في هذا المقام ذلك الأعرابي الذي استمع إلى جمع من النّحاة وهم يتحدثون في النّحو، وقال لهم: ما لكم تتكلمون بلغتنا بما ليس في لغتنا؟ استكرّ الأعرابي عدم فهمه لفعل النّحويين بأنهم يستعملون قواعد/ مصطلحات (النّحو) وكان الكلام بالعربية، ولكنه استغلق عليه المعنى؛ كونه لا يفهم المعاني النّحويّة التي يتضمّن ذلك الكلام العربيّ الخاصّ. وهذا ما ينطبق على لُغَاتِ الْمِهَن.

تُعَدُّ لُغَاتُ الْمِهَن من اللّغات المُتَخَصِّصَة التي تحمل مصطلحات/ مسكوكات تُستعمل في مهنة ما دون غيرها من المِهَن، ولها صور وانزياحات لا توجد بذات المعنى في لغة أخرى، ولا تُفهم إلّا من ذوي الاختصاص.

جاءت كلمة (لغات) في صيغة (الجمع = لغات) ولا تعني أنّ لكل مهنة لغة خارج الإطار العامّ للغة المشتركة، بقدر ما تعني هناك خطابات/ مصطلحات/ وضع خاص لكلّ حرفة. ونجد فيها بعضاً من التّسامح اللّغويّ في الأداء، المُمثّل في الاختلاسات والانزياحات عن اللّغة الفصحى، وبشكل لا يخلّ بالعملية الكاملة للّغة المشتركة، وتُفهم في إطارها الخاصّ فهماً جيّداً، أو تُستعمل

على وجه الخصوص بين أهل تلك المهنة، وخارج أهل المهنة تحمل بعضاً من اللبس.

المهنة، لغة: من مَهَنَ يمتَهِنُ ويمتَهِنُ امتهاناً بمعنى أخذَ صناعةً وحرفةً يرتزقُ منها. المهنة الاحتراف وهي سبيل الارتزاق. ويقال: مهنته التجارة/ الحداثة/ النجارة/ الفلاحة/ السيّاقة... وكلّ ما دلّ على حِرْفَةٍ فهو على وزن (فِعَالَةٍ). والمِهَنُ تختلف في المجتمع؛ فمنها مهنة شريفة، ومنها مهنة وضيعة، وهذا من تسنين المجتمع للحِرَف. ولذلك نجد بعض الحِرَف التي يُنظر إليها على أنها من سقط المِهَن، كما أنّ لبعض المِهَن/ الحِرَف فئةً خاصّةً تقوم عليها، وتبقى تتوارث تلك الفئة الحِرْفَة، وتنقلها من الجدّ إلى الأب وإلى الأولاد، ولدينا في مجتمعنا حرفة امتهان الجزارة/ صناعة الذهب/ التجارة/ حفاري الآبار/ صيادي السمك/ معلمي الأدب/ حرفة الفنّانين... وهذه الفئات تنتمي إلى مجتمع ضيق في داخلها؛ فتمتَهِن حِرْفَتَهَا توارثاً. ولتلك الحِرْفَة مُصطلحاتها الخاصّة، وتُفهم فهماً خاصاً بين تلك الفئات، وهي مُصطلحات/ مسكوكات مُتداولة يصطلح عليها أهلها، وتبقى محلّ التّداول، وخارج العُرف اللّغويّ العامّ.

إذاً لكلّ مهنة/ حِرْفَة مُصطلحاتها التي لا تتجاوزها، فهي تَعْرِف من القاموس اللّغويّ العامّ؛ إلّا أنّها تنحرف في بعض الأبواب النّحويّة، وفي بعض المُصطلحات لها دلالة لغويّة

واحدة، ولها دلالة خاصة في الاصطلاح. ومن هنا فلغة المهنة تبدأ عندها عملية استعمال اللغة من منطلق التماثل اللغوي الضيق، ومن مفاهيم التجديد الداخلي، وفي ذات الوقت لا تتخرج من الاقتباس من اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى أن كل مصطلح/ لفظ له ارتباط بمعالم الثقافة المهنية، وذلك ما يشكل جسر التواصل بين المخاطب والمخاطب إليه في إطار محدّدات تلك المهنة.

للغة المهنية مؤصفات، حيث توظف الكلمات الخاصة أو التعبير الخاص عند مخاطبة البرلمانين؛ وليست هي ذاتها التي توجّه للأطفال، وليست هي التي تستعمل في افتتاح الندوة العلمية؛ فكل مهنة خصوصية موضوعاتية ولغوية، ولها مصطلحاتها المتعلقة بالموضوع. وتعتمد اللغة المهنية تربية مهنية في المخاطبة، وفي اختيار اللفظ/ المصطلح المناسب، فما هي أهداف التربية المهنية في مجال الترقية اللغوية؟

إنّ التربية المهنية متنوعة بتنوّع المهنة، ومن هنا فكل مهنة تربية ولغة تميزها، لكن التربية في لغات المهنة تعمل على مرافقة المتعلّمين إلى الحياة المهنية، وحثّ المتعلّمين على إدراك العلاقة التكاملية بين المواد والمقرّرات التعليمية، ومساعدة المتعلّم على منطق الملاحظة والتجريب، والعمل على استيعاب السلامة المهنية، واستخدامها في العمل وخارج العمل. ومن هنا

ندرك أهمية التّربية المهنيّة التي تجعل صاحب المعنى يستخدم لغةً غير رافيةً أحياناً، وهي ليست من واقعه الدقيق، وليست من تلك اللغة المفهومة الرّاقية.

لا تنشط لغاتُ المهن إلا في واقع، ولا تنطق إلاّ بلغة الواقع؛ فهي تُعالج الثقافة المهنيّة لدى المتعلّمين في توصيف المهن، وما تتطلبه كلّ مهنة من قدرات ومهارات ومستوى لغوي، وتبصّرهم بنوع التّعليم الذي يُحقّق القدرات والكفاءات، وحسن الأداء بلغة مهنيّة مُوضّحةً ببيانٍ حسب نوعية المهنة "تمثّل التّربية المهنيّة الجانب المهنيّ والتّقنيّ في مرحلة التّعليم الأساسي، وهي موجهة للمتعلّمين بخصوص تربيّة ثقافيّة ومهنيّة عامّة؛ تكون جزءاً من منهاجهم الدّراسيّ العامّ، وتسهم في إعدادهم للحياة إعداداً مباشراً لمزاولة المهن اليدويّة. وتحدّد اليونسكو UNESCO (المنظمة العالميّة للتّربية والثقافة والعلوم) وظيفة التّربية المهنيّة بتوسيع آفاق التّعليم وجعله مدخلاً إلى عالم العمل والتّكنولوجيا، وتوجيه الدّارسين إلى التّعليم الفنّي والتّقنيّ ومساعدة المتسرّبين من التّعليم على امتلاك الصّلاحية والاستعداد للالتحاق بعمل نافع¹". وبذا فإنّ استعمال لغة مهنة ما في لغة مهنة أخرى قد يضرّ بحسن الأداء، أو يؤدّي إلى التّعميّة وسوء الفهم.

¹ — رئاسة الجمهوريّة السوريّة، الموسوعة العربيّة. دمشق:

2007، هيئة الموسوعة، المجلد التاسع عشر (19) ص 791.

نعلم أنّ قيمة الكلمة في السياق، وفي انتقاء الأساليب المناسبة للمهنة، وفي المقام والحال ومقتضى الحال، واختيار اللفظ لحال المتحادثين أكثر من ضروري، فالكلمة أحياناً تحمل اللبس الذي قد يؤدي إلى سوء الفهم، أو قد تؤدي إلى العنف الكلامي؛ فعنف الكلام مقدّمة لعنف السلوك، وهذا بسبب عدم استعمالها في مقامها وفي حالها، وفي مهنتها، وهذا ما هو مُنفّس في العنف الإعلامي الذي يأخذ مناويل لغة، فينقلها إلى مناويل لغة أخرى ممّا يسبّب ضرراً أو عدم فهم، ويمكن ملاحظة ذلك في تدني نوعية الخطاب اليومي الذي ينتجه الأفراد أو الجماعات الإعلامية، إضافة إلى انحدار الكثير من محتويات الوسائل المسموعة والمرئية إلى مخاطبة الغرائز، ويترتب عن ذلك تراجع اللغة كمحرك باني للقيمة، وتصبح مجرد وسيلة لكلام غير حامل للقيم، بله الحديث عن الصدمات اللسانية التي تحصل باستمرار في لغات المهن، وهي عبارة عن عنف اللسان "إنّ دراسة العنف اللساني يخصّ فعل الكلام وليس اللغة، على الرغم من أنّ اللغة تتأثر بدورها باللفظ المنطوق؛ فاللغة تمثّل المرجعية لكلّ من البنية القيمية والنحوية. أما ما يشوبها من عنف؛ فيعود إلى استدخلات المتكلمين والذي (أي العنف) عادة ما يتمّ حصره بالعودة إلى اللغة الأصلية، وبالأخصّ عندما يتعلّق الأمر باللغة

العربية¹ وعنف الكلام منبوذ في كل المجتمعات، وبخاصة في المجتمع العربي المسلم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعِلَّةِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران 159. ولماذا ذلك؛ لأنَّ عُنْفَ الكلام يجعل الإنسان يفقد السيطرة في ما يقول، ويفقد التحكم على اللغة.

وهكذا يسعى هذا الفصل إلى المرافعة عن خصائص لغة بعض المهن، ومن ثمَّ العمل على استكناه مؤصفات تلك اللغة الموظفة من بين تلك اللغات المهنية، وما هي خصائص اللغة التي توظف فيها؛ للوصول إلى الفهم الصحيح؛ ولتحقيق المهارات والقدرات اللغوية الفائقة الجودة؛ لأنَّ الكلمات تتفاعل على ألسنة الناس ولها من النفوذ ما لها، ومن التأثير ما يجعلها أحياناً تنطق ببعضها طلباً للقوة والحماية، وأحياناً تتجنب بعضها دفعاً للأذى والضّرر، فهناك ما يحتاج فقط إلى الكتابة والتعريض، أو التلميح دون التصريح، وهناك ما هو من المحظور اللغوي Les Taboos linguistiques فهي تحتاج إلى التلطّف والكناية.

¹ — عبد الرحمن عزي "فقه اللغة وعنف اللسان والأعلام في المنطقة العربية" مجلة مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: 2007 (اللسان العربي وإشكالية التلقي) ص 15.

تمارين

— التّمرين الأوّل: حاولْ جمعَ مُدَوّنة لغويّة خاصّة بلغة:

— صيّادي السمك:

— الجزّارين:

— سائقي الطّاكسي:

— نادلي مقهى:

— كاتبتي سجلات الطّلبة:

— التّمرين الثّاني: حاولْ جمعَ مدوّنة من الألفاظ أو

المسكوكات التي يلمّح لها فقط، مع تقسيمها إلى:

— ما يُستقبَحُ ذكرُهُ ويُستهجَن:

— ما يُستحى من تسميته:

— ما يُتطَيّر منه:

— ما يُسترفع ويُصانُ عن ذكره:

– التّمرين الثّالث: اجمع الألفاظ التي تستعملها في ما يلي:

– في الفرع والخوف:

– في الكياسة والتأدّب:

– في الخجل والاحتشام:

– التّمرين الرّابع: حاول جمع مدوّنّة مصطلحات/ مسكوكات

للألفاظ التي يستعملها الطّلبة في مختلف مناحي الاتّصال بينهم؟

1_ أَلْفاظ مفردة:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

..... 2۔ مسکوکات:

[illegible]

لغة الإعلان

— الإعلان: الإعلان مهنة قديمة مُعاصرة لما لها من تأثير في الماضي، وفي الحاضر ازداد نفوذها لقوة المال والآلة المستخدمة والتطور الحاصل في فن مهنة الإعلان أو الإشهار .PUB. ويدخل الإعلان في فن الإعلام، والإعلام كما يُعرّف هو السلطة الرابعة، فما هي السلطات قبل الرابعة؟

1— السلطة التشريعية: هي سلطة مراسيم وقرارات واقتراح مشاريع وقوانين؛

2— السلطة القضائية: هي سلطة الضبط والأحكام بناء على مقررات السلطة الأولى؛

3— السلطة التنفيذية: سلطة تطبيق وتنفيذ للسلطتين؛ باستعمال أدوات التنفيذ: إدارة — مال — شرطة — جيش.

4— السلطة الرابعة: هي الإعلام. ولماذا تحصل الإعلام على هذه الرتبة؟

تَحَصَّلَ الإعلام على هذه الرتبة وعلى هذه التسمية نظراً لما يُشكّله من قوة ونفوذ لدى الرأي العام والخاص، ولما يستطيع أن يطيح بالسلط قبله. ألم يكن الإعلام في الحرب العالمية الثانية أقوى من الجيش لدى الألمان، ألم يُطح الإعلام بالحكومات؟ ألم

يتدخل في تخريب الدول؟ ألم يكشف الفساد، ويطيح بالوزراء والحكام؟ ألم يعمل على ردّ المظالم؟... ومن هذا المنظور، فإنّ هذه السلطة الرابعة لها قوة السُّلط السابقة، بل تستطيع التغلب عليها.

ومن هذا المنظور فإنّ رجال المال والأعمال يسيطرون على هذه السلطة، وبها تكون لهم إدارة دواليب التأثير في الآخر، بل التوجيه والتحكّم في كثير من القوى السياسيّة أو الحزبيّة على أساس الاستمالة بالرأْي والحجّة، واستغلال الكلمة التي تعمل على الهدم/العلو. وهذا ما نراه في وقتنا المعاصر في بعض الشبكات العالميّة: /CNN/ BBC الجزيرة/ العربيّة... فكم لها من دور في التأثير العالميّ، وفي الإطاحة بالدول. ألم يأتنا نبأ (الربيع العربيّ) الذي استطاعت بعض القنوات توجيه الرأْي العامّ نحو تحريفه عن المبتغى؛ هذا الربيع العربيّ الذي لم يحمل الاضرار، ربيع يقابله الخراب. وهذه القنوات تعتمد الكلمة المؤثرة، باختيار مذيعين أكفاء، وباستعمال حوارات جريئة لاستمالة المشاهد، أضف إلى ذلك ما تعتمد في إعلاناتها. إعلانات غاليّة الثمن في هذه القنوات؛ لأنّه يصل إلى جمهور عريض من المشاهدين، فأصبحت هذه القنوات دولة داخل دولة.

ومن وراء هذا، يعتمد الإعلان على قوّة السلطة الرابعة لتبليغ مراميه. فكلمة (أعلن) يُعلن إعلاناً، في ذاتها تحمل صفة

المُجَاهِرَة والإِظْهَار والقُوَّة. والإِعلَان: دِعايَة أو مُحاولَة التَّأثير في نفوس النَّاس، والتَّحَكُّم في سلوكهم لأغراض كثيرة. ولِلإِعلَان العَديد من التَّعاريِف، ويمكن أن نأخذ واحداً منه "... مُختلف نواحي النِّشاط التي تودِّي إلى نشر أو إِذاعة الوسائِل المَرئيَّة أو المسموعة أو المكتوبة على الجمهور؛ بغرض حثِّه على شراء سِلَع أو خدمات أو من أجل استمالته إلى التَّقبُّل الطَّيِّب لأفكار أو أشخاص أو منشآت مُعلن عنها¹". كما أن لِلإِعلَان تأثيراً هاماً في المُستمع وفي اللُّغة؛ فيستطيع أن يعملَ على الخطأ، فيبقى الخطأ عالِقا، كما يستطيع أن يعملَ على نشرِ المصطلح، ويستطيعُ كذلك أن يغيِّر الأداء أو يقدِّم أو يؤخِّر فيكون له الأثر في المجتمع، ولهذا يستعمل المُعلنون تقنيَّات الإِعلَان حيث: اقتضابُ الوَمُضَة الإِشْهاريَّة — حملُها لفكرة — ورودُها بلغة بلاغيَّة — تعدُّدُ المعاني — الأداءُ الجيِّد المنسجم — الكتابةُ المناسبة — المكانُ المناسب. كما يعمل الإِعلَان بصفة عامَّة على تحقيق: "جذب الانتباه Attention — إثارة الاهتمام Interest — استثارة الرِّغبة Desire — إحداث الاقتناع Convection — الاستجابة أو السلوك Action — تثبيت

¹ — تشارلز رايت، المنظور الاجتماعي والاتصال الجماهيري، تر: محمد فتحي. القاهرة: 1983، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ص 9.

الإعلان أو تدعيم الأفكار الإعلانِية¹ "Memory" وهذا كلّ من عوامل الجذب.

يتنوّع الإعلان بتنوّع الرّسالة التي يريد الإشهار لها، وتتفاعل اللّغة مع الألوان والرّسوم، والموسيقى، والأداء، وعناصر الحركة، وبلاغة اللّغة، ويتّخذ الإعلان عادة لغةً ازدواجيةً من المحيط اللّغويّ البسيط، ومن المحكيّ اليوميّ، ويوظّف فيها عبارات الواقع اليوميّ، بمراعاة عبارات التّلفّ والتّلميح والسّجع..

وهكذا فالإعلان يُستعمل لاستمالة النّاس، والتّأثير فيهم باستعمال وسيلة اللّغة، وهي أقوى الوسائل في التّأثير، ويختارها بغية كسب النّتائج دون غيرها من الوسائل الأخرى، فما هي خصائص لغته؟

— خصائص لغة الإعلان: فعلية الجملة — قصر الجملة — الإيجاز — سهولة العبارة — استعمال لغة وسطى — استعمال السّرعة — الاعتماد على الصّورة والصّوت — الخليط اللّغويّ — اللّغات الأجنبيّة.

¹ — منى سعيد الحديدي، الإعلان أسسه ووسائله وفنونه. القاهرة: 2005، الدّار العربيّة اللبنانيّة، ص 19.

للغة الإعلان خطورة من حيث الأثر الذي تحدثه في نفس المستمع/ الرائي؛ حيث يتفاعل معه، ويعمل على مجاراته دون وعي، وبخاصة ما له علاقة بالتسويق "إنّ لغة الإعلام ذات أثر خطير، وبصفة خاصة لدى النشء الذين تجذب اهتماماتهم أسماء السلع المعلن عنها وحركات الممثلين القائمين على تنفيذها وأدائها، والمؤثرات الموسيقية والرسوم المتحركة، ولذا فإنّ هذه المفردات تعلق بأذهانهم، وتكون جزءاً من رصيدهم اللغوي¹". ونظراً لدور الإعلان الهام في ترقية اللغة؛ نروم أن يوجّه وجهة تحسينيّة ليس إلّا؛ حيث:

— يحمل أصالة اللغة؛

— يرفع قيمة اللغة؛

— يحمل مضموناً قيماً؛

— يعمل على تثقيف الجمهور؛

— يدرّ الربح لصاحبه.

ومن هنا على المعلنين، وبخاصة الشركات الحرة أن تعمل على مساعدة الدول في الترقية المجتمعية، وتعمل على تهذيب

¹ — هويدي شعبان هويدي، العربية والإعلان، ط1. الشارقة: منشورات جمعية حماية اللغة العربية، ص 9.

لغة العامّة، لا كسر أصالة اللّغة التي تعني كسر هويّة الفرد والمجتمع "صارت الصّحافة والإذاعة في بعض الأحيان أداة هدم؛ تهدم بالليل كل ما تعبّ في بنائه المدرّسون في النّهار وطفقت الدّول تُنفق على الإذاعات والصّحافة عشرات الملايين لهدم ما أنفقت في بنائه مئات الملايين¹".

لا ننكر أنّ الإعلام يعمل على ترسيخ المُعطيات في الذّهنيّات عبر استعماله اللّغة، وهي منحة سلوكيّة تعاكس الأفكار، ولكن هذه المنحة تحتاج إلى توجيه لبلورة أهدافها البنائيّة، لا التّعريضيّة أو التّحريضيّة الداعيّة للهدم في أركان اللّغة، فلا يجوز للإعلان أن يعمل على التّشويه اللّغويّ، ولا الدّعوة إلى الخروج عن التّوجّه الوطنيّ في ما وقع الإجماع عليه، وأدعو أن يتجنّد الإعلان لمستوى اللّغة الفصيحة التي تأخذ مناويل المستوى القريب من الفصحى؛ مستوى يحمل المفردات السّهلة غير المبتذلة — مُستوى يتّسم برصيد مُعجميّ مُضيف، مستوى الاستعمال العفويّ.

وبودّي أن أطرح مسألة تعاطي الإعلان مع اللّغة العربيّة، ألا يمكن للإعلان أن يعمل على تقوية اللّغة العربيّة، ويعمل على النّقد والتّوجيه، وعلى تنشيط حركة الإعلام بصفة عامّة في

¹ — سعيد الأفغاني "لغة الخبر الصّحافيّ" مجلة مجمع اللّغة العربيّة. القاهرة: 1983، الجزء الحاديّ والخمسون، ص 55.

تحريك اللّغة العربيّة، ألا يمكن أن تتحرّك اللّغة العربيّة في الاتجاه الصّحيح؟ يمكن أن يكون ذلك إذا تعاضدَ الإعلامُ العربيّ من شقّين:

1- شقّ العمل باللّغة الفصيحة، وعدم التّعديّ اللّغويّ وعنف كسر قواعد اللّغة العربيّة، والعمل على احترام خصائص اللّغة.

2- شقّ العمل على تحبيب اللّغة العربيّة في النفوس، والتّوعية بضرورة الاهتمام بالأمن اللّغويّ والتّتميّة البشريّة للّذين لا يكونان أبداً في البلاد العربيّة إلّا باللسان العربيّ.

ولكي يحصلَ ذلك، كان على المجتمع العربيّ أن يعمل على محو أميّة الأميين، وتعمل المجامعُ على الرّفْع من الثّروة اللّفظيّة الشّعبيّة التي تتّصل بوسائل الحياة الحديثة وعصر المعلوماتيّة والعمل على وضع معايير نحويّة وأخلاقيّة للّغة الإعلان من حيث احترام خصائص اللّغة: السّهولة واليسر وعدم الابتذال. ولكن على الإعلان والأعلام عدم السكوت عن تشويه العربيّة والعمل على إزالة التّشويه عن صفحة البيان العربيّ النّاصعة وأنيطَ بنا رفعُ لواء العربيّة ووقايتها من كلّ ضعف، والعمل على ترقّيتها، ولكن ما في اليد من حيلة؛ لأنّ رجال الإعلام بصفة عامّة يخرقون قواعد اللّغة، بل إنّ بعضهم يدعو إلى لغة هجين

بله الحديث عن الخروج عن قواعد اللغة. وهذا الأمر يحتاج إلى علاج، فكيف يكون العلاج؟

يحتاج رجال الإعلام إلى التقرب إلى المختصّ اللغويّ، وإلى المراجعة اللغويّة لمحتوى ما يُقدّم، قبل أن يذيعه على الجمهور أو قبل أن يكتبه في صحيفته، وهذا ما ينطبق على الإعلان. فيحتاج بالخصوص أن يقدّم بصورة تستوفي المستوى التّذوقيّ الفنّي الجماليّ؛ والذي يستعمل في الأدب والفنّ، مستوى يتوخّى السّهولة والتّبسيط، ولكنّه لا يهبط إلى العاميّة في اللفظ أو السّهولة في الفكر "ومن ذلك أنّ وسائل الإعلام تستطيع أن تقرب بين الفصحى والعاميّة. وقد لاحظَ العقادُ أنّ أسباب التّشعب والتّفرّع كانت وفيرة في العصور الماضيّة، ولم تكن إلى جانبها أسباب التّوحيد والتّقريب تضارعها في قوّتها وأثرها، فتواترت هذه الأسباب في العصر الحاضر بعد شيوع الصّحافة والإذاعة والصّور المتحرّكة وقوالب الحكّي المشهورة باسم الأسطوانات. وممّا يرجى من آثار هذا التّقريب أن ييسّر فهم الفصحى لغير المتعلّمين، وأن يدخل في الفصحى بغير تعديل أو ببعض التّعديل"¹. وهذا هو المطلوب في لغة الإعلان التي هي من

¹ — عبد العزيز شرف ومحمّد عبد المنعم خلفا، النحو العربيّ لرجال الإعلام، ط1. بيروت: 2001، دار الجيل، ص 29.

المنال، إذا أحكم الإنسان اللّغة في الأفعال، وراجع الرّسالة قبل الإرسال.

— تقنيات لغة الإعلان: أقدم الوصفة التي رأيتها تعمل على النهوض بالإعلان، وفي ذات الوقت النهوض باللّغة العربيّة:

1— اعتماد العربيّة الفصيحة قدر الإمكان.

2— استعمال الأجهزة المعاصرة.

3— استعمال المسكوكات البلاغيّة.

4— الإيجاز واليسر وسلامة التعبير.

5— الرّبط بين اللّغة والصّورة.

6— توظيف الأيقونات المعبرة الموحية.

7— اعتماد الجانب اللّغوي الفكاهي.

تمارين

— التّمرين الأوّل: ضع إشهاريّة تحبّب فيها الاهتمام باللّغة

الرّسميّة؟

— التّمرين الثّاني: ادرس هذه الإعلانات دراسة لغويّة نقدية؟

— عيشْ La vie .

— غسيل إيغيل ما لُو امثيل.

— فَهُوا بُونالُ تزهي ألبال.

— التّمرين الثّالث: ارصدْ مجموعة من الإعلانات، وشكّل منها

مدوّنة، واقسمْها إلى حقولها الدّلالية؟

— التّمرين الرّابع: ارصد ومضات إشهارية باللّغات الأجنبيّة

وأجرِ عليها قراءة لغويّة؟

— التّمرين الخامس: في محيطك إعلانات كثيرة، اجمع مدوّنة

منها، واقسمْها قسمين؟

1— قسم خاصّ بالإعلانات التي تريد أن تسود:

.....

.....

.....

.....

– التمرين السادس:

— انتق من الجزيرة أهمّ الأعلانات التي استرعت انتباهك
وتعمل على توجيه الرّاي العام؟

This image shows a full page of handwriting practice paper. It contains ten identical sets of horizontal guidelines arranged vertically. Each set is composed of three lines: a solid top line, a dashed middle line, and a solid bottom line, providing a structured space for practicing letter formation and alignment.

لغة الصحافة

إنّ لغة الصحافة لغةً سياسيةً سريعةً التّغيير مؤثّرة، وتتطوّر كما تتطوّر السياسات، وهذا ما قاله (هربرت ماركوز) "إنّنا عندما نصِفُ حبّنا وحقّنا نستعمل مُفردات الإعلان والإعلام ومُحترفي السياسة". وهذه اللّغة تخرج عن المألوف لجعل الخبر ملهوفاً. ومع هذا الخروج؛ فإنّ وسائل الإعلام والفضائيّات عملت على إشاعة نوعٍ من العربيّة التي تُعتبر قاسماً مُشتركاً بين الجميع، وهي لغة الصحافة، أو هي أسلوب لغويّ بين اللّغة المُتقعّرة ولغة الدّهماء. ومن محاسنها كذلك أنّها عملت على تقليص الفجوة بين اللّغة العُليا (الفصحى) واللّغة الوسطى (الفصيحة) وأسهمت في تأسيس ثقافة جماهيريّة، وخلقت انسجاماً عاماً يتعلّق بقضايا لغة المجتمع. ولذا لا يمكن نكرانُ أنّ لغة الصحافة قد أمدّت العربيّة بمظاهر النّتميّة اللّغويّة التي جعلتها تنتقل من الأنماط اللّغويّة المهجورة إلى أنماط مُستعملة، وهذا يرجع إلى اجتهاد رجال الإعلام الذين عمّلوا على:

"1- الاقتباس اللّغويّ الصّحافيّ في أساليب اللّغات الأجنبيّة وترجماتهم لمفرداتها ومصطلحاتها، وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبيّ والعلميّ؛

2- خلق الإعلام لألفاظ جديدة للتعبير عن أمور لا تُوجد في مفردات العربية القديمة؛

3- إحياء بعض رجال الإعلام لمفردات قديمة مهجورة للتعبير عن معانٍ لا توجد في المفردات المستعملة، وما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً؛

4- الاستعانة في كثير من هذا الجديد بخصائص العربية من قياس واشتقاق وقلب وإبدال وترجمة وتعريب وارتجال واقتراض ونحت¹.

يقول العقاد: كما تكونون تكون صحافتكم، فالصحافة تابعة لفكر الأمة، ولا تعبر إلا عما يختلج في فكر الأمة، كما أن هناك بياناً في الكتاب فهناك بيان في الصحافة، فلا مرأى في أن الصحافة أضافت أنماطاً لغويةً جديدةً، وعملت على التجديد الأسلوبي وتوسّعت بها الثروة اللغوية، وفي ذات الوقت أفرزت بعض الحوادث اللسانية؛ هي حوادث -في أغلبها- نجد جُمْلَهَا ليست مقبولة، وتدخل في عُنْف لغة الصحافة تجاه اللغة الفصحى، ولكن هي من إفرازات واقع التحوّل اللغوي الذي لا يمكن أن تتجو منه اللغة وهي تعيش التحوّل المعلوماتي، ولا بدّ أن ينالها بعض من

¹ - ينظر: عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية. بيروت: 1991
دار الجيل، فصل (الإعلام والتّميّة اللّغويّة).

الاحتقار أو التوبيخ، فلا يمكن أن نأكل العجّة دون أن نكسر قوقعة البَيضة.

— مواصفات لغة الصحّافة: لاستكناه مواصفات هذه اللّغة نحتاج إلى التّعرف على لغة الصحّافة التي ننظر إليه على أنّها تحمل الكلمة الصّادقة؛ كلمةٌ يستضيء بها الطّلاب، فهي تدخل في الكلام الطيّب، كلمة تحمي الضّعيف، وتتصف المظلوم، ولها وزن خاصّ، وقيمة معيّنة؛ كلمة تستريح لها النّفس، وبطمئن إليها القلب، فهل هذا موجود في لغة إعلامنا بصفة عامّة؟ لا ننكر أنّ الكلمة الصّادقة لا توجد إلّا في خطاب المسجد. والصّدق المقصود هنا هو الملموس من الكلام المبنيّ المضيف والذي لا يحمل عنفاً.

وإنّ ظاهرة العنف اللّسانيّ الإعلاميّ جزء من الواقع المعيش وهو جزء من ثقافتنا، ويمكن ملاحظة ذلك في تدني نوعيّة الخطاب اليوميّ الذي ينتجه الأفراد والجماعات، إضافةً إلى انحدار الكثير من محتويات الوسائل المسموعة والمرئية، وكذلك تلك الطّرائق التي تستعمل المبالغة والإطناب، ولا تصلح في تحرير الخبر الصحّفيّ أو الإعلاميّ، علماً أنّ الطّابع المميّز لتحرير الأخبار يتمثّل في الدّقة والوضوح والمسؤوليّة، والبعد

عن طابع التحرير الأدبيّ، والتّعميمات التي لا معنى لها، وعدم
توظيف الجمل الطّويلة والمُترادفات والمُسْتوى الجماليّ.
وصاحبَ هذا ذلك الضّعف في الأداء المسموع بسبب:

— صوتُ المذيع يحتاج إلى اختيار مذيع له صوت جَهَوْرِي
يتعامل مع مخارج الأصوات تَعَامُلاً صحيحاً؛ كي يتفاعلَ مع
توافق الأصوات وتعاقبها وتَصَاقُفِها مُؤَدِّياً للمعنى؛

— تسكينُ أواخر الكلمات؛

— الأخطاء اللّغويّة؛

— الأخطاء في نطق أسماء الأعلام الأجنبيّة والأماكن؛

— استعمالُ العاميّة في كثير من المجالات.

وهذا كلّه يدخل في عنف الخطاب الإعلاميّ؛ وهو جزء من
العنف اللّسانيّ، وترتبط الظّاهرة في تلك الأخطاء المُخلّة
بالقواعد، وهو عنف اختياريّ عندما يحصل المزج بين
الأجنبيّات والمحليّات والفصيحة. فما هو الحلّ أمام هذا العنف
اللّغويّ؟

— الإقرار بأنّه لا مناصّ من اعتماد العربيّة الفصيحة لا
الفصحى؛

— ضرورة ترقية لغة الإعلام بالرسكلة الدائمة لأصحابها؛

— ضرورة تواجد مُدقق لغويّ في كلّ قناة؛

— مراجعة المقروء قبل قراءته؛

— مساءلة المذيعين المُخطئين في الأداء؛

— جعل التنافس بين رجال الإعلام يعمل على تحسين أدائهم اللّغويّ.

وقد يعذر رجال الصّحافة في هذا المجال، لغياب قواعد اللّغة الوسطى، أو ما أسمّيه (قواعد اللّغة الفصيحة) ونقص في المعاجم مختصّة؛ مثل معجم يرصد الألفاظ الأكثر تداولاً في السّوق، أو الأساليب الأكثر شهرة، وكذلك نقص المعاجم الثّقافيّة التي تضمن رصّد المستجدّ من مفردات مهنة من المهن وضعف العلاقة التّواصلية بين اللّغة والإعلام، وتحدّد من خلال:

1— منتج المادة الاتّصاليّة.

2— مضمون هذه المادّة.

3— لمن توجّه؟

4— بأيّة وسيلة اتّصاليّة يتمّ إرسال هذا المضمون؟

5— ما هي التأثيرات التي يحدثها هذا المضمون في الجمهور المتلقي؟¹.

ومن خلال هذا فنرى لغة الإعلام تُوصَمُ بأنها خارج العُرف وليس لها قيدٌ يعقلها، فهي سريعة التطوّر، بل لا تقبل التّميّط على اعتبار أنّ القواعد تحدّد من الإبداع.

— تقنيات لغة الصحافة: نخلص من هذا إلى اقتراح وصفٍ للغة الصحافة، وكيف يجب أن تكون:

1— لغتها العربيّة الفصيحة.

2— جملها تقريرية.

3— اعتمادها الصّور والموضّحات والبيانات.

4— لغة سهلة بسيطة واصفة دون تحيّر.

5— عاملة على الرّفع من مستوى القارئ.

6— مبنية مُضيفة.

¹— رياض زكي قاسم "اللغة والإعلام بحث في العلاقات التبادلية" مجلة مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت: 2007 (اللسان العربيّ وإشكاليّة التلقي) ص 127.

تمارين

— التمرين الأول: اقرأ النص التالي؟

"لقد ظلّ جبران أعواماً يماطل الداء، والداء يماطله، وهو يحسبه في القلب تزول بالحماية والوقاية، لكنّها ما كانت لتزول بل كانت كلّما تقادم بها العهد تكاثرت نوباتها وتنوّعت أشكالها وتصلّبت أوجاعها. فكانت تارة تفتك في مفاصله فيظنّها النّقرس وأخرى في أجهزة التنفّس فيخالها نزلة قويّة، وطوراً تشدّ على قلبه بأصابع من حديد فيحسبها علّة في القلب. والأطباء كانوا يصفون له المداواة بكلّ ذلك. وكان المرض يُهادنه بين النّوبة والنّوبة هُدناً مُتفاوتة، فتنتعش قواه، وتتجدّد آماله، وتبرأ ذمّته.

الأسئلة:

- 1— ما هي الفكرة الأساس في هذا النص؟
- 2— استخرج المسكوكات اللغويّة الإبداعية؟
- 3— ما هو الأسلوب اللّغويّ الطاعِي في النص؟

— التمرين الثاني: أجرِ دراسة نقدية حول عمود صحافي في

جريدة:

— الخبر:

— الشُّرُوق:

— التَّمرين الثالث: اقرأ جريدة (الشَّباك) لغويًّا، واجرِ دراسة وصفية تحليلية نقدية في الانحرافات اللُّغوية؟

— التَّمرين الرَّابِع: يقول أحدهم: "وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتَّعبير اللُّغويّ: أوَّلها المستوى التَّذوقيّ الفنّيّ والجماليّ ويستعمل في الأدب والفنّ، والثَّانيّ هو المستوى العلميّ النَّظريّ التَّجريدِيّ، ويستعمل في العلوم، والثَّالث هو المستوى العلميّ الاجتماعيّ العاديّ، وهو الذي يستخدم الصَّحافة والإعلام بوجه عامّ. وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كلّ مجتمع إنسانيّ والفرق بين المجتمع المتكامل السَّليم والمجتمع المنحلّ المريض هو تقارب المستويات اللُّغوية في الأوَّل، وتباعدها في الآخر. فتقارب مستويات التَّعبير اللُّغويّ دليل على تجانس المجتمع وأوزان طبقاته وحيوية ثقافته، ومن ثمّ تكامله وسلامته العقليّة.

السؤال: علّق على هذا النّص، بإيراد أمثلة من الواقع اللُّغويّ؟

لغة المسرح

إنّ استخدام العاميّة في الحوار المسرحي يُخرج اللّغة إلى السّطحية والتّفاهة، ولا يخلقُ منها أدباءً من المستوى الرّقيق؛ أدباءَ يعملون على مُلامسة ذوق الجمهور. وإنّ الأداء المسرحيّ بلغة العامّة تنكيس لغويّ واحتقار للجمهور، ولم يعمل على أن يرفع الجمهور من استعمال لغته استعمالاً صحيحاً. ففي واقعنا الحاليّ فإنّه لا تصلح إلاّ العربيّة الفصيحة؛ فهي الكفيلة بتحقيق غايات المسرح الجماليّة والفنيّة.

والعربيّة الفصحى لغة التّراث والدين والفكر والحضارة، ولها ثروة لغويّة تعبيريّة خصيّة، وأحقّ لها أن تعملَ على تحقيق غايات المسرح دون عوائق، ولكن هل يُمكن أن يتحقّق هذا الوجود في ظلّ لغة المسرح الحاليّ؟ يصعب أن يكون؛ باعتبار المسرحيّ يعيش في واقع لغويّ يحمل لغةً خليطاً، لغةً سوقيّة هجينة، لغةً عربيّة مختلطة بالأجنبيّات... فبأيّها لغة يُدير المسرحيُّ لغته؟ ولا شكّ أنّ المسرحيّ يتعامل بفقهِ الواقع؛ حيث ينقل لغة الواقع المبتذل بدعوى النزول إلى مخاطبة عامّة النّاس والتّحدّث إليهم بخطاب بسيط، ولم يفكّر في كفيّة الرّقي في مخاطبة النّاس، وجعل النّاس يرفعون مستواهم. ولهذا لا يمكن القول بأنّ استعمال الفصحى ممكنة في واقعنا؛ اللهمّ في ما له

علاقة بالتاريخ، والباقي ما يمكن أن يتحقّق هو الاستعمال الفصيح الذي يحيلنا إلى لغة وسط، وتحمل الكثير من التّيسيرات التي تميل إلى التّبسيط، وهذا هو الواقع اللّغويّ الذي نغمس فيه.

وفي الواقع يجب التّفريق بين مسرحيّة تتوجّه لعامة النّاس وهذه تستدعي ذلك الخليط، باعتبار أنّ مسكوكات علفت في أذهانهم، ويصعب التّنتقل إلى ما هو أعلى، أضف إلى ذلك أنّ الجمهور بمستويات لغويّة مختلفة، ولكن الذي يهمّ في المسألة أنّ المسرحيّ كان عليه أن يبتعد عمّا يقبح لغة المسرح من مثل: "النّزعة الإنشائيّة والبلاغيّة — النّزعة الخطابيّة والإطناب — الميل إلى التّعقيد والإغراب — التّكلّف المصطنع والمبالغة الشّديدة"¹. وما عدا ذلك فإنّ لغة المسرحيّ في وضعها الحاليّ تميل إلى الهجين وإلى التّقليد، باستثناء أنّها تعمل على استكناه المُعجم القديم في بعض المقامات، وهذا ما يُسجّل عليها من حسنات.

ولكن ما يمكن التّأكيد عليه هو ضرورة الرّفّع من لغة المسرح وبالخصوص تلك المسرحيّات التي توجّه للأطفال، باعتبار أنّ قاعدة اللّغة تُرسخُ سليمةً لدى النّاشئة. وهذا الأمر الذي نرجو ألا

¹ — فائق مصطفى "المسرح والعربيّة الفصيحة" مجلة الضّاد. العراق: 1989، الهيئة العليا للعناية باللّغة العربيّة في الجمهوريّة العراقيّة، الجزء الثّالث، ص 45-47.

يُتسامح فيه، بما يحمله مسرح الطّفل من حمولة لغويّة وثقافيّة وأدبيّة. فأدب الطّفل يحمل لغة مباشرة غير مجازيّة، وشعره من أدب الرّجز، يتبعه التّذليل أو التّرقيص، فهو أدب يغرس العاطفة والحبّ والإخلاص والجمال والمواظبة والقيم، ويأتي بأمثلة من خلال قصص الرّمز على ألسنة الحيوان...

والغاية في كلّ هذا أنّ عمليات الفرجة في المسرح تعمل على المزج بين السّماع والرّؤية؛ بحيث تشكّل الصّورة المشهديّة: مسرح الكلام، ومسرح للأذن، ولذا يتأثّر المتلقّي (الطّفل) كثيراً بالحوار المسرحيّ إذا كان رفيعاً في تلك اللّقطات اللّغويّة الفصيحة، فالمُشاهد يعمل على أخذها واحتذائها، وهذا على مستوى الدّهماء، بلّه الحديث عن (الأطفال) الذين يعملون على التّقليد العفويّ. ولذا يتوجّه حديثي ويتركّز على الخصوص، في منحى الاهتمام (بلغة الأطفال) من خلال الرّقي بلغة المسرح والتّلفاز، ورياض الأطفال، وثقافة الأسرة، والتّحفيظ المبكّر للمسكوكات الكثيرة التّداول...

هناك من يرى بأنّ لغة المسرح الجيدة هي تلك التي يتداولها العامّة البسطاء، فهي خير مُعبّر عن واقعهم، فأقول: أنا لا أنظر إلى (الراقصة العرجاء التي تتهم المسرح بالانحدار) ذلك قول خطير، ويريد أن تبقى لغة الجمهور لغة السّوق، في الوقت الذي أعدّ المسرحُ للتّرقية اللّغويّة والأخلاقيّة والتّهذيب عامّة، فأين

رسالته إذا بقيَ في نقل اللغة البسيطة، فما الفائدةُ منه إذا لم يعمل على الرقيّ بالجمهور وبلغة الجمهور. قول من يقول ذلك مردود وهو ضعيف، وليس له ذوق لغويّ عفيف.

إنني أنشد الكمالَ اللغويّ في لغة المسرح من خلال الاهتمام بأدب المسرح، وبخاصة ما يتوجّه إلى الأطفال، وهذا ما أبانته تلك الدراسات التي أُجريت على لغة الأطفال بأنهم يتأثرون بالمُعطى الثقافيّ الذي يُلهم شخصيتهم بمجموعة من البلاغات الثقافية الداخليّة الموروثة والمكتسبة، وهي مفاهيم ثقافيّة شفاهيّة أو مكتوبة تمتاز بسلوكات نمطيّة سابقة، وتكرّسها المسارح أو كتب الأطفال.

وإنّ النمط المشهديّ يكون ذا فائدة عندما ينتقل ليصبح مسرحاً تعليميّاً، وله أهداف نوعيّة ترتبط عضويّاً بالمجال التعليميّ وبأهدافه المعرفيّة والسلوكيّة، وبخاصة إذا كان قدّم من قبل الأطفال، ويمكن أن أسميهُ بمسرح (المنهاج التربويّ اللغويّ) ويعتمد فيه من حيث الأسلوب التمثيليّ على الدراما الإبداعية أو النشاط التمثيليّ التلقائيّ. كما أنّ أدب الأطفال يدخل فيها عنصر اللغة، فهو في صميم تشكيل البنية الخلقية واللغوية للطفل، ولذا تهتمّ المنظومات التربويّة في العالم بلغة الطفل، وتعمل على أن تكون في نمطها العاليّ، وبخاصة عندما يكون البيت والمدرسة

والتّقنيات والتّلفاز مكتمّين للعمليّة التّعليميّة، فهل هذا موجود في واقعنا الاجتماعيّ؟

وإذا كان أدبُ الأطفال أدبَ طفولة؛ فهذا يعني أنّه فكرٌ ورفيٌّ وأدبٌ وأسلوبٌ وعلمٌ وتربيّةٌ، ويعني كذلك التّمكن من حسن التّعبير، وتعلّم الكلام الصّحيح عن طريق المُحادثة المُستمرّة "ويكتسب الطّفل من خلال المُحادثة تلك المعاني الخاصّة للكلمات ويتمكّن من تفسير أقوال الآخرين، الأمر الذي يعني المشاركة في الطّريقة التي تُستخدم بها اللّغة في المجتمع. وإنّ الجمل التي لا تعبّر عن المعاني المطلوبة لن تجد قبولاً اجتماعياً حتى ولو كانت صحيحةً اللَّفظ، والقواعد ويعود سبب سرعة اكتساب اللّغة بسهولة واضحة نسبياً إلى رغبتهم القويّة في التّواصل". ولذا يمكن التّركيز القويّ على الفنّ القصصيّ وقصص الخيال والمغامرات وقصص الحيوانات، والقصص البوليسيّة، وكلّ ما يمثّل حكايات الجنّ والأقاصيص الشعبيّة والأساطير والملاحم والمواويل؛ حيث الأطفال يُعجبون بهذا النمط من الأدب لأنّه يأتي بلغة مُبسّطة، أضف إلى ذلك ما يرسّخه من قيم الأخلاق وانتصار الفضيلة على الرّذيلة. ومن هنا يكون التّواصل قد حقّق صدقه في أدب الطّفولة بشكل جيّد، أضف إلى ذلك ما يحمله الطفل من رصيد لغويّ صحيح.

— تقنيات التعبير في لغة المسرح: نقترح ما يلي:

- 1— الجمع بين اللغة الوسطى واللغة الفصيحة.
- 2— العودة إلى استكناه المصطلحات والمسكوكات من التراث.
- 3— اللعب على كسب الجمهور بلغة البيان والبديع.
- 4— العمل على ترقية ذوق الجمهور لغوياً.
- 5— الإفادة من القاموس اللغوي الجديد.
- 6— اعتماد بعض الألفاظ العامة البسيطة التي لا تخذش ذوق الجمهور.
- 7— السعي لبناء لغة راقية لدى التلاميذ.
- 8— العمل على التأقن اللغوي غير المخل بالقواعد.

تمارين

— التمرين الأول: انتق برنامجاً للأطفال من فضائية عربية وادرسه دراسة لغوية؛ حيث تظهر المسكوكات اللغوية المستعملة، وأثرها في لغة الطفل؟

— التّمرين الثّاني: عرّض برنامج عربيّ هامّ (افتح باسمسم) في معظم القنوات التلفازيّة العربيّة، وسجّل نجاحاً مُعتبراً، فما هي عوامل النّجاح التي سجّلها هذا البرنامج؟

— التّمرين الثّالث: خذْ حصّة أسبوعيّة من قناة تلفزيون (النّهار) حول كرة القدم، وسجّل خصائص لغة تلك الحصّة؟ وادرس آليات الخطاب الصّحافيّ الرّياضيّ في تلك الحصّة؟

— التّمرين الرّابع: سجّل حصّة علميّة حول (الحاسوب) والتي تُذاع في القناة التلفازيّة الثّالثة، وادرس لغة المذيع دراسة تحليليّة نقدية؟

— التّمرين الخامس: شاهدت مسرحية بلغة عربيّة سليمة وأعجبك بعض المقتطفات البديعة، فانقلها كما هي:

—

—

—

..... —

..... —

..... —

..... —

— التّمرين السّادس: انقل حواراً مسرحياً كاملاً ورد بلغةٍ
عربيّةٍ راقيةٍ، وتريد أن تنقله للتّلميذ للرفع من القيمة اللّغويّة
لمكتسباته؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

لغة القانون

— مقدمة: سأحدث هنا عن ثلاث لغات، وهي:

— الأولى: لغة القانون: هي لغة إدارية، لغة مُتَعَجِّل في كتابتها؛ يشوبها عدم الضبط والدقة في التعبير عن المعنى مجردة أحياناً من العناية باختيار اللفظ المناسب، مع وجود الأخطاء اللغوية "... لغة المادة القانونية أو التشريعات التي تحتاج إلى ضوابط للعبارة والتأويل والتحليل الدلالي للأحكام والتحرير السليم للنصوص والمواد... إلخ. وتُعنى بهذه الجوانب اللغويات القانونية¹ Jurilinguistique". وفي هذا الوقت الذي أصبح فيه القانون يدخل في قضايا المجتمعات الوطنية والدولية ويطرح على اللغات والمُهتمين التحكم في تطويرها لتكون في مستوى هذا التطور لتؤدي بوظيفتيها: الوظيفة الهوياتية والوظيفة التربوية والمادية والاقتصادية والعلمية. وتعمل الوظائفان معاً في إطار مُتكامل، وكلُّ واحدة تخدم الأخرى.

ولأهمية دور اللغة في القوانين، يقتضي صياغة المواد القانونية بلغة مبسطة للفهم، والمحافظة على البناء اللغوي في صياغة النص القانوني؛ وصولاً إلى العبارة المناسبة للمفهوم القانوني في

¹ — معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، لغة الحق ولغة القانون. المغرب: 2004، ج1، تصدر المجلة.

اللغة الواحدة، ولهذا فإنّ المشرّع يجب أن يتسلّح بالمصطلحات القانونية ودلالاتها، ويكون ضليعاً لغوياً؛ لتجنّب الحوادث اللسانية التي تأتي بها الترجمة أو اللغة اليومية وهي من المستوى الثالث دون الحديث عن الوضع المزريّ الذي تعرفه العربية على أفواه بعض رجال القانون الذين لا يهتمهم إلاّ المرافعة التي تضمن الحصول على تبرئة الموكل، علماً أنّ حسن الأداء اللغويّ هو الذي يستميل ويضمن المرافعة التي لا تقف أمامها حجة.

إنّ لغة القانون هي لغة تلك المدونات والمسايطير القانونية والتي يجب أن تُصاغ أولاً بالعربية، ثمّ تُترجم إلى الفرنسية، ولا يحدث العكس؛ باعتبار العربية هي المصدر، والعمل على تجنّب الأساليب الملتبسة، وتجنّب الألفاظ والدلالات البلاغية في الكتابة القانونية، والالتزام بالجودة والدقة في التراكيب، والبلاغة في التعبير حتى يأتي البناء اللغويّ للنص القانونيّ متناسقاً لفظاً ومعنى.

— **الثانية: لغة الإدارة:** إنّ استعمال اللغة العربية في الإدارة والمؤسسات العمومية تشكّل دعامة لتجسيد السيادة الوطنية على مستوى هياكل الدولة، ففوّة الدولة تكمن في فوّة استعمال لغتها واستعمال لغة الأمّة من النظام العام، ويعني الاهتمام بثقافة الأمّة

وعلموها وتراثها. ولتمكين اللغة الرسميّة في الإدارة كان لا بدّ من:

- 1- وضع القوانين والمَرَّاسيم الضابطة والمُلزمة.
- 2- تحديث آليات لغة الإدارة.
- 3- تنمية الحسّ باللغة العربيّة وتنميتها في المجتمع.
- 4- العمل على التنسيق بين منظومة التّربية والتّكوين والتّخطيط الجيّد لفعاليّة تعميم استعمال العربيّة. ولغة القانون تدخل في التّعبير الوظيفي/ المهنيّ/ التّخصّصي؛ يحقّق بها حاجة من المطالب الماديّة الاجتماعيّة، لا إبداع فيها؛ لأنّ التّعبير الوظيفيّ لون من التّعبير الذي يتّصل بمطالب الحياة اليوميّة وقضاء حاجات عملية كثيرة ضروريّة لاستمرار الحياة وتسييرها وهذا غير موجود في لغة القانون؛ باعتبارها أنّها موجهة للمصالح المهنيّة "وما دام التّعبير الوظيفيّ يتّصل بحاجات حيويّة فإنّنا نجد له ألواناً وأشكالاً متعدّدة من كتابة طلبات، وملء استمارات أو نماذج، وكتابة برقيات، وبطاقة دعوة، ورسائل شكر أو اعتذار، وكتابة سجلات، وإعلانات، ومُلخصات، وقوائم

إرشادات، أو بطاقات تنبيهات، أو إعلانات، أو ملء بطاقة
حقيقية¹.

إنّ لغة الإدارة لغة تحتاج إلى ضوابط إدارية بدءاً من حجم
الورق A4 وهو حجم المراسلات الرسميّة، بالإضافة إلى الزوائد
إذا كان المرسل يُعدّ ممثلاً لمخبر/ لشركة/ لمؤسسة... أن يضع
شعار المؤسسة وختم المؤسسة، والتوقيع وترقيم الإصدار.
وهناك نماذج في الإدارة الجزائرية جاهزة لكثير من الطلبات².
ولا بدّ من احترام قواعد أو شكل الطلب أو العريضة التي تقدّم
ويكون ذلك وفق الآتي:

— مراعاة مقام المرسل إليه.

— تحديد الموضوع (الغرض) والأغراض عديدة: طلب
الحصول على سكن/ إبرام عقد/ إصدار منشور/ إشهار عن بيع/
طلب الاستكتاب/ إعلام/ إجابة/ تحديد المسؤولية/ رفع التظلم/
تقديم استفسار/ الردّ على استفسار/ طلب الحصول على رخصة
بناء/ طلب شقّ الطريق/ فتح محلّ...

¹ — مقال وآخرون، ملامح من اللغة العربية سمات وأداء. عمّان:
1991، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص 148.

² — ينظر الأدلة التي أصدرها المجلس الأعلى للغة العربية.
الجزائر: 2008، الدليل الإداري.

— الوضوح والاختصار

— الخاتمة بالاحترام

— التوقيع.

الخصائص العلميّة في الكتابة السليمة: وهي أن تكون: —
سليمة — وافية — وجيزة — ودودة¹. وفي كلّ هذا نعلم أنّ
الإدارة تستعمل خطاباً إدارياً، وعلى هذا الخطاب أن يكون
واضحاً شاملاً دقيقاً ومختصراً ومُتّسماً باللطف، وفيه يتحدّد
الموضوع، وتترتّب أجزاؤه. وأجزاء الخطاب/ الطّلب هي:

1— المرسل: اسم ولقب/ شعار المؤسسة.

2— عنوان المرسل.

3— الجهة التي يتوجّه إليها الخطاب.

4— الموضوع.

5— الاستهلال.

6— متن الخطاب: الطّلب.

¹ — ينظر: عاطف نصّار، اللّغة والإدارة، ط1. الشارقة: 2001
منشورات جمعيّة حماية اللّغة العربيّة.

7- الخاتمة.

8- التّوقيع.

وهذا هو الخطاب الرّسميّ الذي نريد أن يكون الطّالب على دراية به، لا الخطاب الشّخصيّ الذي ليست له قاعدة نمطيّة. فالخطاب الرّسميّ خطاب نمطيّ في جوانبه الشّكليّة وفي لغته الرّسميّة المحدودة، والمهمّ فيه أن يعالج موضوعاً واحداً، ويقدم صورةً شاملةً للمحتوى بأقلّ جهد في المكتوب. ومجالاته محدودة: الطّلبات - التّطلّمْ - خطاب البيع - خطاب التّذكير ...

وأما لغة الخطاب الإداريّ فلها قاموس وظيفيّ محدّد، ولغتها بسيطة متداولة تنحو إلى اليُسْر واستعمال الألفاظ الإداريّة وجُمْلها - في الأغلب - فعلية خبريّة، تستعمل كثيراً الرّموز والاشكال الهندسيّة، وتحقّق مهارة هذه اللّغة يكمن في الوضوح والإيجاز والاكتمال، وإذا كان اللفظ لا يؤدي ولا يضرّ، وهذا كلّه يحتاج إلى: توضيح الموضوع - بناء المقدّمة - حسن عرض المحتوى - تناسق لغة المحتوى - حسن النّهاية. وغاية القول: إنّ اللّغة في أيّ نشاط هي وسيلة اتّصال يكون التّركيز على: - الابتعاد عن المبالغة - التدرّج في عرض الموضوع - سلامة اللّغة - المحافظة على خطاب الموضوع - استخدام

المصطلح المناسب — ترتيب العناصر. وهذا ما ينطبق على كلّ المراسلات مهما كان تخصّصها.

وإنّ الكتابة في لغة الإدارة لا تتطلّب مستوى عالياً؛ لأنّها لا تستدعي إلّا ذكر البيانات، واحترام الشّكل، واستعمال اللّغة الواضحة، والابتعاد عن الأخطاء، فهناك طلبات نمطيّة، فهي لغة نمطيّة سهلة، وكتابة مهنيّة ضيقة تتطلّب استيفاء المعلومات وهي: المراجعة اللّغويّة — مراجعة المحتوى — ضبط شكل الإرساليّة. وهناك أنماط إداريّة معروفة، مختلفة بعض الشّيء إلّا أنّ النّمط العامّ يكمن في مثل هذه التّرسّيمة:

المكان والتّاريخ:/...../.....

المرسل: اسمه ولقبه وعنوان سكنه، وهاتفه

.....

المرسل إليه:.....

السّلم الإداريّ

الموضوع:

— عرض المحتوى:

.....

.....

.....

الشكر

المعنيّ بالأمر.

ونجد كتابات نمطيّة تختلف قليلاً بالنظر إلى المرسل إليه.
 فهناك مكاتبات: استراتيجية — استتكرية — طلبية —
 استفسارية... ولكلّ منها بعض الاختلاف في المحتوى والخاتمة.
 وعادةً أنّ أكثر المراسلات شيوعاً هي: المناقصات — العقود —
 دراسات الجدوى — النشرات — التقارير — التّأشيرات —
 البرقيّات — المُلصقات — المراسلات الداخلية... ولكلّ أسلوبه
 الخاصّ.

— الثالثة: التّفّتح على اللّغات: إنّ التّفّتح على اللّغات ضروريّ
 شرط أن تلعب فيه العربيّة دورَ المركز، وكلمة اللّغة الأجنبيّة
 كثيرة جداً، فعندما نضعها لصالح العربيّة سوف تتحسن أكثر

ولكن في هذا التفتّح علينا الأخذ بالنّفعيّة اللّغويّة، حيث المصالح المرسلّة فثمّ شرعنا. لا نريد سَوْقاً لغويّة؛ تبقى اللّغات الوطنيّة خاضعة للبيع أو للخيار، وتبقى اللّغات الوطنيّة محلّ الحوار في صلاحها والأخذ بها في التّعليم وفي الإدارة من عدمها، وهذا هو الخروج عن العرف النّمطيّ البخيل الذي أكسبنا الهزيمة، بل تكون هه الأمور قد فُصل فيها، إلّا في المسائل المنهجية التي تخضع للمناقشة، وفي أقرب الكيفيات لتمكين اللّغات الوطنيّة في بلادها.

ومن هنا لا تُطرح العربيّة للمناقشة إذا كانت تصلح في الإدارة أو في لغة العلوم، وهذا يدخلنا في مسألة مراجعة دستور، وهناك رأيُ الشعب يجب أن يُحترم. وتعالج المسألة اللّغويّة دون هيجان ودون وصف تحقيريّ، ودون انغلاق، بل بمقاربة علميّة تراعي الأبعاد الوطنيّة، والتّخلّي عن المواقف المتطرّفة، من مثل الدّعوة إلى الاكتفاء بالعربيّة في كلّ المجالات، أو من يدعون اعتماد الفرنسيّة في اللّغات الأجنبيّة دون غيرها من اللّغات، فنحن بحاجة إلى حدود توازنات لغويّة على رأس موضوعيّ هادف؛ يأخذ ملامح الهويّة والكيان الوطنيّ والاندماج في العالم. ولكن هذا الاندماج لا يكون باللّغة الفرنسيّة التي يعدّها البعض قدراً علينا، وهي التي جمّدتنا وانكمشنا، فأصبحنا لا نرى العالم إلّا من خلالها، ولم نتفتّح على العالم كما تفتّح أهلها. ومن هنا فإنّ

التّمكن للغة الرّسميّة أكثر من ضروريّ "إنّ التّمكن للّغة الرّسميّة، وتدبير استعمال اللّغات الوطنيّة، والحفاظ عليها عمل تاريخيّ هامّ؛ أمضت الدّول الأوربيّة في إنجازها عدّة قرون وصار في عصرنا من مهمّات الأمم الفنيّة وقضاياها الاجتماعيّة الملّحة، وذلك لتنامي الوعيّ بأنّ الدّولة الوطنيّة بشخصيّتها وثقافتها واقتصادها لن تستطيع المنافسة والمغالبة في عالم اليوم ما لم تتمكّن للّغتها الوطنيّة بتحسينها وتنميتها"¹. والذي يهمّنا في المسألة الحديث عن لغة الإدارة، والتي لا تخرج عن اللّغة الرّسميّة، ولا بدّ من الاحترام التامّ لهذه اللّغة، واحترامها من احترام القانون.

— تقنيات لغة القانون: إليكم الوصفة المبدئيّة في لغة القانون:

1— اعتماد اللّغة الفصيحة.

2— استعمال اللّغة الواصفة.

3— عدم المرافعة أو الحديث باستعمال قراءة المکتوب.

4— العمل على استمالة الجمهور بمسكوكات لغوية جذابة.

¹— محمد الفرّان "اللّغة العربيّة في الإدارة المغربيّة بين الإكراهات والتّطلّعات" مجلة الأكاديميّة. المغرب: 2010، ندون (اللّغة العربيّة في الخطاب التّشريعيّ والإداريّ والإعلاميّ بالمغرب) ص 118.

- 5- عدم التلّعثم أو الحنحنة أو الوقوف أثناء المرافعة.
- 6- الرّفع من الصّوت في أغلب المواقف، مع معرفة مواطن التّخفيض.
- 7- تصيّد المواقف المُحاجة التي تعمل على الاستمالة.
- 8- اعتماد البيانات والوسائل المُكمّلة لعملية التّواصل.

❧ تمارين:

— التّمرين الأوّل: هَبْ أَنْكَ مُحامِيٍّ، وتدافع عن زبون حكمت عليه المحكمة بالسّجن ستة (6) شهور، اكتب عريضةً تطلب لموكّلك تخفيف العقوبة؟

— التّمرين الثّاني: كتب طلباً للسّيّد رئيس البلدية؛ تطلب فيه تسجيلك في الشبكة الاجتماعيّة؟

— التّمرين الثّالث: حضرتَ مجلسَ صلحٍ بين عرشين مُتّنازعين. اكتب تقريراً تصف فيه أسلوب الحوار بين رجال

الصِّلح؟ وتحدّثُ عن الألفاظ والمسكوكات الموظّفة في ذلك الحوار؟

— التّمرين الرَّابِع: اكتب عريضة مجتمع مدنيّ ونخبويّ تطلب فيه إدراج بجاية عاصمة الثقافة الإسلاميّة؟

— التّمرين الخامس: اكتب طلباً للسيد وزير الثقافة تحنّه على جمع المخطوطات التي تتوفّر عليها منطقة الزّواوة؟

— التّمرين السّادس: حاول أنت وزميلك أن تعمل على تقديم مشروع إنجاز ملتقى وطنيّ حول: لغة الإعلام. فما هي أركان ذلك المشروع؟

— التّمرين السّابع: لو يطلب منك الإجابة عن السّؤال التّالي:

أنجز إشكالية ملتقى وطني حول الموضوع التّالي: لغة أساتذة كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة ببوخالفة، جامعة تيزيوزو. فما هي الخطّة العامّة التي تضعها لهذا المشروع؟

لغة الاقتصاد

— مقدمة: سيكون الحديثُ جيِّداً في لغة الاقتصاد؛ إذا أخضعنا اللغة العربيَّة لتتال موقعها وتدخل المنافسة، والدَّفْع بها بخطاب براغماتيٍّ حول ضرورة تعميمها في كلِّ الميادين، بما فيها الجوانب الماليَّة. والعربيَّة الآن رهن حاضرها ومستقبلها، وبما تقدَّم لها من امتيازات، ولن يشفع لنا إبقاء الأمور على ما هي عليه، بل لا بدَّ من مقارنة علميَّة نقديَّة جدليَّة حتى تتحقَّق قفزة نوعيَّة في الاستعمال العامِّ. ومن هنا يجب عدم جعل اللغة العربيَّة محلَّ جدالٍ في صلاحها أو عدم صلاحها في الجوانب الاقتصاديَّة، ورفع كلِّ لبس عن أذهان النَّاس بخصوص ضعف العربيَّة، وما يُقال عنها من عجزٍ، أو عدم مُلاحقتها المُستجدات العلميَّة، وهذا تفكيرٌ ضيق، بل إنَّ القطاع الاقتصاديَّ قطاع اجتماعيٍّ مهنيٍّ ضيق المُصطلحات، فهو سهلُ التعريب. ولكن هناك واقعٌ يحتاج إلى تطوير، وهذا إذا امتلكنَّا الإرادة المهنيَّة في هذا المجال، فالذين يقولون: لا تُعرِّب العلوم ومنها الاقتصاد ينكرون بأنَّ الاقتصادَ من العلوم الإنسانيَّة، رغم أنَّ له رجلاً في العلوم، ولكن كلَّ أجزائه في العلوم الإنسانيَّة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، كيف لنا أن نعرِّب الفلسفة وعلمُ النَّفس بكل تخصصَّاته، وهي الصَّعبة، فلا يمكن أن تعجزنا العلومُ الدَّقيقة وهي ضيقة محدَّدة، بلَّة الاقتصاد، وهذا خطأ فادح يتحمَّله

المسؤولون عن تسامحهم في هذا المجال "وإنه لخطأ فادح أن يحدث في معظم الجامعات العربيّة حين يُراد قصر اللّغة العربيّة على الدّراسات الأدبيّة والإنسانيّة مع فسح المجال للّغة الأجنبيّة بالنّسبة للعلوم التّقنيّة والمعارف العصريّة. ومن العجيب أنّ الذين يريدون أن تقتصر اللّغة العربيّة على تلك الدّراسات وما فيها من حقول فكريّة وإبداعيّة؛ ينسون أنّها هي التي تحتاج إلى معجم أوسع وطاقت تعبيريّة أكبر، في حين أنّ ميادين العلوم الأخرى -على سعتها وتعدّدها ووفرة جديدها- لا تتطلّب في الاستعمال التّخصص الدّقيق، سوى متنٍ محدودٍ تملأه مصطلحات يمكن التّغلب بالتّعريب والاقتناس على ما عندنا فيها من نقص كثير ومتزايد؛ إضافة إلى ما في التّراث العلميّ العربيّ في هذا الباب¹". وإنّه إذا كان استعمال العربيّة على مستوى المؤسّسات الدّستوريّة أمراً لا نقاش فيه، فإنّ استعمال هذه اللّغة على مستوى المؤسّسات البنكيّة مثلاً لا جدال فيه، فوظيفة اللّغة انفتاحها على محيطها، فاللّغة ليست نشاطاً فيزيائياً يلفظه جهاز النّطق فقط، وليست وسيلة تعبير، بل آلية اجتماعيّة تخلق ديناميّة مجتمعيّة تفاعليّة في المجتمع. والواقع أنّ تأخير عملية تعريب المصالح الماليّة يستدعي التّهيئة مرة ثانية، والتّحضير الجديّ

¹ - عباس الجراري "اللّغة العربيّة: واقع يحتاج إلى تطوير" مجلة الأكاديميّة. المغرب: 2005، منشورات الأكاديميّة الملكيّة المغربيّة (قضايا استعمال اللّغة العربيّة في المغرب) الحلقة الثّانيّة، ص 35.

لعملية استعمال العربية في المؤسسات الاقتصادية: البنوك — البريد — المقاولات — المصانع... ويستدعي: الرجوع إلى الوثائق المعربة — استشارة المختصين في ميدان المصطلحات — استشارة اللغويين في التصويب اللغوي — تهيئة الهيئة الإدارية — عقد ندوات التحسيس — تنظيم دروس الدعم — تعيين لغويين يعملون على إنجاز المعاجم — المتابعة والتقييم — المراجعة المستمرة "وإنّ العملية الاقتصادية مهما بلغت من الدقة العلمية والتقنية، فإنّها تبقى معزولة عن المجتمع الذي يُشكّل مصدر تغذيتها وإثرائها وإغنائها إذا لم يتمّ التقرب من هذا المجتمع عن طريق مخاطبته بلغته، وتبسيط هذا الخطاب وتعميمه لدى الفعاليات، والشرائح المعنية بالعملية الاقتصادية وإلا ظلت هذه المكونات تشعر بالغرابة، وبعيدة عن كلّ تفاعل من شأنه أن يوطّد روح التعاون والانصهار داخل مجتمع مترابط متكامل؛ يساهم فيه الفلاح والصّانع والتّاجر، وكلّ ما يتّصل بعناصر الإنتاج الأخرى في البلاد¹". ولهذا مخطئ من يقول: إنّ اللغة الاقتصادية بمثابة العلمية الحسابية إحصائية ذهنية يمكن أن تؤدّيها اللّغات العلميّة الأجنبيّة، فلغتنا العربيّة الآن عاجزة في هذا المجال، بل ليس لها الانسياب اللّغويّ المعبر عن الجانب العلميّ

¹ — محمد سبيبة "تجربة وزارة الشؤون الإدارية في ميدان تعريب الإدارة" مجلة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. المغرب: 1998 (العربية في الاقتصاد والإدارة) ص 42.

ولا يمكن أن تعبّر عن العمليات الحسابيّة أو المصطلحات الاقتصادية. قول مردود، فاللغة استعمال، وكلّ لغة استعملت سوف تؤدّي إلى خلق المصطلح، وإلى الانسيابية في التعامل الماليّ أو المصرفيّ.

ما هي مواصفات اللّغة الاقتصاديّة؟ هي لغة ضيّقة، محدودة المصطلحات؛ تحتاج إلى معجم ذهنيّ أولاً على مستوى التّواصل الاجتماعيّ. وعلى مستوى الطّبقّة العالميّة؛ تحتاج إلى قواميس مُتخصّصة، باعتبارها من العلوم الإنسانيّة التي تميل إلى الدّقة في بعض المواقف، وإلى المرونة في بعض المواقف الأخرى. وعامّةً فإنّ لغة الاقتصاد:

— جملها فعليّة مُقتضبة؛

— مُصطلحاتها غيرُ بعيدةٍ عن الاستعمال العامّ؛

— أنماطها ووثائقها محدودة؛

— استعمالها الكثير للأرقام والتّشفير.

وفي وقتنا المُعاصر فإنّ التّقانات المُعاصرة والتّعليم قلّصا من الفجوة بين رجل الاقتصاد وعامّة النّاس؛ حيث تلك التّقنيات سهّلت سُبُلَ التعامل البنكيّ والصّفقات والمدخول والمخروج، كما

أنّ البطاقات الإلكترونية عمّلت على الاستغناء عن التّواصل الإنسانيّ، وخلقت وسائلَ تواصلٍ جديدةٍ سهلةٍ عبر شبكات التّواصل الاجتماعيّ. وغاية ما في الأمر إنّّه لا يمكن أن تشكّل اللّغة العربيّة لدينا نظرة مستقبلية، وعملنا على تحديد الأولويّات في تطبيقها دون هوادة، ويكون لدينا عقد النية على العمل باللّغات الوطنيّة، وتعريب الوثائق الداخليّة، وتكاتف جهود الجميع، وتحمل الدّولة لكلفة التعريب. ولذا فإنّ واقع التّعامل باللّغات الوطنيّة بين المؤسّسات والأفراد وهو عنصر حاسم في مكّونات التّميّة، ومن شأنه أن يُسهم في تنشيط الاقتصاد الاجتماعيّ، ولن يكون ذلك إلّا إذا جعلنا اللّغة العربيّة وسيلة للإقلاع النّهضويّ، فيدخل كلّ ذلك في التّميّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

— تقنيات لغة الاقتصاد: هذا ما وعيّه من وصفة تخصّ لغة الاقتصاد:

1— اعتماد اللّغة الفصيحة.

2— اعتماد اللّغة العلميّة المُقتضبة.

3— اعتماد البيانات والرّسوم المُوضّحة.

4- ضرورة استعمال الوسائل الحديثة في التّوضيح.

5- اعتماد المصطلحات الأجنبية حالة اقتضاء الواقع.

6- المرافعة العلميّة الواضحة دون التردد.

7- الرجوع إلى التوثيق إلى ما أعدّ من أوراق.

تمارين

— التّمرين الأوّل: تمثّل حواراً علمياً بين رجل أعمال ناجح وصحافيّ يسأله عن اللّغة العلميّة التي يستعمله مع مساعديه وعماله؟

— التّمرين الثّاني: اكتبْ عَقْدَ توكيلٍ لمدير بنكٍ توكّل أخاك بخصوص التّصرّف في أموالك؟

— التّمرين الثّالث: افتح على قناة بورصة من البورصات العربيّة، ولاحظْ اللّغة التي تستخدمها، وانقلها كما هي؟ وعلّق عليها؟

— التّمرين الرّابع: حاول الحصول على بعض الوثائق البنكيّة غير المعرّبة، واعمل على تعريبها؟

الخاتمة

أُسعى أن تكون خاتمة توعِيّة؛ منطلقاً من الجامعة على اعتبار أنها حاضنة للوعيِّ والتَّثْقِيفِ وتقديم الأفضل. فالجامعة مركز بحث واستشرف لأدوات المستقبل، ومن الجامعة تتخرج الإطارات التي تسود البلاد ذات يوم، وتصنع الآلات باللّزوم. وفي الحقيقة لا يمكن أن تنتج الجامعة إطارات إلاّ إذا امتلكت أفكاراً ومشاريع وتنمية وطنيّة، فهل جامعاتنا تحمل هذه الأشياء؟

وإنّه لكي يتخرج الأستاذ على توجيهاته الإطار القياديّ، كان عليه أن يكون قيادياً، وكان عليه أن يحمل مشروعاً، فكم من أستاذ يحمل مشروعاً؟ وكم من أستاذ مؤسس لجمعية أو لنادٍ ثقافيّ؟ وكم من أستاذ عضو في حزب؟ لو بحثنا نجد القليل القليل من أولئك الذين ينشطون على المستوى السّياسيّ أو الثّقافيّ أو الجمعيّ، فماذا تنتظر من أستاذ وهو ليس مُنتجاً للمشاريع، ولا يحمل همّ التّأطير، ولا يستشرف آفاق الغد.

هذه هي الحقيقة التي لا يجب أن ننساها، فلا يمكن لمجتمع أن ينحو منحى التّميّة الوطنيّة، وإطاراته غائبة عن السّياسة وعن القضايا الثّقافيّة، وعن التّوجيه. لا تنتظر من جامعة أن تخرج إطارات من دون وجود مؤطّرات من الطّراز العاليّ. فما هو الحلّ يا ترى؟

من خلال الواقع المزريّ أريد أن أضع الطّلابَ أمام مسؤولياتهم باعتبارهم الحلّ والأمل ونخبةَ المُستقبل؛ النّخبة الطّلابيّة التي عليها العول؛ عول التّغيير السّلمي والمرحليّ نحو الأفضل. فنحن نعيش مَخاضاً مُعاصراً ضمن المُطالبَة بالتّغيير فكيف يكون التّغيير في هذا الظّرف الذي نسعى أن تكون النّخبة هي القاعدةُ ومنها المنطلقُ، ولكن عَجَزَتِ النّخبةُ الوطنيّةُ، ونرى الدّهماء يقودون الأمّة، والنّخبة منكفئة على نفسها وشبه نائمة فهل من نهوض أَيْتِها النّخبة؟ نخبتنا في بيات طويل المدى، لا يهتمّه أمر التّغيير، ولا أمر الهوية اللّغويّة، إن لم أقل لا تريد أن تضحي، فمن يعلّق الجرس؟ نخبتنا شبه نائمة، وتخاف من السّلطة؛ لأنّ السّلطة في بعض المقامات تعاقبها بشحّ الخبز عنها ولهذا لا تتصدّر النّخبة.

لقد شهدنا النّخبة في الغرب مُتصدّرة، ويأتىكم خبر ذلك في أحداث فرنسا لعام 1968م، حيث عرفت مظاهرات الطّلبة أيامها صراعاً سياسياً وثقافياً، فهذا Jean Paule Sartre يتصدّر المسيرات الطّلابيّة، وفي تلك الأحداث يُسجن سارتر، والرئيس دوغول في زيارة لألمانيا الغربيّة، ويقطع زيارته لما علم بسجن فرنسا للفيلسوف، ويقول وهو ينزل من الطّائرة: La France n'arrête pas Voltaire فرنسا لا تُسجن فولتير. وهكذا رأينا في كثير من الدّول أنّ النّخبة ما تقاعست عن تقديم النّصح أو

تقديم الأفكار بغية التصحيح، وأنها خصّصت جلّ وقتها من أجل تبليغ كلمتها للمواطن، وما انقطعت عنه أو عن سُبُلها، ولم تستقل النّخبة، أو ترفع يدها وتعلن أن لا يهمّها الأمر. ولكن يجب أن نقول بأنّ تلك الشّعوب تحترم متقّفيها وتستشيرهم، وتقبل منهم النّصيحة. وكذلك تفعل بعض الحكومات التي تضع النّخبة في مقامها؛ لأنها تعرف تأثيرها في المجتمع، ومقامها الرياديّ وأفكارها السّديدة، فهل نحن في هذا المستوى؟

وكان عليكم أيّها النّخبة أن تتعاملوا مع السّياسيين بغية تنقيف السّياسة، وبغية تحصيل المواقع، ومن ثمّ العمل على التّوجيه للصّالح العامّ، وإبعاد الانتهازيين الذين هم حاشيّة المسؤول وبخاصة أولئك الذين ليسوا في مستوى التّوجيه الحسن. وعليكم ألا تُعادوا السّياسيين، بل أن تكونوا إلى جانبهم بالمشورة والنّصيحة، وإبداء الأفضل؛ كي يكون لكم القرار، وعليكم إنتاج الأفكار.

اعلم أيّها الطّالب بأنّك نخبة، والمجتمع ينظر للنّخبة على أنّه يملك السّحر لفكّ كلّ الصّعوبات، كما ينظر إليك على أنّك شجرة تفاح، تُرمى بالجحر فتمدّهم بالتّفاح، فعليك تحمّل تلك المُعطيات المُعاصرة التي تضعك أمام مسؤوليات كبرى. والأزمة التي أريد التنبيه إليها هي الأزمة اللّغويّة، وكيف تتحمّل مسؤولياتها وتعمل على تقديم الحلول للخروج من أسئلة اللّغة التي هي أزمة

اللغة. واعلم بأنّ أولى أدوات المسؤولية هي الشعور بالخطر القادم، في هذا التّسامح اللّغويّ الذي أنتَ طرف فيه، فما العمل تجاه ذلك؟

أرجو أن تسمح لي -أيّها الطّالب النّخبه- واعتبرني مُوجهاً أقدم لك بعض التّوضيحات؛ لتكون على دراية بها، ليس إلّا وربّما أقدم لك بعضاً من الأفكار التي قد تُوصِلُك إلى الاقتراح أو إلى أخذ القرار.

عليك أن تعرف أنّ معرفة مُسبّبات المشكلة وهي من أساسيات التّعرّف على أجزاء حلّ المشكلة، ومن ثمّ معرفة الحلول المُمكنة للمشكلة. ولذا أرى ضرورة العمل على التّخلّص من المُسلّمات والآراء المُحِبطة، وبعدها يكون إعداد وسائل العلاج، أو تقديم العلاج المرحليّ.

أيّها الطّالب النّخبه، لا يجب أن تنطلق في كلّ مرّة من الماضي، فالماضي تخالطه الخيبة والسّقوط، فنحن في قرن النّهوض؛ قرن معالجة مشكلات الحاضر دون النّظر لتلك المُنبطات والتّجارب الفاشلة، قرن قياس الحاضر على الحاضر قرن تصاعد قوَى التّغيير، وثورات المُطالبة بالتّغيير، قرن ثورات الشّباب الطّافح والذي ينشد الأمل والتّغيير. قرن فيه شباب ينزاح إلى إنّيته وأصالته، قرن الوعيّ بالماضيّ

والحاضر، قرن قراءة وقائع الوعيّ، وتفكيك آلياته، ومن ثمّ كشف علاقة الوعيّ إيجاباً وسلباً، قرن معرفة أين موقعنا وإلى أين نسير. إنّنا في مرحلة فقه وعيّ النهوض للوصول إلى فقه إعداد مشاريع النهوض، فأين محلّنا في خريطة فقه المصالح المُرسّلة، فقه إنتاج المشاريع، لماذا كان آباؤنا ولم نكن نحن؟

أيّها الطّالب النّخبَةُ، عليك أن تدرك خطورة الهويّة اللّغويّة ويجب أن لا تحرّف أنظارنا عن الحقيقة العالميّة الرّاهنة، وأن تكون إيجابياً تجاه أصالتك وحضارتك وإنسانيتك، فما العمل؟ أريدك أن تعرف أنّ الهويّة اللّغويّة والأصالة نستمدّها من الماضي، ولكن لا نبقى نردّد الماضي، بل الأصالة أمر نصنعها من خلال تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا. فالّتاريخ ماضٍ وحاضر ومستقبل، فإذا كان الماضيّ قد انتهى، والحاضر في طريق الانتهاء، فإنّ المُستقبل يبقى حقيقةً الافتضاء، والحقيقة إذا لم نصنعها تتحوّل إلى الابتلاء. فأين أنت من خلال هذا؟ أين أنت من اقتراح أفكار قيادة المجتمع، وإنتاج المشاريع، أين أنت من استكناه تلك التّجارب النّاجحة والتي لم يكتب لها النّجاح بفعل الإجهاض. تجربة النهوض الثّانية في دولة مصر وتونس، أين أنت من تجربة اليابان النّاجحة بكلّ المقاييس. وإنّ ما قامت به اليابان بعدما اتّخذ ساستها قرار الانغلاق، وطرّدوا كلّ الأوربيين ووضعوا نهاية للدين المسيحيّ المُعطّل، واعتمدوا على الذات

الوطنية مدة طويلة، بنوا أنفسهم بأنفسهم، ثم انفتحوا آخذين مُعطين. اليابانيون الذين أعطوا للنخبة المثقفة صلاحية اقتراح تسيير البلاد، وتعاملت تلك النخبة مع السياسيين، وبدؤوا يخرجون من أزماتهم، فأبدعوا وانتصروا، وكان لهم موقع تحت الشمس. نجح اليابانيون ونهضوا بسبب:

— إعطاء دور هام للنخبة المثقفة فقط، لا للسياسيين ولا للعسكريين؛

— بناء المؤسسات المؤثرة القائدة؛

— بناء دولة محفزة للإنتاج؛

— بناء حداثة غير منبئة عن الأصالة؛

— اعتماد الشرعية من الداخل الوطني؛

— العمل على الانخراط في العالم بصيغة الإعطاء والأخذ؛

— العمل على التأثير في الآخرين.

أيها الطالب النخبة عليك أن تعرف أن العربية لن يُكتب لها النجاح إلا بتحقيق التنمية البشرية، وتستلزم إعداد مجتمع المعرفة القادر على تبادل المعلومات بيسر وسهولة، وتمثلها والإبداع فيها. ويتطلب ذلك وجود أداة نفاذ (لغة) مشتركة إلى مصادر

المعلومات، وإشاعة المعرفة في المجتمع. ولدينا تجربة أخرى أشير إليها وهي تجربة (فنلندا) التي كانت أفقر دولة في أوروبا في الستينيات، وحققت تنمية بشرية عالية خلال خمسين (50) سنة؛ بعد أن حدّدت معالم طريق سليم ممثّل في التّزام الديمقراطيّة، وحقوق الإنسان، وتوفير الخدمات الصحيّة لجميع المواطنين وبالمجان، ونشر التّعليم الرّاقى في جميع البلاد باللّغة الفنلنديّة المشتركة على حساب الدّولة، ومنع انخراط الطّلاب في مدارس أجنبيّة. وعلينا أن نعرف أنّها دائماً تتصدّر قائمة الدّول الرّاقية بما حدّته في خريطة طريق المستقبل.

أيّها الطّالب، عليك أن تدرك بأنّ الدّول العربيّة في ذيل القائمة في تقرير (البرنامج الإنمائيّ للأمم المتّحدة) لأنّها تنفق معظم مواردها على الأمن والجيش والشرطة والتّسلح. أما التّعليم والصّحة فينالان حصّةً ضعيفةً، إضافةً إلى وجود مدارس أجنبيّة، وعدم تعميم اللّغة الوطنيّة المشتركة، والاعتماد القاطع على اللّغات الأجنبيّة على أنّها الخلاص من التّخلف.

أيتها النّخبة، يجب أن تعلم أنّ المستعمر نجح في تكوين نخبة عربيّة تؤمن بطروحاته وأفكاره وثقافته ولغته، وخلقت أرسنقراطيّة علميّة، ويجب العلم بأنّه من الغرابة أنّ الدّول العربيّة تنفق على تعلّم اللّغات الأجنبيّة أكثر مما تنفق على اللّغات الوطنيّة، وهنا الغرابة التي لا توضيح لها، ولا تفسير.

وإنّ البلاد التي فيها التّعليم بالأجنبيّات، وليس جماهيرياً لن يتقدّم أبداً، مهما أُوتي من المناهج أو المواد أو خيرة الأساتذة؛ لأنّها لا يمسّ عمق الجماهير.

أيّها الطّالب أنت نخبةٌ ومتقّفٌ، كان عليك أن تكون في خدمة الشّأن العامّ، وتقود الأمّة نحو الحداثّة، وأنت الشّاهد على عصرك كما قال الباحث علي القاسمي "إذ أنّ المتقّف هو الشّاهد على عصره، المطوّق ضميره بهمّ التّجريب والتّطوير والتّحديث الحامل لشعلة الرّيادة التي تنير طريق المستقبل لرفاق الدّرب من أبناء الأمّة؛ فالمتقّف الحقيقيّ يقف دائماً إلى جانب الشّعب، ويمدّ يده وفكره للمحرّومين والمُضطهدين، ويهب صوته للمخنوقة أصواتهم من المُهمّشين والمُستضعفين، ويبتعد عن إغراءات السّلطة لنلا يفقد حريّة التّفكير والنّضال، فيعجز عن أداء رسالته التّنويريّة. ويتأتّى للمتقّف أن يتحمّل رسالته الجليّة ويضطلع بمسؤوليته الجسيمة بفضل حبه الخلاق لوطنه، وذكائه الموروث وقدراته على اكتساب المعرفة وتمثّلها والإبداع فيها، وتحويلها إلى أداة للتّوعيّة والتّوجيه والتّغيير". صيّد اللّآلئ، ص 181.

والشّاهد على عصره سيكون مشهوداً عليه في وقت لاحق وسوف تتحدّث أعماله عنه وهو من الرّفات (مرّوا من هنا بالفعل) فيخلد اسمه، أو يكون من الذين لم يكونوا، وسينسى يوم دفنه.

أَيُّهَا الطَّلَابُ، اَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمَامَ وَعِيٍ لِّغَوِيٍّ جَدِيدٍ، وَعَلَيْكُمْ الْعَوْلُ وَأَمَامَكُمْ خِيَارَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَكُلُّهَا تُوَدِّي إِلَى النِّجَاحِ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْخِيَارَاتِ؛ بِاعْتِبَارِهَا تَنْهَجَ طَرِيقًا مُوَصِّلًا إِلَى غَايَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَهِيَ غَايَةُ النَّهْوِضِ:

— خِيَارُ النَّهْوِضِ الَّذِي يَكُونُ بِاللِّغَاتِ الْوَطْنِيَّةِ فَقْطً، مَعَ ضَرُورَاتِ الْإِنْفِتَاحِ عَلَى التَّعَدُّدِ اللَّغَوِيِّ النَّفْعِيِّ، وَهُوَ السَّبِيلُ الَّذِي لَا عَوَجَ فِيهِ؛

— خِيَارُ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَمْدَةِ شَرْعِيَّتَهَا مِنْ مَشْرُوعِ نَخْبَوِيٍّ وَطَنِيٍّ يَعْتَمِدُ أَوْلَوِيَّةَ بِنَاءِ الْمُؤَسَّسَاتِ؛ مُؤَسَّسَاتٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الْمَرْجِعِيَّاتِ الْحَضَارِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْأَبْعَادِ الْوَطْنِيَّةِ؛

— خِيَارُ تَجْمَعِ جِهَوِيٍّ عَرَبِيٍّ مَعْتَمِدٍ عَلَى الْأَصَالَةِ وَالْحَدَاثَةِ؛ فِي إِطَارِ التَّكَامُلِ الْعَرَبِيِّ؛

— خِيَارُ الْإِنْخِرَاطِ فِي الْعَالَمِ بِخُصُوصِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ: لُغَةً وَدِينًا وَتَقَافَةً.

— خِيَارُ الْعَمَلِ عَلَى زِيَادَةِ الْمَحْتَوَى الرَّقْمِيِّ فِي الشَّابَّكَةِ لِتَكُونَ الْمَعْلُومَاتُ مُتَاحَةً أَمَامَ الْبَاحِثِ الْعَرَبِيِّ، وَضَرُورَةُ اِهْتِمَامِ وَزَارَاتِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِتَدْرِيبِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْأُسَاتِذَةِ عَلَى اسْتِخْدَامِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ الْمُسْرَةِ فِي جَمِيعِ الْمَرَاكِلِ وَالتَّخْصِصَاتِ، وَالِاهْتِمَامِ بِإِتْقَانِ اللِّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ.

وإنّه لا مفرّ من هذه الخيارات التي هي قدرٌ علينا؛ فهي طريقنا للخروج من الأزمات، وأمامنا مواصلة محاولة النهوض التي بدأت في القرن التاسع عشر في مصر، فعلينا إحياءها وتحيين آلياتها، وكذلك النظر ملياً في تلك التجربة التي كادت أن تتجح في تونس، ولا يجب أن نغفل عن استكناه تجارب نمور آسيا الناجحة، وهذه هي الحقيقة التي ننشدها؛ لكي يكون لنا موقعٌ تحت الشَّمس.

أيّها الطّالبُ النّخبَةُ: إنّ المسألة اللّغويّة مسألة مصير أمة، فلا يجب التّسامح في الأمن اللّغويّ الذي يمثّل الأمن المائيّ والغذائيّ والسّيّاسيّ، فلا يجب أن نبقى دون إنتاج وإبداع.

أيّها الطّالبُ النّخبَةُ: إنّ اللّغة العربيّة تنتظر منك التّحكّم فيها وبها، ومن ثمّ الإبداع بها، والنّظم على خصوصياتها. والعُهدَةُ عليك أن تكون بشار بن برد المُعاصر، وجاحظ هذا الوقت ومتنبّي هذا الزّمان، وابن منظور القرن، وابن هشام الجديد وطه حسين المشروع، ومفدي زكرياء أوانه.

أيّها الطّالبُ النّخبَةُ: ما هي إلّا كلماتٌ رقيقاتٌ أريد توجيهها إليك لتكون لك خريطة طريق لاحقة، وما هي إلّا نصائح، فهل نصحتٌ ووجّهتٌ؟ وعسى ألا ينطبق عليك قولُ الشّاعر:

لقد أسمعْتَ لو ناديتَ حيّاً ولكنْ لا حياة لمن تُنادي

ولو ناراً نَفَخْتَ بها أَضَاءَتْ ولكن أَنْتَ تَنفَخُ في رَمَادٍ

أيُّها الطَّلابُ، أعرف أنَّ الرِّسالة قد وصلتُ، وأنَّكم سوف تأخذون بالنَّصيحة، ولقد بذلتُ لكم نُصحي، فأرجو حملَ مشعل النَّهوض باللُّغات الوطنيَّة، والخروج من نمطيَّة الفرانكفونيَّة التي سيطرت علينا منذ اثنتين وخمسين (52) سنة ولم نجن منها إلَّا الاحتقان والتَّبعية والتَّخلف.

لم تُقدِّمنا الفرنسيَّة، كما لم تُقدِّم السينغال، ولا بلاد تشاد، ولا جزيرة هايتي، فهل من مُتَّعِظٍ. يجب الخروجُ من شرنقة اللُّغة التي يَبْتَعِدُ عنها أهلُها، وبعض من نخبتنا يتقرَّبون إليها أكثر من أهلها، وسبق أن قالوا: الفرنسيَّة غنيمة حرب. هي مقولة خاطئة أريد بها باطل؛ أريد بها الفرانكفونيَّة والتَّخلف عن مواطنتنا اللُّغويَّة. وعليكم أيُّها الطُّلبة أن تَنفَتِحُوا على اللُّغات عامَّة، ومن خلالها أن تُثَبِّتُوا مُواطنتكم اللُّغويَّة: عربيَّة + مازيغيَّة، وعسى أَنِّي نَصَحْتُ.

على النِّخبة الوطنيَّة أن تعلم بأنَّها لا حياة لها بدون المواطنة في كلِّ أبعادها؛ مواطنة تجعل لنا مقاماً بلساننا الوطني الذي لا تَصْايِقُ فيه، ولا تَحَامِلُ. فهو الجامعُ المانعُ العاملُ على الانسجام ولا ندفع أموالاً من أجل أن نُعلِّمَ لغةً أجنبيَّةً، في الوقت الذي لا نُعلِّمُ اللُّغات الوطنيَّة، فهل الأجنبيَّاتُ أولى من الوطنيَّاتِ، ولماذا

لا تدفع تلك الحكومات أموالها من أجل تعليم لغاتها في أوطاننا
أليس من الغرابة أن نضخ أموالاً في صالح لغة أجنبية، ونشج
على اللغات الوطنية!؟

هذه أقوالي التي كنت أقولها في كثير من المقالات، حتى
أصبحتُ -عند البعض- من العاديات، وربما تدخلُ في
الحكايات، إن لم تكن عند البعض من الخرافات أو الهرطقات.
وأرى بعضها لا يصلح إلا في المناسبات، لأنه يأتي عليها جوّ
المناسبات، ولهذا عندنا لا فرق بين الطيبات والخبيثات. وأذكركم
ببيتين من حكمتنا القديمة تدعيماً لما قلتُ:

1- لقد قال لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي:

لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخلٍ فاستيقظوا، إنَّ خيرَ العِلْمِ ما نَفَعَا

2- قال العباسُ بن الأحنف:

وصيرتُ كأنِّي ذُبالةٌ نُصِبَتْ تُضيءُ للنَّاسِ وهي تحترق